وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد/ كلّية الآدب

الدّراسات العليا/ قسم اللّغة العربية

السّيرةُ النّبوية
دراسةٌ سَرديةٌ
(سيّرةُ ابنِ هشامٍ(ت ٢١٨ هـ) إنموذجاً)

رسالة تقدم بها

الطّالب

جعفر جمعة زبون علي

إلى مجلسِ كلّيةِ الآداب- جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة **الماجستير**

في علومِ اللّغةِ العربيةِ وآدابها

بإشراف الأستاذ الدّكتور

عبد اللّطيف حمودي الطّائي

١٤٣٣هـ **٢٠١٢م**

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }

صَدَقَ اللهُ العَليُ العَظيم

سورة الأحزاب؛ الآية: (٢١)

واعلم أنك لا تشفي الغلة، ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشّيء مجملاً إلى العلم به مفصّلاً، وحتى لا يقنعك إلا النّظر في زواياه، والتّغلغل في مكامنه، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يضع فيه إلى أنْ يعرف منبته ومجرى عروق الشّجر الذي هو منه.

عبد القاهر الجرجاني

دلائل الإعجاز

إقرار المشرف

أشهدُ أَنَّ هذه الرّسالة الموسومة بـ(**السّيرة النّبوية دراسة سردية، سيرة ابن هشام إنموذجاً**) المقدمة من الطّالب(**جعفر جمعة زبون علي**) تمت بإشرافي في كلية الآداب- جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في علومِ اللّغةِ العربيةِ وآدابها.

التّوقيع:

أ.د. عبد اللّطيف حمودي الطّائي

المشرف

٢٠١١/١١/١

بناء على التّوصية أرشح الرّسالة للمناقشة.

التّوقيع:

أ.د. خميس عبد الله التميمي

رئيس قسم اللّغة العربية

٢٠١١/١١/١

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد بأننا اطلعنا على رسالة الطّالب(**جعفر جمعة زبون علي**) الموسومة بـ(**السّيرة النّبوية دراسة سردية، سيرة ابن هشام إنموذجاً**) وقد ناقشنا الطّالب في محتوياتها، ونرى أنه جدير بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، وبتقدير (   ).

التّوقيع:
الاسم: أ.**د. خالد علي مصطفى**
١٩/ ١/ ٢٠١٢
(رئيس اللّجنة)

التّوقيع:
الاسم: أ.**د. نصيرة أحمد الشّمري**
١٩/ ١/ ٢٠١٢
(عضو)

التّوقيع:
الاسم: أ.م.**د. منذر رديف داوود**
١/١٩ / ٢٠١٢
(عضو)

التّوقيع:
الاسم: أ.**د. عبد اللّطيف الطّائي**
١/١٩ / ٢٠١٢
(المشرف)

مصادقة مجلس الكلية

صَادَقَ مجلس كلية الآداب– جامعة بغداد على قرار لجنة المناقشة.

أ. م. د. فيصل غازي مجهول
عميد كلية الآداب – جامعة بغداد

الإهداء

إلى مَنْ يسعدُ قلبي بلقاها..

إلى روضة الحب التي تُنبت أزكى الأزهار.. أمي

إلى رمز الرّجولة والتّضحية..

إلى من دفعني إلى العلم وبه أزداد إفتخاراً.. أبي

إلى من هم أقرب إليّ من روحي..

إلى من شاركني حُضن الأم وبهم استمِدُ عِزّتي وإصراري.. إخوتي

إلى توأم روحي ورفيقة دربي ..

إلى صاحبة القلب الطّيب والنّوايا الصّادقة.. زوجي

إلى من أرى التّفاؤل بعينهما .. والسّعادة في شفتيهما..

إلى شعلة الذّكاء والنّور إلى الوجه المفعم بالبراءة والمحبة..

بِكُما أزهرت أيامي وتفتحت براعم الغد.. دُرر وصادق

إلى من آنسني في دراستي وشاركني همومي..

تذكاراً وتقديراً.. أساتذتي الأفاضل

إلى الصّرح العلمي الرّصين والجبار.. جامعة بغداد .كلّية الآداب

لكم أقدم ثمرة بحثي المتواضع هذا.

جعفر

شكرٌ وتَقديّر

اللّهم لك الحمد أولاً وآخراً..

لابد لي وأنا أخطو خطواتي الأولى في الدّراسة الجامعية، من وقفة أعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة وما قبلها مع أساتذتنا الكرام، الذين قدموا لنا الكثير، باذلين بذلك جهوداً كبيرة في بناء جيل الغد لِتتنهض الأمة من جديد، وقبل أنْ أمضي قُدماً أقدم أسمى آيات الشّكر والإمتنان والتّقديّر والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة. إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذي الأفاضل.. وأخص بالتّقدير والشّكر:

الأستاذ الدّكتور عبد اللّطيف حَمودي الطّائي

الذي أقول له بُشراك قول رسول الله 5 :

"إنَّ الحوتَ في البحر ، والطّير في السّماء، ليُصلون على معلم النّاس الخير"

كما أتوجه له بخالص الشّكر لما بذله وخصصه لي من وقته الثّمين في الإشراف على هذا البحث.

والشّكر موصول إلى من علمني التفاؤل والمضي إلى الأمام، إلى من رعاني وحافظ عليّ، إلى من وقف إلى جانبي عندما ضللت الطريق أساتذتي: د. فليح الرّكابي، د. نهاد حسوبي صالح، د. سَحاب محمد الأسدي، د. فائز طه عمر، د. نجم عبد الله كاظم، د. عبد الرّزاق خليفة، د . نصيرة الشّمري، د. محمد حسين آل ياسين، د. خميس عبد الله التميمي، د. أنعام فائق يحيى، د. يوسف اسكندر، د.عبد المنعم عزيز النّصر، د. إسراء هاشم، د. سعد التّميمي، د. ميثم محمد، د. أحمد ناهم، د. طالب عويد، د. عبد الزّهرة زبون، د. صالح زامل السّاعدي، د. وسام البكري، د. أنوار عامر، د. محمد عبد مشكور.

الذين كانوا عونا لي في مشواري الدّراسي في التّحضيرية ونوراً يجلي الظّلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقي.

وشكراً لكلِّ أساتذتي الذين علموني من مرحلة الرّياض إلى هذا اليوم.. داعياً لهم بالموفقية والنّجاح لمن كان حياً، وبالمغفرة والجنان لمن جاور ربّه.

و أشكر كل من ساعد في إتمام هذا البحث وقدم لي العون ومد لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث وأخص بالذّكر:

الأستاذ : حيدر كامل، والعاملون في مكتبة قسم اللّغة العربية ومكتبة الكلّية والدّراسات العليا والمركزية وغيرها..

إلى من زرعوا التّفاؤل في دربي وقدموا لي المساعدات والتّسهيلات والأفكار والمعلومات، ربما دون أن يشعروا بدورهم لذلك فلهم مني كل الشّكر، الأستاذ أحمد جمعة، الأستاذ علاء حميد، الأستاذ رائد محمد، الدكتور عبد علي.

وشكرٌ من النّوع الخاص أتوجه به إلى كل من لم يقف إلى جانبي، ومن وقف في طريقي وعرقل مسيرة هذا البحث، وزرع الشّوك في طريق بحثنا فلولا وجودهم لما أحسست بمتعة البحث، ولا حلاوة المنافسة الإيجابية، ولولا هُمُ لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه فلهم منا كل الشّكر.

جعفر

الفهرست

المقدمة:

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمد لله رب العالمين نحمدك اللّهم على نعمة الإيمان بك وشرف الإسلام لك، ونسألك ربنا أنْ تجعل لنا من نورك نوراً يهدينا الخير كله، ويعرّفنا الحق والباطل بحقيقتيهما، حتى نكون ممن يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ومن الموصوفين بقولك:{الذّينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الذّينَ هَدَاهُمْ الله وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}.

وصلِّ وسلم وبارك على خير خلقك ورحمتك المهداة سيدنا محمد 5، أكمل الخلق روحاً وعقلاً، وأقومهم بدناً ورسماً، وأعلاهم قدراً وذكراً، وأرفعهم فضلاً ونبلاً، وأشرفهم مجداً وعزاً، وأحسنهم خُلقاً وخَلقاً، وأصدقهم قولاً وفعلاً، وأصفاهم طويةً وقلباً، وأطهرهم نيةً وقصداً، وأهداهم طريقاً وهدياً، وأرشدهم سلوكاً ومنهجاً، وأسداهم مسلكاً ورأياً، وأنبلهم غايةً ومقصداً، وأكرمهم أصلاً ومحتداً، وأعزهم بيتاً ومنبعاً، وأعرقهم أرومةً وجمعاً.

أدبه ربه فأحسن تأديبه، ورباه فأكمل تربيته، وجعله أشرف النّبيين والمرسلين، وحجةً على جميع العالمين: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ الله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

اللّهم وصلِّ وسلم وبارك على آلِ محمدٍ وصحبه صلاةً ترضيك وترضيهم وترضى بها عنا يا ربَّ العالمين.

أمّا بعد:

فإنَّ معرفة سيرورة النّقد الأدبي العربي الحديث الرّاهن، تعتمد على معرفة الأُصول المعرفية، التي أثرت فيه وتأثر بها، فأصبح من اللّازم دراسة ما اقترضه العرب من غيرهم، والدّراسات السّردية كثيرة وتعددها في الممارسات النّقدية العربية عكس لنا لغة الآخر، وسيادة لغته تعني سيادة رؤيتهُ وفكره، لا سيادة لغتنا وفكرنا ورؤيتنا للإبداع العربي، وهذا ما جعلنا على جهلٍ بمعرفة ما نحتاج وما لا نحتاج إليه في عملية تمثل الدّرس السّردي في عملنا الإبداعي والمعرفي والنّقدي، وعدم التّفكير بمدى مواءمة هذه المصطلحات لواقعنا وإنتاجنا وبيئتنا الأدبية، ومفاهيمنا للعناصر السّردية الملغّزة والمتعاضلة، هي ما جعلنا نختار هذا الرّكن

بالذّات دون غيره، ولذلك تسجل عنوان البحث بـ(**السّيرة النّبوية دراسة سردية سيرة ابن هشام إنموذجاً**) لرسالة الماجستير في قسم اللّغة العربية في كلّية الآداب جامعة بغداد.

ولم ننطلقْ في البحث بدراسة العناصر السّردية في السّيرة النّبوية العطرة من حيث الجانب التّعريفي/ النّظري فقط، بل تخطينا ذلك واستنطقنا النّص التّراثي وطبّقنا الدّراسات السّردية الحديثة عليه، واستطعنا أنْ نحقق نتائج طيبة من خلال صهر النّص التّراثي القديم بالدّراسات الحديثة في بوتقة العمل التّطبيقي.

فالدّراسة السّردية واحدة من الموضوعات التي لاقت إهتمام الدّارسين، وكانت محطّ أنظارهم وموضع عنايتهم، وقد استطاعت أنْ تسجلَ لها حضوراً فاعلاً في الأوساط الأدبية، فُكتبت فيها العديد من الكتب والرّسائل الجامعية متناولةً السّرد في قطبي الأدب الشّعر والنّثر.

ولم أجدْ على حد علمي دراسة للسّيرة النّبوية من الجانب السّردي من لدن أي باحث عربي أو جهة أو مؤسسة علمية أو أكاديمية تصدت لهذا الميدان الوعر والشّائك إلا دراسة الدّكتور أحمد النّقيب وطالما أردت الحصول على كتابه لكني لم أفلح، واستطعت أنْ أتحدث مع الدّكتور الشّيخ أحمد النّقيب عبر موقع(الفيس بك) وعلى صفحته الخاصة ووعدني خيراً إلا أنَّه لم يوفِ بما وعد.

وقد دأبت بعض الدّراسات الحديثة– منها الدّراسة السّردية– على دراسة التّراث العربي القديم ومحاولة قراءته قراءةً جديدة متوافقة مع المصطلحات النّقدية الحديثة، وهذه الدرسة إنَّما هي محاولة لإستجلاء بنية السّرد الرّوائي في واحدة من كبريات المؤلفات العربية المتمثلة في كتاب السّيرة النّبوية لابن هشام(ت٢١٨هـ).

وعلى كل حال فالبحث سار وسارت مفاصله التي رسمت له، وطرأت عليه بعض الإجراءات، من تغيير وتقديم وتأخير وإلغاء وإضافة بين الحين والآخر، وصار عمود البحث أو الهيكل الذي إرتكزت واستقرت فيه المادة أو الجوهر تمهيداً وثلاثة فصول.

وقد خُصص التّمهيد للتّعرف على مشكلة مصطلح السّيرة بشكل عام وشروط أخذه وصوغه، من عموم اللغة الى خصوص الاصطلاح.

أما الفصل الأوّل فقد خُصص لدراسة عنصر الشّخصية في السّرد والسّيرة وكان على مبحثين: أوّلهُما تناول الشّخصية في النّقد السّردي وأنواع الشّخصية السّردية لدى النّقاد الغربيين، وكذلك لدى نقادنا العرب، وتناول أيضاً رسم الشّخصية السّردية.

وخُصص المبحث الثّاني للحديث عن الشّخصية في السّيرة، وتركيز القول على شخصية النّبي محمد 5، وذكر ودراسة شخصية النّبي 5، ومقومات حركة الرّسول الأعظم 5، وأدرجنا جدولاً لأبرز الشّخصيات في السّيرة.

أما الفصل الثّاني فقد كان معنوناً بالزّمان والمكان في السّرد والسّيرة، وتناول المبحث الاوّل عنصري الزّمان والمكان في السّرد وأشكال كل منهما، وأنساق بناء الزّمان في السّرد.

وخُصص المبحث الثّاني لدراسة الزّمان والمكان في السّيرة والاسترجاع والاستقبال والتسلسل الزمني، وذكر الأماكن البارزة منها، وكم مرة ذكرت في السّيرة مع إدراج مصورات توضيحية لها، وإدراج جدولاً للأماكن مع جغرافيتها وطبيعتها السّردية من كونها أليفة أم مُعادية.

أما الفصل الثّالث فقد حمل عنوان الحدث في السّرد والسّيرة، وكان على مبحثين أوّلهما تناول الحدث في السّرد وأنساق بناء الحدث في السّرد ومصطلحات بنائه، وخُصص المبحث الثّاني لدراسة الحدث في السّيرة والأنساق البنائية للحدث من تتابع وتضمين، وسرد مفرد ومكرر ودائري، مع إدراج جدولاً لأبرز الأحداث في السّيرة النّبوية.

علماً بأنَّ السّيرة النّبوية العطرة (سيرة ابن هشام) طُبعت أكثر من مرة وفي أدناه الطّبعات التي وقفت عليها وما وجدت له ذكراً في المكتبات:

١ . طبعة سنة(١٨٥٩م) بالمانيا في ثلاثة أجزاء.

٢ . طبعة ليبسيك سنة(١٩٠٠م) بعناية المستشرق وستنفلد في ثلاثة أجزاء.

٣ . طبع في المطبعة الخيرية بمصر سنة(١٣٢٩هـ) في ثلاثة أجزاء، وعليها تعليقات وجيزة للشّيخ محمد الطّهطاوي.

٤ . طبع في بولاق سنة(١٢٩٥هـ) في جزئين وقد طبعت كما وردت في مخطوطها.

٥ . طبع في مصر دون تاريخ، نشرته مكتبة الجمهورية، بعناية الشّيخ محمد خليل هراس في أربعة مجلدات.

٦ . طبع في مصر نشرها دار إحياء التّراث، بتحقيق الأستاذين مصطفى السّقا، وإبراهيم الإبياري في أربعة مجلدات.

٧ . طبع في بيروت نشرها دار الكتاب العربي، بتحقيق د. عبد السّلام تدمري في أربعة مجلدات.

٨ . طبع في الأردن سنة(١٤٠٩هـ) نشرته مكتبة المنار للطّباعة والنّشر والتّوزيع بتحقيق الدّكتور همّام بن عبد الرّحيم سعيد والأستاذ محمد بن عبد الله أبو صعيليك مع شرح أبي ذر الخشني.

٩ . طبع في مصر سنة(١٤١٦هـ) نشرها دار الحديث بتحقيق جمال ثابت ومحمد محمود، وسيد إبراهيم في مجلدين.

أما الشّروح لهذه السّيرة فهي كما يأتي:

١ . الرّوض الأُنف في شرح السّيرة النّبوية لابن هشام– لأبي القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن السّهيلي الخثعمي الأندلسي المالكي الخوي الحافظ المتوفي سنة (٥٨١هـ).

٢ . الإملاء على سيرة ابن هشام– لأبي ذر مصعب بن محمد الخشني الأندلسي المعروف بابن أبي الرّكب المتوفي سنة(٦٠٤هـ) وهو كتاب في تفسير غريب السّيرة لابن هشام.

٣– تهذيب سيرة ابن هشام– هذبه الأستاذ عبد السّلام محمد هارون طبع في مصر في مطبعة المدني، ثم أعادت طبعه ثانية سنة(١٣٨٣هـ).

٤– الدّراسات القرانية واللّغوية في سيرة ابن هشام– للدّكتور كاصد الزّيدي تناول فيه عدداً من المباحث القرانية واللّغوية الصّرفية من المفردات وغيرها.

والنّسخة التي اعتمدتُها للدّراسة هي(السّيرة النّبوية لابن هشام) التي حققها الأساتذة مصطفى السّقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشّبلي، طبعة دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٧، ط ٢، علماً بأنَّ الكتاب مكون من أربعة أجزاء.

ثم إنتهت هذه الدّراسة بخاتمة عرضتُ فيها أبرز النّتائج التي تم التّوصل إليها، وتلتها قائمة بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة.

ولم تخلُ الدّراسة من بعض الصّعوبات التي اعترضت سبيلها من سعة مادة الكتاب وكثرة أخباره، ومن الجدير بالذّكر أنَّ البحث لم يسرِ بشكل طبيعي دون صعوبات حاولت تعطيل سيره، ولعلّ من أهم العقبات التي واجهت الباحث هي العودة إلى الأصول التّراثية القديمة واستقراء العناصر السّردية وحصرها وتميّزها.

وبعد هذا كله أقول شكراً، لأُستاذي المشرف الأستاذ الدّكتور عبد اللطّيف الطّائي الذي وهبني كثيراً من وقته وفكره وتوجيهاته لمتابعة هذا البحث واتمامه بخطواته وتفرعاته كلها، والذي وهبني كثيراً من

الحرية وحسن الظّن وكبير الثّقة في إبداء الآراء وتقديم الاقتراحات وبناء الأفكار، وشكراً له مرة أخرة لِما أبداه من مسؤولية النّصح والإرشاد والمتابعة، والذي تزودت من معرفته الغزيرة الشّيء الكثير الذي لن أنساه أبدَ الآبدين.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

التّمهيد: السّيرةُ ومَا حوَلها..

بعد وفاة النّبي 5 إكتفى المؤرخ المسلم بسرد الأحداث التي كانت في حياته 5، "وذلك لأنَّ المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهلية للتّاريخ، وهي نظرة قائمة على الأيام وطبيعة الحرب وشؤون القتال، ولذلك اهتم كُتّاب السّير قبل كل شيء، بمغازي الرّسول، وتصوير ذلك الدّور الحربي"[١] وعلى امتداد السّنين والحقب حظت السّيرة النّبوية بالإهتمام والعناية يفوقان التّصور والخيال، وذلك لأسباب كثيرة منها:

١- أنَّ السّيرة النّبوية ليست أخباراً تنقل للعلم فقط، مثل باقي أخبار التّاريخ، بل هي وسيلة للاقتداء بهدى النّبي محمد 5 والتّأسي به، تصديقا لقوله سبحانه: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً} (سورة الأحزاب الآية: ٢١) فالرّسول 5 قدوة للمسلمين، وسيرته هي الصّورة المثلى للحياة الإنسانية الرّاقية.

٢- السّيرة النّبوية تعدّ وسيلة عملية لفهم القرآن، وهي ترجمة حية له. ولأنّها قد دونت في طياتها كثيراً من أسباب النّزول والوقائع القرآنية.

٣- السّيرة النّبوية العطرة فضلاً عما مر تقف بالقارئ على بداية الأحداث الكبرى التي غيرت وجه التّاريخ فيما بعد، وأدت إلى سقوط دولتي الفرس والرّوم، وأدت إلى بروز الحضارة الإسلامية ودولها، وفجرت ينابيع الحكمة للخلق.

٤- ولا ننسى أنَّ للسّيرة النّبوية دوراً رائداً ومهماً في توحيد الأمة الإسلامية، إذ إنّها الجزء التّاريخي المشترك بينها جميعا، على الرّغم من اختلاف ألوانها والسّنتها وبلدانها.

---

[١] فن السّيرة: د. احسان عباس، دار الشّروق، عمان، الاردن، ط٥، ١٩٨٨م، ص ١٤.

مصطلح السّيرة:

تتكوَّن حياة كل إنسان وسيرته من نوعين من الوقائع:

الأوَّل: وقائع يتشكَّل بها(تاريخ حياته) بدءً بولادته وظروف نشأته وانتهاءً بوفاته وظروف موته، وطبيعة هذا النّوع من الوقائع غير قابل للتّكرار والإعادة.

الثّاني: وقائع تتشكَّل بها(طريقته في الحياة) ونهجه ومذهبه العملي فيها وتتألف من عاداته اليومية وسلوكه العام إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وطبيعة هذا النّوع من الوقائع متكرر ومعاد ومن هنا سمِّي(عادة) و(طريقة)، والأنبياء بشرٌ لا تشذ حياتهم وسيرتهم عن التّقسيم الآنف الذّكر. ومصطلح السّيرة أحوجُ ما يكون إلى الكشف والإبراز، وسأشرع بإذن الله في تفصيل ذلك بذكر أصل معناه في اللّغة، وحقله الدّلالي الذي سوغ انتقاله من عموم اللّغة إلى خصوص الاصطلاح.

دلالة السّير: السّير في اللّغة "الذّهاب؛ كالمسير، والمسيرة، والسّيرورة، والاستيار"[١]، والفعل سار، ومضارعه يسير؛ لأنَّ أصله سَيَرَ. وهو يستعمل لازماً ومتعدياً، قال ابن منظور "وسَارَ البعيرُ، وسِرْتُهُ أنا، وسارت الدّابة، وسارها صاحبُها يتعدى ولا يتعدى"[٢].

ومعنى المتعدي الرّكوب، فإذا أراد بها صاحبها المرعى قال أَسَرْتُها إلى الكلأِ، ويقال أيضاً أَسَارَ القوم أهلهم ومواشيهم إلى الكلأِ؛ وهو أنْ يرسلوا فيها الرّعيان، ويقيموا هم، ويستعمل المتعدي أيضاً؛ ويراد به الإبلاغ، مثل قول الشّاعر[٣]:

فَاذْكُرَنْ مَوْضِعاً إِذَا التَّقَتِ الخَيْلُ   وَقَدْ سَارَتِ الرّجَالَ الرّجَالاَ

قال ابن منظور: "أي سارت الخيلُ الرّجالَ إلى الرّجالِ، وقد يجوز أنْ يكون أراد وسارت إلى الرّجال بالرّجال؛ فحذف حرف الجر ونصب، والأوّل أقوى"[٤].

وأشهر شاهد شعري يمثل به للمتعدي في هذه المادة قول خالدّ بن زهير الهذلي:

---

[١] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥، مادة : سير.

[٢] المصدر نفسه، مادة: سير.

[٣] ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللّغة العربية: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦: ٦/ ٤٥.

[٤] لسان العرب: مادة : سير.

فَلاَ تَجْزَعَنْ مِن سِيرَةٍ أَنتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سِيرةً مَنْ يَسِيرُهَا[١]

والمعنى أنَّك جعلتها سائرة في النّاس.

ومن المعاني التي يدل عليها تعلق هذه المادة بحروف الجر سايره سار معه، وتساير عنه الشّيء سار وزال، يقال فلان لا تُسايَرُ خَيْلاَهُ؛ إذا كان كذابا، ويقال سِرْ عنك؛ أي تغافل واحتمل.

ومن أسماء المفعول دابة مُسَيَّرة؛ إذا كان الرّجل راكبها أو سائراً لها، والماشية مُسَارَة، والقوم مُسَيَّرون، وطريق مَسُورٌ فيه، ورجل مَسُورٌ به.

وأما دلالات بعض مصادر اللّازم الآنفة فالْمَسِيرة تستعمل مصدراً بمعنى السّير؛ كالمعيشة، والْمَعْجِزة- بفتح الميم وكسر المعجمة- ويستعمل أيضاً بمعنى المسافة التي يسار فيها من الأرض، كالمنزلة والمتهَمة- بفتح الهاء- ، ومنه قول النّبي 5 (نُصِرْتُ بِالرّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)[٢].

والسّير الذّهاب والاسم منه السّيرة، والسّيرة الضّرب من السّير، والسّيرة السّنة، والسّيرة الطّريقة. يقال: سار بهم سِيرة حسنة، والسّيرة: الهيئة، وفي التّنزيل: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُوْلَى} (سورة طه الآية: ٢١)، وسَيَّر سِيرة: حدَّث أحاديث الأوائل[٣].

ومن الأوصاف المشتقة من هذا الأصل سُيَرَة- كهُمزة، ومعناه الكثير السّير.

قال ابن منظور ملخصًا ما سبق، ومبينًا وجهَ انتقال(السّيْرِ) من المصدرية إلى الاسمية : "والاسم من كل ذلك السّيرة"[٤].

وقد ذكر أهل اللّغة لاسم(السّيرة) أربع دلالات؛ فقالوا: "السّيرة الضّرب من السّير، والسّيرة السّنة، والسّيرة الطّريقة، والسّيرة الهيئة"[٥] وهناك ترابط بين السّيرة والمغازي والتّاريخ أيضاً سيأتي ذكرها لاحقاً بالتّفصيل.

---

[١] شرح أشعار الهذليين: أبو سعيد السّكري(٢٧٥هـ)، تحقيق: خالدّ عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦: ١/ ١٥٧.

[٢] صحيح البخاري الجامع الصّحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محب الدّين الخطيب، المكتبة السّلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠، ١: ٤٣٥ /٤٣٦.

[٣] لسان العرب، مادة: سير.

[٤] المصدر نفسه : سير.

[٥] ينظر: مقاييس اللّغة، و المعجم الوسيط: إبرهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة، اسطنبول، تركيا، ١٩٨٩، مادة: سير.

– فأما(الضّرب من السّير) فأصل الضّرب الصّيغة؛ يقال: "هذا من ضرب فلان؛ أي من صيغته؛ لأنَّه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه"[1].

ويطلق الضّرب ويراد به الصّفة، والصّنف من الأشياء؛ يقال هذا من ضرب فلان؛ أي من نحوه وصنفه، قال الشّاعر[2]:

أَرَاكَ مِنَ الضَرْبِ الذي يَجْمَعُ الْهَوَى وَحَوْلَكَ نِسْوَانٌ لَهُنَّ ضُرُوبُ

والضّرب أيضاً المثال، وقد بيّن ابن منظور أنّه المراد من قوله تعالى: {**ضَـرَبَ لَكُم مَـثَلاً مِـنْ أَنفُسِكُمْ**} (سورة الرّوم الآية: ٢٨)؛ قال: "أي وصف وبيّن، وقولهم ضرب له المثل بكذا؛ إنَّما معناه بيّن له ضرباً من الأمثال؛ أيّ صنفاً منها"[3]. فالضّرب من السّير– على هذا– صيغة منه، وصفة منه، ومثال منه. وأما السُّنة– لغة: السّيرة أو العادة أو الطّريقة المبتدأة، حسنة كانت أم سيئة، غير أنَّ أهل اللّغة اتفقوا على أنَّ كلمة السُّنة إذا أُطلقت انصرفت إلى الطّريقة أو السّيرة الحميدة فقط، ولا تستعمل في غيرها إلا مقيدة[4].

فالسّنة اصطلاحا: "هي أقواله 5 غير القرآن الكريم، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخُلقية والخَلقية، وسائِر أخباره أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها"[5].

وإذا نظرنا إلى هذا التّعريف وجدناه يلتقي في كثير منه مع موضوع علم السّيرة، فدراسة الصّفات الخُلقية للنّبي 5 ودراسة أحواله قبل البعثة وبعدها، كل ذلك من موضوعات علم السّيرة، وهو في الوقت ذاته من موضوعات السُّنة، وهذا يوضح مدى العلاقة بين هذين العلمين الجليلين، وإنْ كانت هناك بعض الفروق التي لا تخرم هذه العلاقة ولا تخل بها، منها:

---

[1] مقاييس اللّغة، مادة: ضرب.

[2] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: أبو بكر الزّبيدي، تح: عبد العليم الطّحاوي، مراجعة، محمد بهجت الاثري وعبد السّتار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٨، مادة: ضرب.

[3] لسان العرب، مادة : ضرب.

[4] ينظر: لسان العرب؛ تاج العروس؛ المعجم الوسيط، مادة: سنن.

[5] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول: محمد بن علي الشّوكاني، تح: أحمد عناية، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٣.

١ – أنَّ هناك عموماً وخصوصاً بين كل من السّيرة والسّنة بمعنى أنّهما يجتمعان في أشياء وينفرد كل علم منهما عن الآخر بأشياء، فيجتمعان في بيان صفة أكله 5 وشربه ونومه وما شابه ذلك، وتنفرد السّيرة بالتّعرض لتحديد ليلة مولده 5، والتّعريف بنسبه وأجداده ومكانة أجداده 5 في قومهم وطهارتهم وقيامهم على خدمة بيت الله الحرام، وكثير من شؤونه 5 كالآبار التي شرب منها، وكثير من أخبار المغازي مثل عدد من شهدها وتوقيتها، وكم من أشياء انفردت بها السّيرة احتاجها شراح الحديث في شروحهم[١].

وتنفرد السّنة بأحاديث الأحكام، والتّي فيها النّهي عن الرّبا، وشريعة الخيار، وشريعة الحوالة، والرّهن وما شابه ذلك[٢].

ويقول راجح عبد الحميد كردي: "كانت سيرته 5 تُنقل وتُروى على أنّها أحداث الدّين، بكلِّ ما فيها من أقوال وأعمال، وهدى وسلوك، وجهاد وقتال، حتى كان الفصل لأقواله وأفعاله وتقريراته في كتب الحديث، حينما بدأ تدوين كتب السُّنة، وبقيت بعد ذلك روايات السّيرة بمفهومها العلمي، ولابد أنْ نعيد إلى الأذهان أنَّ السّيرة بمفهومها العام قبل التّقسيمات العلمية لها سنة وسيرة– أو مغاز وسير– تشمل كتب السّنة وكتب السّير ولهذا تتسم بالكمال والشّمول والحيوية"[٣]، وقام المسلمون بالفصل بين السّيرة والسُّنة " وكان الدّاعي إلى مثل هذا الفصل هو حاجة المسلمين لروايات الحديث في نطاق الأحكام والاستدلال الفقهي، وعدوا ما بقي من ذلك– مما سمى بالسّيرة– أموراً شخصية أو عامة يرجع إليها المسلم بصدد إنماء العلاقة بين المسلمين ورسولهم 5 لمعرفة شخصيته، وأبرزوا فيها ما سبق ولادته 5 من الأحداث، وما تلاها، ثم بعثته إلى النّاس ودعوته لقومه وصبره على أذاهم، ثم هجرته وما تلاها من تركيز على غزواته وجهاده ثُم انتقاله إلى الرّفيق الأعلى"[٤].

---

[١] ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تح عبد القادر شيبة الحمد، الرّياض، ١٤٢١، ٤٤/٦.

[٢] السّيرة النّبوية في ضوء القران والسّنة: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، د.ت: ٧/١-٨.

[٣] شعاع من السّيرة النّبوية في العهد المكي: راجح عبد الحميد كردي، دار المأمون للنّشر والتّوزيع، عمان، الاردن، د.ت: ٦.

[٤] المصدر نفسه: ٦.

٢– إنَّ الكتابة في السّيرة النّبوية يُراعى فيها الزّمان وأحداثه وذلك غير الكتابة في الحديث حيث المنهج فيه يختلف بمنهج الكتاب وغرض مؤلفه وجامعه، وهو فيه يدور على أمرين:

أولهما: يتناول أقوال الرّسول 5 من حيث دلالتّها على الأحكام الشّرعية كما في الكتب السّتة وسنن الدّارمي والموطأ الخ...

ثانيهما: يتناول الحديث من حيث مرويات الصّحابة والشّيوخ كالمسانيد والمعاجم الخ..

– وأما(الطّريقة) فمِن(طَرَقَ)، وقد رده ابن فارس إلى أربعة أصول "الإتيان مساء، والضّرب، وجنس من استرخاء الشّيء، وخَصف شيء على شيء"[١].

ورده الرّاغب الاصفهاني إلى الضّرب فقال: "الطّريق السّبيل الذي يطرق بالأرجل؛ أي يضرب"[٢]، واستشهد بقوله تعالى: {فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى} ؛(سورة طه الآية: ٧٧)، قال: "والطّرق في الأصل كالضّرب؛ إلا أنّه أخص؛ لأنّه ضرب بوقع كضرب الحديد بالمِطرقة، ويتوسع فيه توسعهم في الضّرب"[٣].

وقال الجوهري في الصّحاح"الطّريقة أطول ما يكون من النّخل بلغة اليمامة، والجمع طريق)[٤]. وقال الفيروزآبادي(الطّريقة النّخلة الطّويلة)[٥]، إذن فالطّريقة حسب ما سبق أطول النّخل، والنّخلة الطّريقة الملساء الطّويلة، وهو ما يعرف اليوم باللّهجة العراقية بالنّخلة العيطة أو العيطاء.

يُسْهِلُوا فَالسّهْلُ حَظِّي وَطُرُقَتِي   وَإِن يُحْزِنُوا أَرْكَبْ بِهِمْ كُلَّ مَرْكَبِ

والطّريقة السّيرة[٦].

---

(١) مقاييس اللّغة مادة : طَرَقَ.

(٢) المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني، تح محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ت: ٥١٨.

(٣) االمفردات في غريب القران: ٥١٨.

(٤) تاج اللّغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠، مادة: طرق.

(٥) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت، مادة: طرق.

(٦) لسان العرب، مادة:طرق.

فهذه ثلاث دلالات للفظ الطّريقة؛ تتقاسمها ثلاثة مراجع: الامتداد، والرّفعة، والحال، لكن المهيمن عليها الأوّل، الامتداد لكثرته، وتوقف المعنيين الآخرين عليه؛ إذ لا يتصور التّخلق بحال دون اعتياده، وطول طرقه، كما لا تتصور الرّفعة في شأن ما لم تطل استقامة صاحبه عليه.

هذا مجمل ما يقتضيه بيان معنى(مصطلح السّيرة النّبوية) من ذكر دلالتّه اللّغوية، ومحيطه الدّلالي، وهي سبيل أهل كل علم وديدنهم حين يُسألون عن دلالة مفردة من المفردات.

ولا يخفى ما بين علم الاصطلاح وعلم اللّغة من وثيق الصّلة، وأنَّ اللّغة قاعدة الاصطلاح، ومادته الأولى الرّابطة بين شطري الدّلالة(اللّفظ والمعنى).

وفيما يلي استكمال ما يلزم بالحديث عن المخرج الدّلالي الذي انبجس عنه هذا المصطلح الجليل، وأطوار نضجه الماهدة لامتداده وسموقه.

ويعسر ضبط المراد من السّيرة النّبوية بوجه دقيق، إذا استثنينا عمومَ تعلقها بشخص النّبي 5 فهل المراد ما يتعلق من أحواله بالتّشريع، أو المراد ما جلَّ ودقَّ من خاصة شأنه الأجل مما لا تكليفَ فيه، فتصير الغاية منه مُجرد الإخبار عن النّبي 5 والتّنويه بشأنه، يحسن قبل بيان دلالة المصطلح بيان أمرين:

الأوّل: المخرج الدّلالي الذي يكشف اتساع الحد لاستيعاب أجزائه.

الثّاني: الوقوف على أوائلِ استعمال المصطلح في كلام أهْلِ هذا الشّأن المتقدمين لتتبع أطوار تخلُّقه قبل أنْ ينضجَ ويستوي.

١- المخرج الدّلالي:

سبقت الإشارةُ إلى أنَّ السّيْر في اللّغة الْمُضِيُّ؛ ومنه قوله تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ للنّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٧- ١٣٨)، وقد ورد في سبعة وعشرين موطناً من القرآن الكريم، وهذا أحدها، وسائرها لا يَخرج عن هذا المعنى سوى موطن واحد؛ هو في قوله تعالى عن عصا النّبي موسى(عليه السّلام): {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} (سورة طه الآية: ٢١). والسّيرة- كما قال الرّاغب-: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزية أو مكتسبة، يقال فلان له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة، وقوله سبحانه: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلأُولَى} أي الحالة التي كانت عليها من كونها عُودًا[١].

---

[١] المفردات في غريب القران: ٤٣٣.

وهذا المعنى وغيره في الآيات الأخرى، والفرق بينهما هو الحدُّ الفاصل بين معنى السّيرة في اللّغة ومعناها في الاصطلاح، وهو المرجعُ الذي يسوّغ به ضبط المناسبة بين فحوى المصطلح وموضوع العلم الذي جُعِلَ عِلماً عليه.

قال محمد الطّاهر بن عاشور في بيان معنى الآية والسّيرة في الأصل هيئة السّير، وأطُلقت على العادة والطّبيعة[٢].

من خلال العرض يتبين الآتي:

١- أوّل ما يومئ إليه هذا التّوجيه اتساع مخرج المصطلح الدّلالي لتناول عامَّة أفراده، ولا يخفى شرط المناسبة بين المصطلح وبين ما يطلق عليه، وحاجته إلى ما يكفل له الاستقلال من ذاته؛ ولاسيَّما إذا وجِدَت مصطلحات أُخَر تقع على بعض ما يقع عليه، أو يشتبه وقوعها على كلِّه؛ فيلجأ إلى التّقييد والاستثناء حال الإطلاق؛ مَخافة الاشتباه.

٢- أوائل استعمال مصطلح السّيرة:

مرَّ مصطلح السّيرة في بدايات نشوئه بأطوارٍ ثلاثة رسخ بها أصله:

١- قال غيلان بن جرير: كنَّا ندخل على أنس بن مالك، فيُحدثنا بمناقب الأنصار ومشاهدهم، ويقبل على رجل من الأزد، فيقول: فعل قومك يوم كذا كذا وكذا[٣].

قال ابن حجر(ت٨٥٢هـ) معلقاً على هذا الخبر: أي يحكي ما كان من مآثرهم في المغازي ونصر الإسلام في خبر غيلان بن جرير دلالة على وقوع العناية بشأن السّيرة في زمن الصّحابة(رضي الله عنهم) وأنَّه كان عبارة عن مجالسّ مخصوصة بصنف من الدّرس مخصوص، وكان موضوعه مآثر الأنصار في المغازي[٤].

ولا جرمَ أنَّ هذه المجالسّ كانت مهاداً لما تلاها من العناية بالمغازي والسّيرة على نحو أرسخ وأشمل؛ لأنَّ الغاية من شهود الصّحابة(رضي الله عنهم) المشاهد مع النّبي 5 نصره ومنعه؛ فتعلقها به هو الأصل.

---

[٢] تفسير التّحرير والتّنوير: محمد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسية للنّشر، د.ت: ١١٨٨.

[٣] صحيح البخاري: ٧٩٠ .

[٤] ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٧١١.

وفيه أيضاً إشارة إلى الصّورة التي آل إليها منهجُ التّصنيف في السّيرة النّبوية، وهي ذكر الأيام والأحوال على جهة الإحصاء والإشادة والتّنويه.

٢- ظهرت سيرة الرّسول 5 بالمعنى الدّقيق للكلمة في كتب كبيرة نسبيّاً باسم المغازي، وقد عرفت هذه الكتب في وقت مُبكر باسم السّيرة، ورُبَّما يكون الزّهري أوّل من استخدم كلمة السّيرة مصطلحاً لذلك[١].

وفي كلام سزكين على أنَّ الزّهري أوّل من استعمل مصطلح السّيرة، ويُؤيده قول السّهيلي عن سيرة الزّهري وهي أوّل سيرة في الإسلام[٢].

وأفاد سزكين أنَّ ارتباطَ لفظ السّيرة بالزّهري أكثر من ارتباطه بسَلَفِه ومُعاصريه ممن كانت لهم صلة بالمغازي؛ لكن ليس بأيدينا ما يثبت أنَّه قد عرَّفه تعريفاً صريحاً.

٣- قَالَ ابْنُ هِشَام وهو "عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدّين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللّغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه(السيرة النبوية) المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله(القصائد الحميرية) في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و(التّيجان في ملوك حمير) رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و(شرح ما وقع في أشعار السّير من الغريب)"[٣] : "وَأَنَا إنْ شَاءَ الله مُبْتَدِئٌ هَذَا الْكِتَابَ بِذِكْرِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ، وَمَنْ وَلَدَ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مِنْ وَلَدِهِ وَأَوْلَادِهِمْ لِأَصْلَابِهِمْ الْأَوّلَ فَالْأَوّلَ مِنْ إسْمَاعِيلَ إلى رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ وَمَا يَعْرِضُ مِنْ حَدِيثِهِمْ وَتَارِكٌ ذِكْرَ غَيْرِهِمْ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ لِلِاخْتِصَارِ"[٤].

---

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١/ ٤٥٢.

[٢] الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبوية لابن هشام: أبو القاسم السّهيلي(ت٥٨١هـ)، تح: مجدي بن منصور الشّوري، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩: ٢١٤.

[٣] الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥ ، ٢٠٠٢: ١٦٦/٩.

[٤] السّيرة النّبوية: ابن هشام: تح: مصطفى السّقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٧: ١/ ١٨.

يظهر من كلام ابن هشام المستل من مقدمة تهذيبه لسيرة ابن إسحاق أنَّ ما استغنى عنه مما جمعه ابن إسحاق ليس من شرطِ السّيرة عنده، وأنَّه لم يبقِ إلا ما فيه ذكر لرسول الله 5 من تلك الأخبار.

وقوله: وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصارِ إلى حديث سيرة رسول الله 5، مُصرحا بغاية اختصاره، وهي الاكتفاء بما يوافق عنوان الكتاب من مضامينه، وهنا نتسائل هل يمكن أنْ تُختصر سيرة النّبي 5 وهل هذا يصلح لأنَّ يتخذ ضابطاً قويّاً لمصطلح السّيرة، ونجد أنَّ ابنَ إسحاق قد وضع كتابه ابتداءً من تاريخ الخليقة عامة إلى وفاة النّبي 5، فلما اختصره ابن هشام صار أقساماً ثلاثة المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

فكأنَّ ابن هشام إنَّما راعى في اختصارِهِ وَضْعَ الحد العام للسّيرة حين ترك ما لا صِلَةَ له برسول الله 5 من الأخبار إلى ما له به صلة على جهة الإفراد، وهذا ما دعاه لحذف بعض فضائل الإمام علي(**عليه السّلام**) والصّحابة الكرام(**رضي الله عنهم**) من الكتاب بحجة أنَّها لا علاقة ولا صلة لها بالسّيرة مع العلم أنَّ الامام علي(عليه السّلام) والصّحابة قد أدوا دوراً كبيراً في نشوء الاسلام والدّفاع عنه ولا يمكن أنْ يُخفي ذلك ابن هشام ولا من سبقه ولا من سيأتي بعده اطلاقاً، "..... والحقائق التي أخفاها ابن هشام، أبى الله سبحانه وتعالى إلا أنْ يظهرها(.....) فالطّوسي وهو من أكابر علماء القرن السّادس الهجري ذكر كل تلك الفضائل في تفسيره مجمع البيان، وذكر ابن الجوزي في المنتظم قسما منها، وكذلك ذكر ابن الاثير(ت٦٣٠هـ) في الكامل في التّاريخ قسما آخر، وغيرهم كثير"[١] أما علمياً فهذا أوّل استعمال مفصّل للمصطلح، وأول تلميح إلى ضابطه الدّقيق.

وهو أكثر وضوحاً من استعمال الزّهري ذاك مجمل، وهذا مفصّل، فالزّهري أفرد السّيرة النّبوية بالتّأليف، وابن هشام وقف عند الإطلاق، ثم كشف ضابطه، وأبرز مراجع أفراده.

فالذّين صنَّفوا في السّيرة النّبوية بعده، وسمَّوا بها مصنفاتهم- تابعون له في ذلك، وكما أنَّ اسمه نسخ اسم ابن إسحاق في نِسْبَة الكتاب إليه، فكذلك غابت معه التّسمية بالمغازي، وحل مَحلَّها لفظ السّيرة في عصور التّصنيف اللّاحقة حتَّى اليوم، وقد قال ابن خلكان- في سياق ترجمة ابن إسحاق بعد ذكر سيرته-

---

[١] محمد بن اسحاق الرّائد في كتابة السّيرة النّبوية: د. عبد اللطّيف الطّائي، مجلة سبيل، العراق، بغداد العدد١٧، ٢٠١٠: ٣٦.

"وهي الموجودة بأيدي النّاس المعروفة بسيرة ابن هشام"[٢]. ومن هنا يتبين لنا أنَّ كاتب السّيرة حقاً هو ابن اسحاق وليس ابن هشام وكأنَّ ابن هشام قد سطا على سيرة ابن اسحاق وشذبها وحذف ما لم يوافق الهوى العباسي فيها، علماً أنَّ ابن اسحاق قد كلفه الإمام الصّادق عليه السّلام في كتابة سيرة الرّسول، وما يؤيد ذلك قول المحقيقن لسيرة ابن هشام في حديثهم عن ابن اسحاق: "ولكن بعض الدّارسين يرى أنَّ ابن اسحق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة*، ولا في بغداد أو الحيرة، وإنَّما ألفه في المدينة قبل إقامته لدى العباسيين، ويستدل على ذلك بأنَّ جميع من روى عنهم مدنيون ومصريون وليس فيهم أحداً من العراق، وأنّ ابراهيم بن سعد تلميذه المدني روى كتابه عنه. بل نرى في الكتاب حوادث ما كان العباسيون ليرضوا عنها، مثل اشتراك العباس مع الكفار في غزوة بدر، وأسر المسلمين إياه، ذلك الخبر الذي حذفه ابن هشام بَعْد، خوفاً من العباسيين"[١]، وما يؤيد ذلك أيضاً ما أورده الأستاذ الدّكتور عبد اللطّيف الطّائي في مقاله(محمد بن إسحاق الرّائد في كتابة السّيرة النّبوية العطرة) إذ إنّه يفصل القول والاستشهادات الموثقة والدّلائل الواضحة حول ذلك وأجد نفسي متفقاً مع الدّكتور فيما أورده.

أمَّا اختلاط السّيرة بالمغازي في استعمال بعضِ المصنفين، فمردُّه إلى أسباب لم يقصدوها، فكأنهم كانوا لا يفرقون بينهما، إلا أنَّ تغليبَ استعمال السّيرة بدلاً من المغازي يغري الباحث بتعقب المصطلحين، والموازنة بينهما.

وقد لخص ذلك مطاع الطّرابيشي في ثلاثة أمور، فقال أنَّ السّيرة– بصيغة المفرد– إمتازت بأمور الأول: أنَّها ظهرت أوّل ما ظهرت مع عمل ابنِ هشام صاحب السّيرة المنسوبة إليه، فهو أوّل من اشتهرَ بها واشتهرت به.

الثّاني: أنَّها تعبير صريحٌ عن تطوُّرٍ في التّصنيف؛ إذ قام عمله فيها على تشذيب عمل ابن إسحاق في المغازي.

---

[٢] وفيات الأعيان وأنباء الزّمان: أبو العباس شمس الدّين بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار الثّقافة، ١٩٦٨: ٣١٧/٧.

* المنصور العباسي.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ١٦-١٧.

الثّالث: أنَّ عمل ابن هشام هذا فتح البابَ لمن جاء بعده، فمضى على إثره المصنفون شرقًا وغربًا خلال الأجيال المتعاقبة، حتَّى كاد يغيب اسم المغازي في سياق التّصانيف المستفيضة في السّيرة[٢].

بعد ما تقدم من الأمر وجب القول بأنَّ ما سنقوم به في بحثنا المتواضع هو دراسة السّيرة النّبوية العطرة دراسة سردية، معتمدين على كتب السّرد الرّوائي التّاريخي والحديث حول الموضوع بنسق حضاري تاريخي دارسين الشّخصيات والأماكن والزّمان والأحداث في السّيرة النّبوية بالتّفصيل.

راجيا من الله العون والموفقية هو حسبي ونعم الوكيل.

الفصل الأوّل
الشّخصية في السّرد والسّيرة
المبحث الأوّل
الشّخصية في السّرد

[٢] ما رواه محمد بن إسحاق: مطاع الطّرابيشي، دار المأمون، الأردن، عمان، د.ت: ٤١.

الحديث عن الشّخصية السّردية كُلِّلَ بكتابات كثيرة مسهبة فكلّ كتاب يتكلم عن السّرد يتناول الشّخصية تناولاً تاماً لأنّها تمثل إحدى عناصر العمل السّردي ولا يمكن الاستغناء عنها، ولأنَّها تقوم بالأحداث وهي التي قد تسرد الأحداث.

فالشّخصية ركيزة الرّوائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشّخصية من المقومات الرّئيسة للرّواية، ودون الشّخصية لا وجود للرّواية.

إن الشّخصية الرّوائية حالها حال الشّخصية السّينمائية أو الشّخصية المسرحية، لا يمكن فصلها عن العالم، فهي لا يمكن أنْ توجد في ذهننا منعزلة بل مرتبطة بالعالم الذي هي فيه.

في بعض الآثار الرّوائية ترتبط الطّبيعة أو الأشياء الخارجية مع الشّخصيات بروابط أكثر عمقا، مثل التّطابق الكامل بين الطّبيعة والحياة النّفسية للشّخصيات، في بعض القصص والرّوايات.

ويجد كل متطلع للدّراسات السّردية أنَّ عنصر الشّخصية هو عنصر مهم ولا تخلو منه أيّة رواية وكثيراً ما نرى أنَّ المؤلف أو الرّاوي دائماً يعتني بالشّخصية لأنّها قد تكون هو أو بعضا من شمائله، وما يجدر بنا ذكره أنَّ الشّخصية من العناصر السّردية التي لا يستطيع أنْ يتركها مؤلف أو راوٍ.

الشّخصية في السّرد

سنتناول في هذا المبحث الشّخصية السّردية، لذا وجدت من الأفضل الوقوف عليها عند الغرب والعرب:

١- الشّخصية لدى الغرب:

هناك كثيرٌ من الأفكار التي تتوارد ويتفق عليها الفكر الغربي والعربي، إلا أنَّ الشّخصية السّردية قد تكون حقيقة أو كائن خيالي يطمح إلى الوجود، وذلك من خلال كم كبير من العبارات والمفردات التي يخلقها المؤلف ويسوقها بطرق شتى وأساليب مختلفة سرداً أو وصفاً أو حواراً وما إلى ذلك، وصولاً إلى أنّها تختلف عن الشّخص الحقيقي ذي الوجود الفيزيائي والعضوي، وإنْ حاولت أنْ تُشبه به لأنّها توجد وتعيش في القصة والرّواية فقط، ولا نجدها تسير في الشّارع ولا نراها في محطة الباصات أو تتحدث إلى هذا الشّخص أو ذاك. والشّخصية السّردية تظهر وتختفي بناءً على الدّور الذي تؤديه، والغاية المرجوة من ظهورها.

والشّخص الحقيقي ذو وجود دائم متصل يمتلك حياته الخاصة التي قد لا نعرف عنها شيئاً، حتى لو فكرنا أنْ نستعين ببعض الأجهزة الأمنية المتطورة التي تقدر أنْ تعد أنفاس النّاس، بينما الشّخصية السّردية فهي مرئية بعيون المؤلف ومرصودة بأعين القراء، أنَّ المنشئ يعرف كل شيء عن الشّخصية، حتى لو تظاهر أحياناً بغير ذلك. وقد تختفي الشّخصية وراء قناع، أما الممثل فهو الشّخصية التي يتجسد فيها الكون الأكبر. وهذه الشّخصية هي الإنسان الذي يعرف بالكون الأصغر. فالشّخصية هي مجموعة الصّفات والملامح التي تميز شخصاً من الآخر.

تكوين الشّخصية الفنية في العمل السّردي، مسألة صعبة وشاقة على غير ما يتخيل الكثيرون، فالشّخصية مطالبة أنْ تتحرك في عالمها المرسوم حركة الأحياء الذّين نعرفهم ونعلم بوجودهم بيننا، أنَّ ملامحها الظّاهرية والباطنية يجب أنْ ترسم بطريقة تقنعنا أنها- الشّخصية السّردية- تتفاعل مع الوسط الذي وضعت فيه؛ فهي تستجيب لهذا الباعث أو ذاك فتأخذ طريقها بناءً على ذلك؛ وقد تصطدم بما شاء المؤلف أنْ تصطدم من عقبات فتواجه وتُهزم وتنتصر وترفض هذا وتقبل ذاك كما لو كانت منا نحن البشر، ونجد لدى بعض المبدعين الذّين كثر فهمهم العميق للشّخصيات — نجدهم تخرج الشّخصية أحياناً منهم وتفلت وترفض أنْ تطيعهم.

٢- الشّخصية لدى العرب حديثا:

تعرّف معاجمنا العربية مصطلح الشّخصية بـ:

١- الشّخصية: هي"أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذّين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية"[١].

٢- الشّخصية: هي: "الشّخصية الفنّية في عمل من الأعمال الأدبية سواء كانت في مسرحية أو قصة"[٢].

٣- المزاج: و"يقصد به في الرّواية، العادات والمثل، التي تميز بطلاً ما، وتجعل أفعاله ثابتة نسبياً. ويصف(مزاج الشّخصية) و(وصف المزاج) بعض الأجناس الأدبية، التي تتعرض للسّجايا والسّمات، التي

---

[١] معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب: مجدي وهبة ومراد كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩: ١١٧.

[٢] معجم المصطلحات اللّغوية والأدبية: د.علية عزت عياد، دار المريخ للنّشر، الرّياض، المملكة السّعودية، ط١، ١٩٨٤: ٥١.

تميز نموذجاً اجتماعياً معيناً، (البخل، الكرم، مثلاً)، و(مزاجية الشّخصية) منهجٌ، يقدم به شخصية قصصية، بواسطة الوصف الدّقيق أو عبر أحداث الرّواية "[٣].

٤- الشّخصية: "الاتجاه الحديث هو عدم اعتبار الشّخصيات الأدبية أشخاصا أي أشخاصاً حقيقيين أو واقعيين"[٤].

٥- الشّخصية: هي "خصيصة- صفة أو طابع في مسرحية: وهي تشير إلى الصّفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية. ولها في الأدب معان نوعية أخرى، وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله قصة أو رواية أو مسرحية- وفي القرنين السّابع و الثّامن عشر في الفكر كانت الشّخصية، صورة خاطفة أو تحليلاً وصفياً لفضيلة معينة أو رذيلة معينة كما تتمثل في شخص وهو ما نسميه اليوم على الأغلب صورة لطباع الشّخصية"[١].

أما مصطلح الشّخصي فتعرفه معاجمنا بـ:

١- الشّخصي وهو: "صفة تطلق على أحد معان ثلاث: ما يميز الشّخص من حيث تعبيره عن مشاعره وانفعالاته التي ينفرد بها دون غيره."[٢] كما يدل على "شخصية المتكلم أو الرّوائي في العمل الأدبي حيث نرى أنَّ المؤلف عندما يتكلم من خلال أثره الأدبي يفعل ذلك عن طريق شخصيته الكاملة، ويظهر ذلك جلياً من ضمير المتكلم في الرّواية أو القصة، حيث لا يشترط أبداً أنْ يعادل أنا المؤلف الحقيقي"[٣].

٢- الشّخصية: "تستعمل في الأدب الرّوائي، إلا أنَّ المصطلح يختفي، ليحل محله مصطلح(الفاعل) أو(الممثل)، لدقتهما السّيمائية. و(الشّخصية الرّوائية) فكرة من الأفكار الحوارية، التي تدخل في تعارض دائم، مع الشّخصيات الرّئيسة أو الثّانوية. و(الشّخصية)، تمثيلية لحالة أو وضعية ما."[٤].

٣- الشّخصية: (شخصي، من جانب المتحدث).

---

[٣] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥: ٢٠٣.

[٤] المصدر نفسه: ٢٠٣.

[١] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٢١٠- ٢١١.

[٢] معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب: ١١٧.

[٣] المصدر نفسه: ١١٧.

[٤] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ١٢٥- ١٢٦.

٤ – القناع الشّخصي: "تعبير مأخوذ عن كلمة لاتينية تعني القناع، ويستخدم التّعبير في النّقد الأدبي أحيانا ليشير إلى شخص يبرز في قصيدة مثلاً أو لا يمثل نفسه والواقع أنْ مصطلح الشّخصية المتخيلة قد استخدم بشكل خاص من قبل الشّاعر الأمريكي (ازراباوند) والذي أصدر مجموعة شعرية تحمل العنوان ذاته حاول فيها ارتداء أقنعة بعض الشّخصيات التّاريخية. "[٥]

كما أنّه في بعض الشّعائر البدائية كان يمثل لبس القناع تشوقاً للوصول إلى حالة غيبية مستقبلية، فهو يساعد مرتديه على تحويل نفسه من حالة إلى أخرى، عبر التّجرد من أناه وحلول أناً أخرى فيه، فهو بمثابة حلقة الوصل ما بين الطّبيعة والفن أو ما بين الظّاهر والباطن، والغيبي وغير الغيبي والمرئي وغير المرئي، وهو حال من أحوال الصّوفية غايته التّماهي مع الآخر أو الذّات الأخرى الموجودة في الإنسان. إذ إنَّ الشّخصية الإنسانية واقعاً مكونة من سلسلة من الذّوات أو الأقنعة التي تشكلها ويخلقها من تحيط به[١]، "ومن هنا نرى بأنَّ استخدام القناع يهدف إلى تحقيق وظيفة صوفية ورؤيوية.."[٢].

إلا أنَّ مسألة القناع وارتباطه بالشّخصية الحقيقية، تثير تداخلاً أحياناً بين الواقع الحقيقي وغير الحقيقي بين الذّات الثّانية والذّات الواقعية. بين الممثل والدّور الممنوح له، والذي يجب أنْ يقوم به[٣]، وعلى كل حال، فقد أصبحت "الكثير من الدّراسات والتّحديدات النّقدية الحديثة عند حديثها عن مصطلحي القناع والشّخصية الدّرامية المتخيلة، إنَّما تتحدث عن ظاهرة فنية واحدة، لذا بات من المبرر تماماً هدم الحواجز بين هذين المصطلحين"[٤].

أنواع الشّخصية السّردية

تنوعت الشّخصيات في النّصوص السّردية وتمايزت وتبلورت بشكل كبير، وحاول النّقد لاهثاً أنْ يصنف هذه الشّخصيات ويبوبها، فجاء تصنيف معظم النّقاد مبنياً على الصّفات المتناقضة بين هذه

---

[٥] مدارات نقدية في إشكالية النّقد والحداثة والابداع: فاضل ثامر، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧: ٢٥٠- ٢٥١.

[١] ينظر: مدارات نقدية: ٢٥٤.

[٢] المصدر نفسه: ٢٥٥.

[٣] المصدر نفسه: ٢٥٧.

[٤] المصدر نفسه: ٢٥٢.

الشّخصية وتلك، وتختلف أشكال الشّخصيات وأنواعها من ناقد لآخر بحسب ثقافته وطبيعة النّصوص المنقودة، إذ لكلّ نصٍ شخصياته التي يفترق بها عن غيره، ونحن سنضيف اصطلاحات لأشكال الشّخصية حسب الاتجاهات، فمن النّقاد من أخذ بالتّصنيف التّقليدي أو الكلاسي الذي أتى به الكاتب الرّوائي(ا.م. فورستر) ومنهم من أخذ بما قاله بروب، وبريموند، وكريماس وتودوروف وهامون و سوريو في تصنيف الشّخصيات، وسنأتي على تفضيلها.

أوّلاً: الشّخصية لدى(إ.م. فوستر):

وهو أقدم نموذج كلاسي لتصنيف الشّخصيات، ويصطلح على أنواع الشّخصيات عند النّاقد الانجليزي فورستر في نقدنا العربي الحديث بـ:

أوّلاً: الشّخصية المسطحة: وهي الشّخصية التي تتخذ في النّص السّردي دوراً ثانوياً، وهي لا تتغير وإنْ تغير مجرى الأحداث. فهي ثابتة السّلوك والفكر والتّعرف، وغالباً ما تكشف أو تصور لنا الشّخصيات الأخرى وفق نمطيتها وثباتها.

وأهم المزايا التي تتصف بها الشّخصية المسطحة:

١- "أنّها تدور حول فكرة واحدة أو صفة.

٢- يمكن معرفتها بسهولة ودون عناء.

٣- لا تحتاج إلى تقديمها، أكثر من سيرة واحدة.

٤- إنّها لا تحتاج إلى رعاية لكي تتطور، بل تبقى على حالها من بداية الرّواية حتى نهايتها.

٥- يمكن تذكرها بسهولة، وبدون عناء، بعد قراءة الرّواية إذ إنّها تبقى كما هي في ذاكرة القارئ.

٦- تكون في أحسن حالاتها إذا كانت كوميدية، أما إذا كانت تراجيدية، فتصبح مملة وتبعث الضّجر عند القارئ."[١].

ونجد في المؤلفات التي تكلمت على هذه الشّخصية عدة مصطلحات مرادفة للسّطحية هي(الشّخصية الثّابتة) أو(السّكونية) أو(الثّانوية) أو(ذات البعد الواحد) أو(الجامدة)[٢].

---

[١] تحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: محمد عبد الحسين هويدي الخزاعي، رسالة ماجستير، كلية التّربية (ابن رشد) – جامعة بغداد، ١٩٩٨: ١٤.

[٢] ينظر: نظرية الرّواية "دراسة لمناهج النّقد الأدبي في معالجة فن القصة ": د. السّيد إبراهيم، دار قباء للطّباعة والنّشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨: ١٩٩ –١٠١؛ النّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٧- ٦٨ ورسم

وأفضل المصطلح الأول لأنّه الأقرب إلى كلام فورستر[٣]، لأنّه أكثر تداولاً وانتشاراً من بقية المصطلحات الواصفة له.

ثانياً: الشّخصية المدورة أو المستديرة: وهي الشّخصية المركزية أو المحورية في النّص السّردي وتتخذ دوراً رئيساً فيه، إذ بأفعالها يتغير مجرى السّرد، وتنمو الحبكة، فهي شخصية نامية من حيث الفكر والسّلوك والرّؤية والموقف والتّصرف على صعيد القصة.

ويضيف نقادنا أشكالاً أخرى من الشّخصيات التي إستقوها من الغرب، واصطلحوا عليها بـ:

١- الشّخصية الإشكالية: وهي الشّخصية التي تظهر دوماً تصادمها مع القيم الموروثة البائرة أو مع الواقع، فلا تستطيع الائتلاف معه، فتعيش في منطقة معزولة عنه[١].

٢- الشّخصية الايجابية: وهي الشّخصية التي تحمل دائماً إحساساً وإرادة باطنية قادرة على تغيير العالم[٢].

٣- الشّخصية السّلبية: وهي الشّخصية التي لا تبدي اهتماماً بالواقع إذ تعزل نفسها عنه، وتبدي أقصى قدر من الانسجام مع سلطة الثّورة، وتتحرك تحركاً ميكانيكياً أو آلياً يفقد الحماس[٣].

٤- الشّخصية العميقة: وهي الشّخصية التي تكون عالماً معقداً ومتناقضاً، تنمو بداخلهِ القصة، وتكون في أغلب الأحيان ذات مظاهر أو أوصاف متناقضة[٤].

٥- الشّخصية النّموذجية: وهي الشّخصية التي تمثل فئة أو طبقة اجتماعية ما في زمان ما ومكان ما، تتميز باتجاه فكري أو نشاط اجتماعي أو صفات معينة، فهي تكثيف لسمات أخلاقية واجتماعية وتاريخية في مرحلة ما[٥].

الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٢٦ -٢٩ ؛ وبنية الشّكل الرّوائي: ٢١٥ ومستويات دراسة النّص الرّوائي: ٧٩- ٨٠. وتحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: ١٤ -١٥.

[٣] ينظر: أركان الرّواية: أ. م. فورستر، ترجمة: موسى عاصي، مطبعة جروس برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٩٤: ٨٣.

[١] ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ١١٠.

[٢] ينظر: . رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٢٥/٢٤. وتحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف، هامش: ١٦.

[٣] رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٢٥/٢٤.

[٤] ينظر: بنية الشّكل الرّوائي: ٢١٦/٢١٥.

٦- الشّخصية النّمطية: وهي الشّخصية التي تكون لها صفات واضحة ومحددة، وتحدد موقعها في الصّراع الدّائر بين الخير والشّر أو بين الحق والباطل بشكل واضح، فمن السّهل ملاحظتها، وذلك لأنَّ نمطيتها أو هامشيتها متأتية من انحيازها أما لجانب الحق أو الخير أو إلى جانب الشّر أو الباطل[٦].

٧- الشّخصية الفردية: وهي الشّخصية التي تمتاز بمزايا تختلف عن أنماط كل الشّخصيات السّابقة وذلك لأنّها شخصية مزيجة من الواقع الإنساني وعوالم أخرى(أسطورية أو خرافية أو غيبية) إذ تتمتع هذه الشّخصية بحس وقابليات فريدة، تجعلها مختلفة عن الشّخصيات الإنسانية الطّبيعية المقابلة لها، وبعضهم يسميها بـ(الشّخصية الرّمزية) وبعضهم يسميها بـ(الشّخصية المفترضة)[١].

٨- شخصية الخيط الرّابط: و يعود أصل هذا المصطلح إلى هنري جيمز، ويعني به الشّخصية التي تكون خاضعة لنظام الحبكة، وهي تظهر لتقوم بوظيفة داخل التّسلسل المنطقي للأحداث[٢].

٩- الشّخصية السّيكولوجية: وهذا المصطلح يعود إلى هنري جيمز، ويعني به الشّخصية التي تنقاد أو تكون الحبكة وتطوراتها أو نموها خاضعة لمجرى شعور الشّخصية[٣].

ثانياً: الشّخصية لدى تودوروف:

لم يضع تودوروف تصنيفاً لأنماط الشّخصيات، وإنّما درس علاقات الشّخصيات فيما بينها، وخلاصة القواعد التي وضعها تودوروف لدراسة هذه العلاقات هي: ١- مسانيد أساسية أو قاعدية: وهي تتفرع إلى:

أ- الرّغبة: وأبرز شكل لها هو الحب.   ب- التّواصل: وهو كتم الأسرار، (كتم أسرار المقربين).

ج- المشاركة: وشكلها الأبرز هو المساعدة.(مساعدة المقربين).

٢- قواعد الاشتقاق: وهي تتفرع إلى:

---

(٥) ينظر: رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٣١/٣٠ ؛ تحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: ١٨/١٧.

(٦) ينظر: تحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: ١٨.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

(٢) ينظر: بنية الشّكل الرّوائي: ٢١٦ ومستويات دراسة النّص الرّوائي: ٨٠.

(٣) بنية الشّكل الرّوائي: ٢١٦.

أ- قاعدة التّعارض: وهو أعني بها أنَّ المسانيد الثّلاثة الأوّلى(الرّغبة، والتّواصل، والمشاركة) يعارضها ثلاثة مسانيد ضدية هي: الكراهية، ضد الحب(الرّغبة).

١. الجهر، ضد الإسرار(التّواصل).

٢. الإعاقة، ضد المساعدة(المشاركة).

ب- قاعدة المفعولية: وهي تعني من سيقع عليه فعل هذه المسانيد القاعدية أو التّعارضية.

ثالثاً: الشّخصية لدى فيليب هامون:

يقسم فيليب هامون الشّخصية الى ثلاث أنواع ويصطلح نقدنا العربي على هذه الأنواع بـ:

١- الشّخصيات المرجعية[١] أو الارجاعية: وهي الشّخصيات التي لها وجود أو مرجع واقعي تحيل عليه، وهي تكتشف في النّص السّردي عبر وعي المتلقي وثقافته، وتشمل الشّخصيات المرجعية:

أ- الشّخصيات التّاريخية مثل: عمار بن ياسر في النّص الرّوائي.

ب- الشّخصيات الأسطورية مثل: اينانا- أي عشتار- في نص روائي[٢].

ج- الشّخصيات الرّمزية مثل: المضحي والكريم.

د- الشّخصيات الاجتماعية مثل: العامل، المجاهد، المناضل، المتشرد.

٢- (الشّخصيات الواصلة) أو(الاشارية)[٣].

٣- (الشّخصيات المتكررة) أو(التّكرارية) أو(الاستذكارية)[٤]:

---

[١] ينظر:بنية الشّكل الرّوائي: ٢١٦- ٢١٧ ومستويات دراسة النّص الرّوائي: ٥٠ و ٥٢. والنّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ١١٠/١.

[٢] ينظر: مدخل إلى التّحليل البنيوي للنّصوص: ١٠١.

[٣] ينظر: مدخل إلى التّحليل البنيوي للنّصوص: ١٠١ ومستويات دراسة النّص الرّوائي: ٥٠ و٥٢ والنّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ١١١/١ وتقنيات السّرد الرّوائي: ٢٠٣.

[٤] ينظر: مدخل إلى التّحليل البنيوي للنّصوص: ١٠١. وبنية الشّكل الرّوائي: ٢١٧ والنّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ١١١/١. مستويات النّص الرّوائي: ٥٠- ٥٢. وسيمائية الشّخصيات الرّوائية: ٢٠٣.

والمصطلح الأخير هو الأدق، إذ تعني(الشّخصيات الاستذكارية) الشّخصيات التي تكون موجودة فقط عند حدوث عمليات التّذكر أو رؤيتها في المقام من لدن الشّخصيات الموجودة في النّص، ووظيفة هذه(الشّخصيات المتذكرة) هي ملء معنى الأحداث الحاضرة وتنظيمها بإعطاء تفسيرات منطقية لها.

رابعاً: الشّخصية لدى سوريو:

يرى أنَّ الشّخصية في العمل السّردي؛ تقليدية جداً، أو متوسطة فهو يدعو إلى تقليص دورها والحد من سلطانها، فيحرمها بعض مالها، أو مسرفاً في معاداتها يدعو إلى موتها تماماً، ولا أرى قصة أو رواية يمكن أنْ تنهض بغير حدث وشخصية يسند إليها سواء كانت بشرية أم غير بشرية. ووجوده نادر، ولم نجده سوى عند النّاقد المغربي حسن بحراوي والدّكتور صلاح فضل عند عرضه لأشكال الشّخصيات وأنماطها عند الغربيين ومصطلحات سوريو هي:

١. البطل: وهو زعيم اللّعبة السّردية، وهو أيضاً الشّخصية التي تعطي للحدث حركيته والتّي يسميها سوريو بـ(القوة التّيماطيقية)– أي الفاعلة.

٢. البطل المضاد: وهي شخصية ضد اتجاه البطل، وتعرقل قوته الفاعلة(التّيماطيقية) ويسميها سوريو بـ(القوة المعاكسة).

٣. الموضوع: وهو غاية البطل المنشودة، ويمثل شخصية عند سوريو بصفته(قوة جاذبية).

٤. المرسل: وهي تلك الشّخصية التي تكون موجودة في وضع يؤثر على اتجاه(الموضوع).

٥. المرسل إليه: وهي تلك الشّخصية المستفيدة من مجريات الأحداث، إذ سيؤول إليها الموضوع.

٦. المساعد: وهي الشّخصية التي تمثل القوة التي تساعد المحاور والقوى السّابقة[١].

خامساً: الشّخصية لدى بروب:

عند بروب هنالك سبع شخصيات أو أدوار توصل إليها في دراسته للحكاية العجيبة، فبروب لم يدرس الشّخصيات من حيث بُناها النّصية أو التّركيبية بل درسها ضمن محورها الدّلالي وما تؤديه من أفعال أو وظائف داخل النّص وصولاً إلى أنّه ليس لها وجود حقيقي أو مزايا طبعية خاصة بها، بل هي

---

[١] ينظر: نظرية البنائية في النّقد الأدبي: صلاح فضل، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، د. ط، ١٩٨٧: ١٦١-١٦٢؛ بنية الشّكل الرّوائي: ٢١٩.

عناصر تلجأ إليها القصة لربط وحداتها ولتوضيحها وللتّمييز بين مختلف الأحداث والأعمال فيها، فهم- أي الشّخصيا- وظائف تتمثل مادياً ليس إلا.

تختلف تسميات- أي مصطلحات- هذه الشّخصيات السّبع التي صنفها بروب عند نقادنا العرب، فهي مثلاً:

عند صلاح فضل(٢) فهي:

١- المعتدي أو الشّرير، ٢- المعطي أو الواهب، ٣- المساعد، ٤- الأميرة، ٥- الحاكم أو الآمر، ٦- البطل، ٧- البطل الزّائف.

أما عند جمال كديك(١) فهي:

١- المعتدي أو الشّرير، ٢- الواهب، ٣- الظّهير، ٤- الأسيرة، ٥- الباعث، ٦- البطل، ٧- البطل المزيف.

أما لدى عدنان بن ذريل(٢) فهي:

١- الشّرير، ٢- واهب النّعم، ٣- المساعد، ٤- البطلة، ٥- القاتل أو الوكيل، ٦- البطل أو البطل الحقيقي، ٧- البطل المزيف.

وعند حميد لحمداني(٣) هي:

١- المعتدي أو الشّرير، ٢- الواهب، ٣- المساعد، ٤- الأميرة، ٥- الباعث، ٦- البطل، ٧- البطل الزّائف.

وعند السّيد إبراهيم فتحي(٤) هي:

١- الشّرير، ٢- المانح، ٣- المعين، ٤- الاميرة، ٥- المرسل أو الموفد، ٦- البطل، ٧- البطل المزيف.

---

(٢) نظرية البنائية في النّقد الأدبي: ٩٣- ٩٤.

(١) السيميائيات السردية بين النمط السردي والنوع الأدبي : جمال كديك، أعمال ملتقى السيميائية و النص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة باجي مختار ، عنابة ، ١٩٩٥: ٢٨٢.

(٢) النّقد والاسلوبية: ١٠٢ و ١٧٤.

(٣) بنية النّص السّردي: ٢٥.

(٤) نظرية الرّواية: ١٨.

أما عند عبد العالي بو طيب[٥] هي:

١- المعتدي أو الشّرير، ٢- المانح، ٣- المساعد، ٤- الأميرة، ٥- المرسل أو الموكل، ٦- البطل، ٧- البطل المزيف.

سادساً: الشّخصية لدى كلود بريمون: عند بريمون لا يختلف مفهومه عن فهم بروب للشّخصية، أما مصطلحات أنواع الشّخصيات التي صنفها بريموند، فلم نعثر عليها في نقدنا السّردي العربي ما خلا عرض ورد للنّاقد المغربي الدّكتور حميد الحمداني، ويبدو أنَّ هذه المصطلحات مهجورة وغير مستعملة على مستوى التّطبيق، والمصطلحات هي:

أ- المنفعل ويسميه بالمستفيد أيضاً، وهي الشّخصية المتأثرة بمجريات الأحداث. ويقابل البطل عند بروب.

ب- الفاعل ويسميه بالحليف أيضاً، ويقابل البطل عند بروب.

ج- المحرض: ويقابل الباعث عند بروب.

د- الحامي: ويقابل الواهب عند بروب.

هـ- المحبط: ويقابل المعتدي أو الشّرير عند بروب.

و- محصل الاستحقاق[١].

سابعاً: الشّخصية لدى كريماس:

استطاع كريماس أنْ يستعيد ويطور محاولات كل من بروب وسوريو، ليبني من خلال بحثيهما قواعد أكثر كمالاً إذ أصبحت دراسته للفاعل- أي الشّخصية- الأنموذج الأشهر والأكثر تداولاً في دراسة الشّخصيات في نقدنا السّردي اليوم، فكريماس ينطلق في دراسة الشّخصيات من منطلق دلالي، إذ يدرسها- أي الشّخصية- بصفتها فواعل دلالية، وتختلف مصطلحات دراسة الشّخصية التي وصفها كريماس عند بعض نقادنا العرب فهي مثلاً:

عند محمد مفتاح[٢] هي: ١- البطل، ٢- الموضوع، ٣- المرسل، ٤- المرسل إليه، ٥- المساعد، ٦- العائق.

---

[٥] مستويات دراسة النّص الرّوائي: ٦٣- ٦٤ و ٨٩.

[١] ينظر: بنية النّص السّردي: ٤٣.

أنـور المرتجـي[3] هـي: ١- الـذّات، ٢- الموضـوع، ٣- المرسـل، ٤- المتلقـي، ٥- المسـاعد، ٦- المعارض.

[2] دينامية النّص "تنظير وانجاز": د. محمد مفتاح، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠: ١١٧ .

[3] حول القيمة المهيمنة: انور المرتجي، عالم الفكر، الكويت، مج ١٨، ع (١)، ١٩٨٧: ١٩٥.

رسم الشّخصية السّردية

مفهوم الشّخصية كمكون سردي في بناء القصة والرّواية في المائة السّنة الماضية على أيدي الرّواة من جهة وأيدي النّقاد من جهة أخرى قد تطور كثراً، وجوهر هذا التّطور يتمثل في ضرورة الحد من غلواء الشّخصية ومحاولة تضئيل دورها وتقليصه في النّص السّردي، بينما كانت في الرّواية التّقليدية مثلاً تعامل كأنها كائن حي له وجود فيزيائي: وصولاً إلى أنّه لابد من وصف ملامحها كاملة، وصوتها، وملابسها، وأهوائها وهواجسها وما إلى ذلك ولا بد لها من اسم، وحي تسكنه ومنزل تأوي فيه، فهذا التّطور أمسى يغيير في طريقة رسم الشّخصية.

ويتفق أغلب نقادنا على تحديد طرائق رسم الشّخصية– ما خلا القليل منهم– على أنَّ هناك طرائق متميزة لتصوير الشّخصية أو تشخيصها وهي:

–**١**– (الإخبار) أو(الطّريقة التّفسيرية) أو(التّحليلية) أو(التّقريرية) أو(التّقديم المباشر) ونفضل المصطلح الأوّل لشموله(التّفسير والتّحليل والتّقرير)[1]، وهو يعني:

الطّريقة أو الاسلوب الذي يقدم به المؤلف أو السّارد للشّخصية إلى المتلقي مباشرةً من خلال وصف مظهرها الخارجي، وأحوالها الفكرية و الثّقافية وانفعالاتها وشعورها الدّاخلي، إذ يحدد لنا ملامحها منذ البداية على الأغلب وباسلوب الحكاية أو الإخبار وبصيغة الماضي، إذ تأتي هذه الصّيغة لعرض الشّخصية التي يتفنن المؤلف في عرضها عبر تدخلاته المستمرة في مجرى السّرد[2]. وهناك عدة طرق لرسم الشّخصية عبر طريقة الإخبار وهي:

١– أنْ يقوم السّارد أو المؤلف بتقديم الشّخصية بنفسه.

٢– تقديم الشّخصية بعرض نفسها من خلال حديثها بضمير المتكلم، مع الابقاء على اسلوب الأخبار الذي يمسك به المؤلف أو السّارد لعرض افعالها وأحوالها.

---

(١) النّقد الأدبي: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٧: ١٣٨/١. النّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٨- ٦٩. تحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: ٢٢. رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٤٩- ٥٣. بنية الشّكل الرّوائي: ٢٢٣.

(٢) ينظر: النّقد الأدبي: ١٣٨/١. والنّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٨- ٦٩. وبنية الشّكل الرّوائي: ٢٢٣ و ٢٣٣. رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٤٩- ٥٣. وبنية النّص السّردي: ٥٢.

٣- تقديم الشّخصيات القصصية للشّخصية: وهو أنْ تتحدث إحدى الشّخصيات القصصية عن شخصية أخرى وتقوم عبر حديثها بعرض هذه الشّخصية من زاوية رؤيتها الخاصة[١].

-٢- (الكشف والعرض) أو(الطّريقة الدّرامية) أو(التّمثيلية) أو(التّصويرية) أو(التّقديم غير المباشر)[٢].

وتعرف هذه الطّريقة بـ(طريقة العرض التّمثيلي)، إذ إنَّ هذا المصطلح مستوحى من المصطلحات الثّلاثة الأوّلى، أما الرّابع والخامس فلا نراهما دقيقين تمام الدّقة، وبعد كل هذا نعرّف طريقة(العرض التّمثيلي) بـ:

الطّريقة التي تقدم فيها الشّخصيات ممثلة من غير توجيه(أو بتوجيه ضئيل من المؤلف أو السّارد) وكأنها تمثل على خشبة مسرح الحياة، إذ تتيح لنا هذه الطّريقة رؤية افعال الشّخصية وهي تعمل، وسماع كلامها وردود افعالها أو مواقفها من الآخرين بشكل مباشر.[٣] كما يمكننا رسم ملامح —أي شخصية- عبر صراعها مع ذاتها أو ما يحيط بها من قوى اجتماعية أو سياسية أو طبيعية راصدين نحوها من خلال تنامي ونمو الوقائع وتطورها.

ولعل أبرز طرق عرض الشّخصية في الاسلوب التّمثيلي هي:

- الحوار: وهو خير اسلوب لمعرفة أو لرسم الشّخصية، ولعل ابسط تعريف له هو: الحديث الدّائر أو المتداول بين شخصين[٤].

بهذا نكون قد بينا الشخصية في السرد وسننتقل اليها في السيرة النبوية.

---

[١] ينظر: النّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٩- ٧٠وبنية النّص السّردي: ٥٢. ورسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٤٩- ٥٢وبنية الشّكل الرّوائي: ٢٢٣ و ٣٢٤ و٢٣٣.

[٢] تحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: ٢٢. النّقد الأدبي: ١٣٨/١. النّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٩- ٧٠. الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٤٩- ٥٢. بنية الشّكل الرّوائي: ٢٢٣.

[٣] ينظر: النّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٨- ٦٩. رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: ٣٤- ٣٦ وتحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: ٢٢ وبنية الشّكل الرّوائي: ٢٢٣.

[٤] ينظر: الحوار القصصي (تقنياته وعلاقاته السّردية): فاتح عبد السّلام، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ٩٤.

الفصل الأوّل

الشّخصية في السّرد والسّيرة

المبحث الثّاني

الشّخصية في السّيرة

ظهرت العناية بالسّرد العربي القديم منذ سبعينيات القرن الماضي، ولاسيما عندما التّفت مبدعو السّرد العربي المعاصر إلى أشكال السّرد العربي القديمة محاولين الإفادة منها لبناء سرد عربي متميّز. أمّا دراسة التّراث السّرديّ العربي نفسه- التي ظهرت في مرحلة سابقة على السّبعينيات- فقد اقتصرت حتى عهد قريب، على الجمع والتّحقيق والتّصنيف حسب النّوع أو حسب عصور الأدب، والوقوف على السّمات العامة، وقد صرّح كثير من الباحثين بالشّكوى من عدم وجود دراسات تُحلّل النّصوص وتبحث في معطياتها الدّلاليّة المختلفة[1]. ويعود العهد القريب إلى منتصف الثّمانينيات وبداية التّسعينيات حينما شهدت ساحة دراسة السّرد العربي اهتماماً بالموروث السّردي العربي ومحاولة قراءته قراءات تتجاوز الإشارة إلى سماته العامّة أو تصنيفه وفقاً لنوعه إلى قصص الحب أوقصص الشّطار والعيارين...إلخ، أو توزيعه تبعاً للمراحل الزّمنيّة المعتمدة في تأريخ الأدب العربي عامة[2].

في هذا المبحث اعتمدت الاستقراء في تتبُّع عناصر اشتغال الشّخصيّة في النّصوص من حيث: نوعها ونمطها ووظيفتها وعلائقها، مفيداً من بعض ما قدَّمته مناهج تحليل السّرد في المدارس النّقديّة المختلفة، وذلك بما يتناسب مع طبيعة المبحث وما ينسجم مع مادته.

وقد حرصت على عرض الأمثلة- بنصها أو مختصرة- وتحليلها وتعليل الاستنتاجات. فقد راعيت فيها الاطلاع على النّص وعلى طريقة التّعامل معه، سواء ورد النّص مرة واحدة، أو أكثر من مرّة وفقاً لنوع الفرز المراد التّركيز عليه في كل مرّة للنّص نفسه.

ومن الحرص الشديد فقد كنت قلقاً في التّعامل مع النّص القديم لشعوري بقيمته الثّقافية التي تحتّم التّعامل معه وفقاً لخصوصيته التّاريخية وما فيها من شروط ثقافية واجتماعيّة ودينية تتطلب عدم إغفال معطياتها؛ وسبب القلق هو عدم وجود إنموذج سابق يمكن أنْ يحتذى به في دراسة السّرد العربي القديم وبالذّات السّيرة النّبوية. ولهذا فقد اتخذت طريقاً في الدّراسة ينطلق من النّص نفسه ويحاول استنطاقه

---

[1] ينظر: الرّواية العربية عصر التّجميع: فاروق خورشيد، القاهرة، دار الشّروق، ط٣، ١٩٨٢: ص٤٦؛ الأدب القصصي في الرّثاء: طه وادي، مجلة القصة، القاهرة، ع٨١، ١٩٩٥: ص٦؛ التّراث القصصي في الأدب العربي: محمد النّجار، الكويت دار ذات السّلاسل، ١٩٩٥:ص٢٢؛ فن القص في النّظرية والتّطبيق: نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، د ت: ص٧٢.

[2] ينظر: السّردية العربية: د. عبد الله إبرهيم،، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢: ص ٥؛ القصة العربية القديمة: محمد مفيد الشّوباشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦: ٧١؛ نقد النّثر في القرنين الرّابع والخامس الهجريين: فاطمة الوهيبي، الرّياض، دار العلوم، د.ط، ١٩٩١ :٥٩.

والتّعرف على معطياته ويفيد من المناهج النّقدية المختلفة في التّعامل مع النّص السّردي، وفق ما ينسجم مع مادة البحث دون أنْ أضطر إلى قسر النّصوص على الاستجابة للمداخل النّظرية التي كانت في أصلها مستندة إلى نصٍّ معروف وموثق. وقد بذلت ما في وسعي لأكون موفقا في التّعامل مع النّصوص التّراثية بطريقة مناسبة. وأرجو أنْ أكون موفقا باستعانتي ببعض أدوات السّرد الحديثة المناسبة التي أدّت إلى كشف بعض جوانب الثّراء في سرد الشّخصية بالسّيرة النّبوية وفق رؤية معاصرة.

ويأتي هذا المبحث بوصفه جزءً من محاولة النّظر في النّصوص السّردية العربية القديمة عن قرب من زوايا جديدة، ومن خلال مادة سردية تمثلت بسيرة النّبي الاعظم 5 التي لم يخصّها الدّارسون سابقاً بأبحاث سردية مستقلة.

وتبرز أهميّة الشّخصية من خلال ارتباطها بالإنسان، بوصفه محور اهتمام القصة، علاوة على أنَّ السّيرة النّبوية بوصفها تسجيلاً لتجربة إنسانيّة متعلّقة بشخصية النّبي محمد 5 وشخصيّات أخرى؛ لذا ستكون شخصية الرّسول 5 هي مركز الثّقل في السّرد ومن هنا جاء اهتمام هذا المبحث بشخصيّة النّبي الأكرم5، دون أنْ يعني ذلك عزلها عن النّص، بل في هذا المبحث سنتعامل معها على أنّها محور الدّراسة. وبهذا فإنّ دراسة الشّخصيّة تعني دراسة معطيات السّرد كافّة. وسنركّز في البحث على شخصيّة الرّسول الأكرم 5 وبعض الشّخصيات.

ولما كانت شخصية النّبي محمد 5 هي المقصودة بالدّراسة، فإننا سنحاول أنْ نتعرف على كيفيّة ظهور شخصيته 5 وكيفية تقديم شخصيّته 5 في السّيرة، ونحاول كشف وظائفها، ونرصد علاقاتها المختلفة بعضها مع بعض وبوظائفها، وبما حولها؛ محاولين رصد ما يمكن أنْ تفرزه من نمطيّة؛ ومن هنا فإن معرفة هذه النّماذج ستُسهم في التّعرّف على شخصية النّبي محمد 5 سرديا وستضفي إلى البحوث السّردية والإسلامية الباحثة في شخصية النّبي محمد 5 أثراً جيداً وجانباً من تكوين الثّقافة العربية القديمة والحديثة لما سنعمله من صهر التّراث العربي القديم بالطّرق المعاصرة الحديثة واستنتاج أشياء جديدة لم يقف عليها الدّارسون والباحثون، على ما أرجح.

ذكر شخصية النّبي محمد 5 في السّيرة

ثمة ثلاثة أنواع لذكر شخصية النّبي 5 في النّص الرّوائي للسّيرة النّبوية، وهذه الأنواع هي:

أ ـ الذّكر بالاسم (أو بالكنية): أي ذكر اسم شخصية النّبي 5 في سياق السّرد الرّوائي، مثل ما جاء في حكم الاسلام في الطّواف "فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتّى بَعَثَ الله تَعَالَى مُحَمّداً(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ حَيْنَ أَحْكَمَ لَهُ دِينَهُ وَشَرَعَ لَهُ سُنَنَ حَجّهِ { ثُمّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا الله أنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ }"[١]، وقد يذكرها بالكنية كما جاء في قول ابن هشام "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ التّيْمِيّ أَنّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَوْفٍ الزّهْرِيّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) لَقَدْ شَهِدْت فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبّ أنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النّعَمِ وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْت[٢]. كذلك "وَدَخَلَ عَلَى آمِنَةَ فَأَصَابَهَا، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ"[٣].

ب ـ الذّكر بأقوال الشّخصية: وهي الطّريقة الشّائعة، فكثيراً ما عمد الرّوائيون إلى سرد أقوال الشّخصية، ولاسيما تلك الأقوال الشّهيرة التي تحتل حيزاً كبيراً في ثقافة القراء، وهذا ما يظهر في قول ابن هشام عن الرّسول محمد5 أنَّه قال: "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمّي حِين حَمَلَتْ بِي أَنّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْماً لَنَا، إذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ وطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمّ أَخَذَانِي فَشَقّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثّلْجِ حَتّى أَنْقَيَاهُ ثُمّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زِنّهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ فَقَالَ دَعْهُ عَنْك، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمّتِهِ لَوَزَنَهَا"[٤]. والملاحظ أنَّ ثمة طريقتين لسرد أقوال الشّخصيات التّاريخية، فإما أنْ ترد في السّرد بحذافيرها، كما هي في الأصل التّاريخي، وهنا يورد الرّاوي قول القائل تاماً، دون نقص أو زيادة، وإما أنْ ترد أقوالها متداخلة مع السّرد الرّوائي، عن طرائق الرّاوي الذي يسرد ما قالتّه الشّخصية.

ج ـ الذّكر بالفعل: أي ذكر الشّخصية من خلال فعل اشتهرت به، كما فعل النّبي محمد 5 في وضع الحجر الأسود في مكانه، "فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرّوَايَةِ أنَّ أَبَا أُمَيّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَ عَائِذٌ أَسَنّ قُرَيْشٍ كُلّهَا؛ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أوّل مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا. فَكَانَ أوّل دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَلَمّا رَأَوْهُ

---

[١] السّيرة النبوية:١/ ٢٤٠.
[٢] المصدر نفسه: ١/ ١٧٠.
[٣] المصدر نفسه: ١/ ١٩٤.
[٤] المصدر نفسه:١/ ٢٠٣.

قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمّدٌ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا: حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ"[(١)].

تقديم شخصية النّبي محمد 5 في السّيرة

في السّيرة النّبوية: وجدت أنَّ شخصية النّبي محمد 5 تم تقديمها بثلاث طرائق، فإما أنْ تقدم بوساطة الرّاوي، وإما أنْ تقدم بوساطة الشّخصيات، وإما أنْ تقدم بوساطة نفسها.

١ . بواسطة الرّاوي:

يتولى الرّاوي في السّيرة النّبوية سرد الأحداث، وتقديم الشّخصيات منها شخصية رسول الله 5، ويؤدي الرّاوي هنا دور المؤرخ، فيؤرخ لمرحلة تاريخية معينة، ويقدم الشّخصيات مستخدماً ضمير الغائب، مثلا "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَإِخْوَتُهُ مِنْ الرّضَاعَةِ عَبْدُ الله بْنُ الْحَارِثِ، وَأُنَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَحُذَافَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَهِيَ الشّيْمَاءُ، غَلَبَ ذَلِكَ عَلَى اسْمِهَا فَلَا تُعْرَفُ فِي قَوْمِهَا إلّا بِهِ. وَهُمْ لِحَلِيمَةِ بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، عَبْدِ الله بْنِ الْحَارِثِ، أُمّ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ). وَيَذْكُرُونَ أَنَّ الشّيْمَاءَ كَانَتْ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمّهَا إذَا كَانَ عِنْدَهُمْ"[(٢)]. ويقصد أخوات النّبي وإخوته من الرّضاعة فقال إخوته، نجد استخدام الرّاوي لضمير الغائب يؤدي إلى تقديم شخصية النّبي 5 بواسطة الرّاوي أي أنَّه قد يتلاعب بالحقيقة ويبقى احتمالاً قائماً لدى المتلقي الذي يراوده الشّك حول صحة المعلومات المقدمة عن الشّخصية التّاريخية من جهة، فوثّق الرّاوي المعلومات التي يسردها، فأكثر من الايرادات والإحالات إلى من سبقه وأخذ منهم، وعمد إلى استخدم الفعل(قال) فأوكل إلى (ابن اسحاق)، مهمة السّرد من جهة أخرى في مواضع عديدة من السّيرة.

٢ . بواسطة الشّخصيات:

يستخدم ضمير المخاطب في حالتّين، أولاهما رفض الرّاوي الإفصاح عن الكلام المتعلق بالشّخصية، أو عدم قدرته على الإدلاء به، وثانيهما كذب المتكلم أو محاولته إخفاء شيء ما أو عدم معرفته ما حدث

---

(١) المصدر نفسه: ١/ ٢٣٣ـ ٢٣٤.

(٢) السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٨.

له[٣].

لقد استخدم ابن هشام ذلك، راداً إياها إلى ابن اسحق عن المطلب بن عبد الله ابن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة، قال: "وَلَدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عَامَ الْفِيلِ فَنَحْنُ لِدَانِ"[١]، كذلك فعل ابن هشام بقول حسان بن ثابت إذ أورد قول ابن اسحق في هذا الجانب فقال" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي صَالِحُ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيّ. قَالَ حَدّثَنِي مَنْ شِئْت مِنْ رِجَالِ قَوْمِي عَنْ حَسّانَ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ وَاللهِ إنّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أو ثَمَانٍ أَعْقِلُ كُلّ مَا سَمِعْت، إذْ سَمِعْتُ يَهُودِيّاً يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أَطَمَةٍ بِيَثْرِبَ يَا مَعْشَرَ يَهُودِ حَتّى إذَا اجْتَمَعُوا إلَيْهِ، قَالُوا لَهُ وَيْلَكَ مَا لَك؟ قَالَ طَلَعَ اللّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدِ الذي وُلِدَ بِهِ."[٢].

فقد استخدم الرّاوي ضمير المخاطِب لسببين: أولهما عدم تأكده من صحة قول صاحب الحكاية، فقد أراد ابن هشام أنْ يورد الخبر كما هو ليكون خالصّاً من النّقد الذي قد يوجه إليه وهذه إحدى طرق ابن هشام في سرد الأحداث والأخبار. وثانيهما الرّغبة في سرد الحقيقة التي زيفها الرّواة والمؤرخون الذي هم على صلة بالملوك، فالرّاوي أراد أنْ ينقل خبر قيس بن مخرمة وحسان بن ثابت من قولهما بالذّات، ثم راح يسرد الحقيقة مستخدماً ضمير المخاطِب حتى يُزيل الشّك، ويثبت الحقائق، فيقول: "قَالَ مُحَمّدُ بْنُ إسْحَاقَ فَسَالتّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ حَسّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَقُلْت. ابْنُ كَمْ كَانَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَقْدَمَ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الْمَدِينَةَ؟ فَقَالَ ابْنُ سِتّينَ سَنَةً، وَقَدِمَهَا رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً فَسَمِعَ حَسّانُ مَا سَمِعَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ"[٣]. فيتيح لنا ويعرض مواجهة ابن اسحق وسعيد بن عبد الرّحمن بن حسان بن ثابت حتى يجنب نفسه(أي ابن هشام) من النّقد ولكي يضعنا على مجرى الأحداث الصّحيح ولكي نطمأن ونحن نأخذ منه.

٣ ـ بواسطة الشّخصية نفسها:

هنا يقوم الرّاوي بنقل الكلام عن الشّخصية نفسها أو يذكر الشّخصية وهي تقوم بتقديم نفسها

---

[٣] بحوث في الرّواية الجديدة: ميشال بوتور، ترجمة: فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط٢، ١٩٨٢: ٦٩.
[١] السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٦.
[٢] المصدر نفسه: ١/ ١٩٦.
[٣] المصدر نفسه: ١/ ١٩٦.

وبتقديم تاريخها بنفسها، فظهرت شخصية النّبي محمد 5 في السّيرة النّبوية، وهي تتحدث بضمير المتكلم، وهذا ما يظهر في قول ابن هشام عن الرّسول محمد5 أنه قال: "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِين حَمَلَتْ بِي أَنّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا، إذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ وطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمّ أَخَذَانِي فَشَقّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثّلْجِ حَتّى أَنْقَيَاهُ ثُمّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زَنّهِ بِأَلْفِ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ فَقَالَ دَعْهُ عَنْك، فَوَاللّهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمّتِهِ لَوَزَنَهَا"(١).

جاء استخدام ضمير المتكلم في سرد ماضي النّبي 5 وهو متناسباً ومبدأ السّرد الرّوائي، فإنّ ما يسرده النّبي محمد 5، لا يعرفه أحد غيره، ويجهله الرّاوي نفسه، الذي لا يعرف بالتّأكيد، ما هي دعوة ابراهيم (**عليه السّلام**) وبشارة عيسى(**عليه السّلام**)، وما رأت أم النّبي 5 حين ولادته الشّريفة، وما جرى عليه عند بني سعد، إنَّ المثال السّابق المروي بصيغة ضمير المتكلم يشير بوضوح أنَّ الرّاوي ابن هشام لا يستطيع استخدام ضمير الغائب، لأنَّه يجهل كثيراً من المعلومات التي لا يعرفها إلا صاحب القصة نفسه وهو النّبي محمد 5.

ويؤدي استخدام ضمير الغائب إلى الفصل بين ما مضى وما هو حاضر(٢)، وبناءً عليه تصبح شخصية النّبي محمد 5 شخصية منتمية إلى زمن مضى دون رجعة، زمن منقطع عن الحاضر انقطاعاً كاملاً، أما استخدام ضمير المتكلم فمن شأنه أنْ يقرب بين الزّمنين، الماضي والحاضر، ويجعل شخصية النّبي 5 شخصية حية، تتكلم وتنقل بعض الأخبار، لأنّها إنْ لم تكن كذلك لما وصل إلينا القرآن الكريم ولا الأحاديث الشّريفة والقدسية.

فدراسة الشّخصية هي أنْ نقوم بعكس ما يفعله الكاتب تماما، فالكاتب يضع أساس عناصر شخصيته ثم يبنيها ويربطها بالرّواية ربطاً عضوياً، ونحن نحاول تفكيك هذا البناء إلى عناصره الأولية من خلال النّصوص. وكما يقال: الدّراسة فحص وتحليل، ونحن نفكك البناء إلى عناصره لنستطيع فهمه.

وإنّ دارس السّيرة لابد أنْ يقوم بالعمل نفسه ليعرف سر عبقرية صاحب السّيرة والعامل أو العوامل

(١) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: بحوث في الرّواية الجديدة، ميشال بوتور: ص ٦٦.

التي أدت إلى نبوغه. فالخطوة الأولى إذن هي التّحليل و الثّانية هي التّعليل، ونحن سنقوم بالعمل نفسه حيث نحلل شخصية النّبي محمد 5 إلى مقوماتها الأساسية، ثم نرى سلوكها العام كما أنّها لا تعامل بالسّلب أبدا شئنا أم أبينا لأنَّ النّبي 5 منزه عن النّقص والسّلب، ولابد إذن من وضع مخطط واضح يتضمن الخطوتين.

دراسة شخصية النّبي محمد 5 من خلال النّص:

وجدنا ونحن نخوض في دراسة شخصية النّبي محمد 5 أنّه من الواجب أنْ نضع مخططا للدّراسة وهو الذي سنستند إليه في التّحليل.

والمخطط الذي نقترحه لدراسة شخصية النّبي محمد 5 في السّيرة، ليس المقصود منه الوقوف على كتابة السّيرة بمعناها الفني، بل الوقوف على شخصية النّبي محمد 5 وجمع المعلومات وتصنيفها ثم استخدامها في كتابة الدّراسة:

١- تحليل الشّخصية بالأنماط الآتية:

أ- من هو 5؟

ب- مظهره الخارجي(مواصفاته الجسمانية 5).

ج- مولده ونشأته وأسرته وبيئته وعصره.

٢- أعماله ومآثره.

٣- التّقييم الإجمالي:

أ- الأعمال التي قام بها وأثرها فيمن حوله وفي مجتمعه وفي الإنسانية.

ب- إبراز دوره في المجتمع. فالمجتمع له دور في حياة الفرد، كما أنَّ للفرد دور في تقدم المجتمع.

ما يجب إبرازه وما تجدر الإشارة إليه هو إننا سنركز في دراستنا لشّخصية الرّسول ونحن نسير على هدى المخطط الذي وضعناه ونحاول أنْ نحلل ونستنتج من التّحليل ما يأتي:

١- من هو محمد؟ هو "مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ: شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ وَاسْمُ هَاشِمٍ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيّ،(وَاسْمُ قُصَيّ: زَيْدُ) بْنُ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ وَاسْمُ مُدْرِكَةَ عَامِرُ بْنُ إلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ(أُدّ وَيُقَالُ): أُدَدُ بْنُ مُقَوّمِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَح بْنِ يَعْرُبَ بْنِ

يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ- خَلِيلِ الرَّحْمَنِ- بْنِ تَارِحٍ وَهُوَ آزَرُ بْنُ نَاحُورَ بْنِ سَارُوغَ بْنِ رَاعُو بْنِ فَالَخَ بْنِ عَيْبَرَ بْنِ شالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَذ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لَمْكَ بْنِ مَتّوشَلَخ بْنِ أخنوخ، وَهُوَ إِدْرِيسُ النّبِيّ أَعْلَمُ وَكَانَ أوّل بَنِي آدَمَ أُعْطَى النّبُوّةَ وَخَطّ بِالْقَلَمِ- ابْنِ يَرْدِ بْنِ مهْلَيِل بْنِ قَيْنَن بْنِ يانِشَ بْنِ شِيثِ بْنِ آدَمَ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ"[١].

ويتفق مع هذا النّسب الشّيخ محمد أمين البغدادي السّويدي في كتابه سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب إلى أنْ يصل (أُدَدُ) ومن ثم ينتقل بالنّسب إلى "الهميسع بن سلامان بن بنت بن حمل بن قيدرا بن اسماعيل بن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متشولخ بن اخنوخ بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن شيث بن آدم"[١].

مما لاشك فيه، أنَّ تحديد الأبعاد الخارجية للشّخصيات. قد اهتمت به الرّواية التّقليدية منذ القرن التّاسع عشر؛ فنلحظ المعلومات الكاملة عن حياتها وماضيها وعملها وعلاقتها الاجتماعية، والوصف يشمل الملابس والهيكل الخارجي أو البنية الجسمانية والتّي تدل على مستوى الشّخصية من النّاحية الفكرية والاجتماعية، وبالعكس قد يكون الشّكل الخارجي دليلا على نفسية الفرد من الدّاخل[٢]، والرّاوي يعمد إلى هذا الوصف لتمييز الشّخصية عن باقي الشّخصيات في القصة فضلا عن الموازنة بين الشّخصية الموصوفة وبين العمل الذي ستقوم به. فيكون لدى القارئ تصوراً كاملاً عنها.

فقد اكتسبت الملامح الخارجية للشّخصية أهمية كبيرة لدى كتّاب الرّواية التّقليدية. فكلما كانت معرفتنا. بالشّكل الخارجي للشّخصية. مفصلة إزداد علمنا بها "لأنك إذا لم تعرف الشّخصيات جيداً بحيث تسطيع أنْ تشاركها مشاركة وجدانية فلن تعبأ بما يحدث لها"[٣].

إلا أنَّ هذا الاتجاه بدأ يضمحل حتى مطلع القرن العشرين، مع ظهور كتاب الرّواية الجديدة بدأ الاتجاه الجديد، وهو عدم الاهتمام بالأوصاف الخارجية للشّخصية، وإنما الغوص بداخلها والاهتمام بعالمها النّفسي "وكان أوّل تقويض للملامح الخارجية للشّخصية، قد حدث في صورة التّخلص من الاسم الصّريح للشّخصية، وتحولها إلى ضمير"[٤].

---

[١] السّيرة النّبوية: ١/٣٣-٣٤.
[١] سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب ، مكتبة المثنى، د.ت، د.ط: ٧٢ رجوعاً.
[٢] ينظر: النّقد التّطبيقي التّحليلي: ٦٩.
[٣] البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٨٧.
[٤] المصدر نفسه: ٨٧.

وتأتينا هذه الأبعاد الخارجية للشّخصيات عن طريق الوصف، والوصف هو "الخطاب الذي يرسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه"[٥].

وينصب هذا الوصف على الشّخصية القصصية، ولاسيما البعد الجسمي وما يحمله من ملامح تميز تلك الشّخصية "فالبعد الجسمي يتمثل في الجنس(ذكر أو أنثى)، وفي صفات الجسم المختلفة، من طول وقصر وبدانة ونحافة وعيوب وشذوذ، قد ترجع إلى الوراثة، أو إلى أحداث"[١]، وهذه المعلومات لابد منها في عملية القص. لأنها تحدد نوع العمل المناط إلى الشّخصية وتعطي للقارئ نوعاً من المنطقية في فهم الحدث، فكلما هم السّارد بأقحام شخصية جديدة في سلسلة الأحداث ستقوم العملية الوصفية على حساب مجرى السّرد. لأنه لا بد من تقديم المظهر الخارجي للشّخصية[٢]، وهذا يعطي للشّخصية الشّكل المألوف "بحيث تتضح سماتها وملامحها، وكلما وضحت السّمات والملامح كاملة من الخارج والدّاخل كان ذلك أكمل فتنمو وتتضح تدريجيا مع نمو الرّواية نفسها"[٣].

إلا إننا لم نجد وصفاً دقيقا لشّخصية النّبي محمد 5 عند ابن هشام يذكره في السّيرة النّبوية لأنَّه لم يكن يهتم كثير في الوصف وإنَّما يركز على سرد الأحداث والأخبار. وقد أورد ابن هشام قولاً للامام علي(عليه السّلام) يصف فيه الرّسول 5 "قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَتْ صِفَةُ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فِيمَا- ذَكَرَ عُمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ كَانَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ إذَا نَعَتَ رَسُولَ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَالَ لَمْ يَكُنْ بِالطّوِيلِ الْمُمّغِطِ وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدّدِ. وَكَانَ رَبْعَةً مِنْ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا السّبِطِ كَانَ جَعْداً رَجِلاً وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهّمِ وَلَا الْمُكَلْثَمِ وَكَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ جَلِيلَ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ أَجْرَدَ شَثْنِ الْكَفّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ إذَا مَشَى تَقَلّعَ، كَأَنّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النّبُوّةِ وَهُوَ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) خَاتَمُ النّبِيّينَ أَجْوَدُ النّاسِ كَفّا، وَأَجْرَأُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النّاسِ لَهْجَةً وَأَوْفَى النّاسِ ذِمّةً

---

[٥] وظيفة الوصف في الرّواية: عبد اللطّيف محفوظ، الدّار العربية للعلوم ناشرون، د.ط، ٢٠٠٩: ٦.

[١] النّقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، دار العودة، مصر، د.ط، ٢٠٠٥: ٦١٤.

[٢] ينظر: وظيفة الوصف في الرّواية، ص ٣٢.

[٣] الاتجاه الواقعي في الرّواية السّورية: سمر روحي الفيصل، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٨٧: ٢٨.

وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالطّهُ أَحَبّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)"[٤].

ففي التّحليل الذي نقوم به نجد أنَّه لا يُنكر العامل الوراثي في تكوين شخصية الإنسان إلا أنَّه يبقى عاملاً مساعداً ويأتي عامل التّربية ليكمل دور العامل الوراثي ونحن نريد أنْ نخصص حديثنا عن شخصية رسول الله 5، هذا العامل الذي يبدأ من السّاعات الأوّلى لولادة الإنسان ومع اللّحظات الأوّلى التي تبصر عينيه نور الحياة فتبدأ شخصية الإنسان بالنّمو وتصاغ حسب الأجواء المحيطة بها، أجواء الأسرة والبيئة والمجتمع.

إنّ دوائر التّأثير في شخصية الإنسان تتمثل في الأسرة والعائلة والبيت الذي ينشأ فيه الإنسان وكذلك البيئة والمحيط الاجتماعي، والإنسان تتقولب شخصيته ضمن قوالب معينة وضيقة مثل قالب البيئة والأسرة والمحيط الاجتماعي، بينما المطلوب في إنسان مثل الرّسول 5 أنْ لا تتقولب شخصيته ضمن هذه القوالب المتعارفة.

فكيف تكونت شخصية رسول الله 5 إذن؟ وما هو مصدر فكره؟ هل تكونت شخصية رسول الله مثلما تتكون شخصية أي إنسان؟ صحيح أنَّ الرّسول 5 بشر ولكنه بشر متميز فليس الرّسول كائناً فوق البشر أو من غير البشر إنَّما هو من البشر ولكنه بشر مُختار.

والنّاس كلهم من أصل واحد ولكن أصل الإنسان وجوهره عقله وروحه، فكلما كانت روح الإنسان شفافة أكثر كلما كان سموه وقدرته أكثر على تلقي المعنويات والكمالات النّفسية والرّوحية فالنّبي محمد 5 يمتلك روحاً شفافة ساعدته على تلقي تلك المعنويات السّلوكية، وهي التي ساعدته على أنْ يرتبط بالسّماء ويختاره الله لتبليغ رسالتّه لهذا نلاحظ أنّ:

الرّسول ومن أوّل لحظة ولادته أُبعد عن دوائر التّأثير الطّبيعية، ونجد أنَّه ولد يتيماً، فنشأ بعيداً عن الأبوين وذلك من أجل أنْ تبقى هذه الشّخصية بعيدة عن دوائر التّأثير الطّبيعية التي تؤثر في صياغة شخصيته أو تتدخل في تكوين أفكاره، فنجد أنّه 5 مات أبوه وهو في بطن أمه "ثُمّ لَمْ يَلْبَثْ عَبْدُ الله بْنُ

---

[٤] السّيرة النّبوية: ٢/ ١٤.

عَبْدِ الْمُطّلِبِ، أَبُو رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَنْ هَلَكَ وَأُمّ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حَامِلٌ بِهِ"[1]، فأبصر الحياة وهو يتيم الأب.

وفي السّنة السّادسة من عمره ماتت أمه آمنة "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَعَ أُمّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَجَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فِي كَلَاءَةِ الله وَحِفْظِهِ يُنْبِتُهُ الله نَبَاتًا حَسَنًا لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سِتّ سِنِينَ تُوُفّيَتْ أُمّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ"[2].

و أضاف ابْنُ إسْحَاقَ قَائلاً: "حَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أنَّ أُمّ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) آمِنَةُ تُوُفّيَتْ وَرَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ابْنُ سِتّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ تُزِيرُهُ إيّاهُمْ فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إلى مَكّةَ"[1]. وهو بعد لم يعش في حضن الأم ولم تلمسه يداها بالرّعاية والعطف.

والأنبياء عموماً تصاغ شخصيتهم الرّسالية صياغة خاصة كما يقول الله بالنّسبة إلى موسى (عليه السّلام): {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}(سورة طه: الآية ٣٩) و{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (سورة طه: الآية: ٤١) فالملاحظ أنَّ أغلب الأنبياء يولدون في ظروف غير طبيعية، فنجد أنَّ إبراهيم الخليل ولد في ظروف الإرهاب، وموسى ولد في عصر فرعون في أجواء يسودها التّكتم والحذر من ملاحقة السّلطة الفرعونية وعيسى ولد في ظروف غير طبيعية.

والسّبب كما أعتقد أنَّ الأنبياء مطلوب منهم أنْ يخرجوا مستقبلاً على نظام مجتمعهم ليحدثوا التّغيير الذي يرده الله سبحانه وتعالى، فلابد أنْ ينشأوا بعيداً عن الأجواء السّائدة في مجتمعاتهم الموجودة، لأنهم يعدّون- بإرادة الله- للثّورة على الأوضاع الاجتماعية الفاسدة.

فلا يصح أنْ تتأثر شخصيتهم بأي قالب من القوالب السّائدة في مجتمعهم، بل يترك لهم مجال النّمو والتّكوين في أجواء توفرها لهم العناية الرّبانية وتصنعهم اليد الإلهية.

كما نقرأ هذه الصّورة من صور السّيرة النّبوية "فَيَزْعُمُونَ أنَّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ أَخَذَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ ؛ فَقَامَ يَدْعُو الله وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ ثُمّ خَرَجَ بِهِ إلى أُمّهِ فَدَفَعَهُ إلَيْهَا. وَالتّمَسَ لِرَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٥.
[2] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٤-٢٠٥.
[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٤-٢٠٥.

وَسَلّمَ) الرّضَعَاءَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمَرَاضِعُ. وَفَ كِتَابِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السّلَامُ: {وَحَرّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ } (سورة القصص: الآية: ١٢)، قالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَاسْتَرْضَعَ لَهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، يُقَالُ لَهَا: حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي ذُؤَيْبٍ. وَأَبُو ذُؤَيْبٍ عَبْدُ الله بْنُ الْحَارِثِ بْنُ شِجْنَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ رِزَامِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ فُصَيّةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيَلَانَ"[٢] إذ كانت عادة الأشراف في مكة أنْ يرسلوا أولادهم إلى البادية ليتربوا وينشأوا في الجو الطّلق والمناخ الصّحو في البادية ولم تكنْ من عادتهم أنْ يبقوا أولادهم في المدينة لكي لا تتلوث نفسية الطّفل بأجواء المدينة ولكي يتعلم في البادية على الرّوح المنطلقة ويتعلم نطق الكلمات فكان الأشراف في مكة يقدمون أولادهم الرّضع إلى المرضعات اللّاتي يقصدن مكة في السّنين العجاف وكانت تلك السّنة التي ولد فيها رسول الله 5 سنة قاسية على قبيلة بني سعد، القبيلة التي نشأ فيها النّبي 5 فكانت النّسوة اللّاتي قدمن من قبيلة بني سعد مع غيرهن يلتمسن الأطفال طمعاً في بِرِ الآباء وأموالهم وأوشكت القافلة أنْ ترجع بالنّسوة ومع كل واحدة رضيع وكانت حليمة بنت أبي ذئيب السّعدية قد رأته أولاً ورفضته كغيرهن من المرضعات ولكنها لم تجد طفلاً آخر غيره لأنَّ أمهات الأطفال كلهن يعرضن عن حليمة لضعفها وهزالها، لأنها كانت لا تغري أمهات الرّضع وآبائهم بتسليم أولادهم إليها وفيما هي خارجة عن مكة عزّ عليها أنْ ترجع ولا شيء معها فقالتّ لزوجها إني لأكره من بين صواحبي أنْ أعود ولم أخذ معي أحداً لأرجعن إلى ذلك اليتيم ورجع لها زوجها ذلك، فرجعت إليه واحتضنته 5[١].

وعن حليمة السّعدية أنها قالتّ: "ثُمّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الله أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبّنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ وَمَا يَحْلُبُ إنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبّنًا. فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرّفُ مِنْ الله الزّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ وَكَانَ يَشِبّ شَبَابًا لَا يَشِبّهُ الْغِلْمَانُ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا. قَالتّ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا، لِمَا كُنّا نَرَى مِنْ

---

[٢] المصدر نفسه: ١٩٧/١.

[١] ينظر: السّيرة النّبوية: ١٩٧/١.

بَرَكَتِهِ"[٢]، تربى 5 مع أولادها حتى بلغ سنتين من عمره فرجعت به إلى أمه وجده كما هي مع باقي المرضعات ولكن على كرهٍ منها لأنّه قد تعلق قلبها بهذا الطّفل تعلقاً شديداً، وأحب جده عبد المطلب أنْ يبقى معها خوفاً عليه من الأمراض التي كانت تتعرض لها مكة بسبب الوفود التي تلتقي فيها من جميع أنحاء شبه الجزيرة ولا سيما وقد رأى عبد المطلب من عطف حليمة عليه ولهفتها على بقائه معها ما لم يره من أم على طفلها الوحيد واستجابت آمنة لرغبتها فرجعت حليمة به إلى بيتها وهي تحس بالسّرور والغبطة.

ولما بلغ رسول الله السّنة الثّالثة من عمره ذهبت به أمه إلى يثرب ليزور أخواله بني عدي بني النّجار وصحبته في هذه الرّحلة، حاضنته أم أيمن وهي بركة الحبشية جارية أبيه التي خلفها له مع ما خلفه من ميراث قليل، وفي هذه الرّحلة رأى محمد قبر أبيه عبد الله ولعل هذه أوّل مرة أحس فيها بلوعة الحزن في فؤاده ولعلها كذلك أوّل مرة عرف بها معنى اليتم، ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما قطعت به من الطّريق نحو مرحلة فاجأها الموت عند قرية الأبواء فدفنت هنالك ورجع النّبي محمد 5 وحيداً تمتلئ عيناه بالدّموع ويمتلئ قلبه بالأسى.

ثم نأتي إلى المرحلة الثّانية، مرحلة الرّعاية والكفالة، هذه المرحلة التي ترعرع فيها رسول الله في كفالة جده عبد المطلب في هذه المرحلة نجد أنَّ حياة الرّسول تتسم بملامح خاصة فكان عبد المطلب سيد قريش وكانت لقريش تقاليد خاصة وعادات تعارفوا عليها كابراً عن كابر فكانوا يربون أولادهم وصبيانهم على عادات معينة وكانت مجالسّ الآباء خالصّة للكبار ويبعد عنها الصّغار ولا يسمح لهم أنْ يشاركوا الآباء والكبار في مجالسّهم وندواتهم حتى يربوا الطّفل على آداب الاحترام والحشمة، فلما يبلغ لطفل مبلغ الرّجال يسمح له أنْ يرافق أباه إلى مجالس الكبار وأندية الشّخصيات البارزة في المجتمع ويجب أنْ يلتزم هذا الشّاب مع أبيه ومع وجود الكبار في المجالسّ بآداب خاصة ولا يتجاوز حدوده الطّبيعية (كان هذا عرفاً سائداً في قريش وفي مكة والجزيرة العربية) لكن بالنّسبة إلى رسول الله 5 أتيح له جو آخر فكان يعطف عليه جده عبد المطلب عطفاً كثيراً لأنه كان محروماً من الأب، وربما كان دافع عبد المطلب في احترام هذا الطّفل هو دافع العاطفة والإحساس بيتم النّبي محمد 5 والعطف عليه لكي لا يشعر بالفراغ العاطفي والحاجة إلى عاطفة الأبوة في نفسه، ولكن الله يريد شيئاً آخر يريد أنْ يتيح لهذا الطّفل أجواء خاصة ليختلط مع الكبار

---

[٢] المصدر نفسه: ٢٠١/١.

وينفتح فيها على أندية الرّجال ويأخذ ويعطي ويتربى تربية الرّجال الكبار، "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَعَ جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَكَانَ يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمُطّلِبِ فِرَاشٌ فِي ظِلّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتّى يَخْرُجَ إلَيْهِ لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إجْلَالًا لَهُ ؟ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ حَتّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤَخّرُوهُ عَنْهُ فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ، إذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ دَعُوا ابْنِي، فَوَاللهِ أنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ وَيَسُرّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ"[1]. فكان عبد المطلب يعامل هذا الغلام معاملة خاصة خارجة عن المألوف عليه وكان يقربه ويدخله عليه إذا خلا بنفسه وإذا قام وكان لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني فيؤتى به إليه.

ثم إنَّ الإنسان كما هو واضح مثل معدن الذّهب والفضة والبترول، يملك من المواهب والطّاقات الهائلة ما يحتاج إلى كشف وإخراج وتنمية، فالبترول معدن مدفون تحت طبقات سميكة من الأرض وبحاجة إلى من يأتي ويكتشف ويستخرج البترول ويصفيه ويصنعه ويحوله إلى خدمة للحياة والتّقدم، وهكذا جوهر الإنسان ومعدنه وطاقاته ومواهبه النّفسية والعقلية.

فتتدخل ظروف التّربية في المجتمع وعوامل النّمو الطّبيعية والأحداث والمراحل التي يمر بها الإنسان في إبراز شخصيته وتنمية مواهبه، حتى الأحداث القاسية من الفقر والحرمان والنّكبات التي تصدم الإنسان في تفجير أحاسيس التّحدي والمقاومة وتقوي روح الصّمود والإصرار في نفسه.

فالأحداث الذي مرّ بها الرّسول في أيام صباه وشبابه وقبل بعثته الشّريفة ساعدت على إبراز شخصيته فكان يتفاعل مع الأحداث التي تجري.

ولما بلغ سن الشّباب سافر إلى الشّام وانفتح على العالم الخارجي وتعامله التّجاري في أموال خديجة "وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ. تستأجِرُ الرّجَالَ فِي مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ إيّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجّاراً؛ فَلَمّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَا بَلَغَهَا، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ بَعَثَتْ إلَيْهِ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إلى الشّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التّجّارِ مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسَرَةَ فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْهَا، وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ حَتّى قَدِمَ الشّامَ. فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٥.

وَسَلّمَ) فِي ظِلّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنْ الرّهْبَانِ فَاطّلَعَ الرّاهِبُ إلى مَيْسَرَةَ فَقَالَ لَهُ مَنْ هَذَا الرّجُلُ الذي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ؟ قَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ؛ فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ قَطّ إلّا نَبِيّ"[1]، ثم زواجه منها، وكذلك مساهمته في مشاريع اجتماعية، مثل حلف الفضول ومشاركته في بناء الكعبة ومبادرته بحل ذلك النّزاع الذي حدث بين قبائل العرب عندما أرادوا وضع الحجر الأسود في موضعه "فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرّوَايَةِ أَنّ أَبَا أُمّيّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَ عَائِذٌ أَسَنّ قُرَيْشٍ كُلّهَا ؛ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أوّل مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا. فَكَانَ أوّل دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمّدٌ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا: حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ"[2].

ثم اشتهاره بين النّاس بالصّادق الأمين حتى أصبح هذا اللّقب ملازماً لشخصية الرّسول 5 وتأمله في غار حراء واعتزاله النّاس وابتعاده عن مكة وأجوائها الصّاخبة وانقطاعه إلى التّأمل والتّحنث في غار حراء على جبل النّور في مكة المكرمة "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ الثّقَفِيّ، وَكَانَ وَاعِيَةً عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أنَّ رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حِينَ أَرَادَهُ الله بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنّبُوّةِ كَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتّى تَحَسّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إلى شِعَابِ مَكّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلَا يَمُرّ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إلّا قَالَ السّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حَوْلَهُ فَمَكَثَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَمْكُثَ ثُمّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ الله وَهُوَ بِحِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ"[1].

هذه الأحداث والمنعطفات في حياة النّبي الأولى- قبل البعثة- كلها كانت تصقل شخصية النّبي 5 وتدفعها للبروز لتدلل على شخصية خارقة، يُكتب له أنْ يؤدي دوراً عظيماً جداً في المستقبل.

يجد النّاظر في شخصية الرّسول 5 أنَّ الجانب البشري الإنساني، هو جانب متشعب.

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٢٤.
[2] المصدر نفسه: ١/ ٢٣٣.
[1] السّيرة النّبوية: ٢٧١/١.

ونجد شخصية الرّسول 5 شخصية ذات قدرات هائلة لا يستطيع أنْ يمتلكها أيّ شخص وهذه القدرات سنذكر بعضها في النّقاط الآتية:

١- **الإرادة والهمة والعزيمة**: تعد هذه النّقطة واضحة تماماً في سيرة النّبي 5، فقد كان ذا تصميم عجيب على تنفيذ ما يريد، لا يتردد في ذلك، ولا يضعف، كما في بعثهِ أسامة بن زيد لغزو الرّوم وهو في مرض موته، وكما ظهر هذا في تصميمه على الدّعوة رغم الأذى، وفي تصميمه على حفر الخندق رغم العناء الكبير، ومن المعلوم أنَّ الإرادة الصّلبة والهمة العالية والعزيمة القوية هي الدّوافع الرّئيسة للعمل حتى تتحقق الأهداف التي يرنو المسلم إليها، فالقائد الذي لا يملك هذه الأمور لن ولم ينجح في حياته، ولن يحقق من أهدافه شيئاً.

٢- **الصّبر وسعة الصّدر**: أنَّ الحرب لا يصلح لها إلا الرّجل المكيث أي الصّبور، كما أنَّ النّاظر في سيرة النّبي 5 يطّلع على مدى ما تحمله هو وأصحابه من أذى المشركين، ويدرك مقدار حِلْمه 5 على قومه، فقد كان واسع الصّدر يقابل جهلهم بالدّعاء لهم بالهداية؛ لأنَّ قومه لا يعلمون، وهذه النّواحي من أسس العمل النّاجح، ومن المواصفات الضّرورية اللّازمة للقائد النّاجح، فمن فقدها لن ولم يحقق شيئاً مما يصبو إليه.

٣- **الشّعور بالمسؤولية**: وهذا الشّعور كان من الدّوافع الحقيقية المهمة للنّبي 5 ليتخذ لكل شيء في حياته خطوات علمية مدروسة مبرمجة، فراح يبحث عن مكان آمن يرسل إليه أصحابه؛ حفاظاً على الطّاقات الإسلامية من الإهدار والضّياع، ويظهر هذا جلياً واضحاً في سيرته 5 من أوّل يوم بعث فيه لما قال له ورقة بن نوفل: " يَا ابْنَ أَخِي أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّك لَنَبِيّ هَذِهِ الْأُمّةِ وَلَقَدْ جَاءَك النّامُوسُ الْأَكْبَرُ الذي جَاءَ مُوسَى وَلَتُكَذّبَنّهُ وَلَتُؤْذَيَنّهُ وَلَتُخْرَجَنّهُ وَلَتُقَاتَلَنّهُ وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنّ الله نَصْرًا يَعْلَمُهُ ثُمّ أَدْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبّلَ يَافُوخَهُ ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى مَنْزِلِهِ"[1] فجعل 5 يوطّن نفسه ويعدّ أصحابه لذلك.

٤- **الرّؤية البعيدة**: لقد كان إخبار ورقة له 5 بأنَّ قومه سيخرجونه وسيعادونه باعثاً له على التّخطيط المحكم والإعداد الكافي، فظهرت عبقرية النّبي 5 في التّخطيط الواضح غير المكتوب في حياته

---

[1] السّيرة النّبوية: ٢٧٤/١.

لكل أمر ذي بال، والمقصود من إبراز التّخطيط النّبوي ذكر بعض معالمه، وليس استيعاب مظاهره، ومن مظاهر هذا التّخطيط:

أ- **تقسيم الدّعوة الإسلامية على مرحلتين**: الأوّلى منهما هي مرحلة الدّعوة السّرية والتّنظيم السّري مدة ثلاث سنين، يدعو ويربي ويعلم القرآن الكريم وتوجيهاته بعيداً عن أعين المشركين؛ لأنَّه يعلم أنَّهم لن يسلموا له بما يريد، و الثّانية كانت مرحلة الجهر بالدّعوة والإعلان عنها مع الإبقاء على سيرة التّنظيم؛ لتفادي الضّربات المفاجئة، والمباغتة العدوانية.

ب- **البحث المتواصل عن أماكن آمنة للدّعوة** الإسلامية ولأتباعها كما في عرضه ذلك على القبائل، وإرسال الصّحابة الكرام إلى الحبشة في هجرتين متتاليتين، ثم في الذّهاب إلى الطّائف، ثم الهجرة إلى المدينة، وأمره لبعض الصّحابة المسلمين أنْ يرجعوا إلى أقوامهم وأنْ لا يبقوا في مكة، فلا يحسن تكديس الأتباع حيث توجد المحنة.

٥- **التّروي والتّأني والحكمة في اتخاذ القرارات ولاسيما المصيرية**: ضبط الأعصاب فقد ": قَالَ لَهُ الْعَبّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَاللهِ الذي بَعَثَك بِالْحَقّ إنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا ؟ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ وَلَكِنْ ارْجِعُوا إلى رِحَالِكُمْ. قَالَ فَرَجَعْنَا إلى مَضَاجِعِنَا، فَنِمْنَا عَلَيْهَا حَتّى أَصْبَحْنَا"[٢]؛ لأنَّ الخطوة الاندفاعية المتسرعة النّابعة من العواطف لا ترجع آثارها على القائد الذي أعطى الأمر فحسب، ولكن آثارها السّلبية تمتد إلى الجيش، بل إلى عموم النّاس، وقد يستغرق علاج آثار القرارات المتسرعة سنوات؛ مما يؤدي إلى تأخير تحقيق الأهداف، فقد كان من السّهل اغتيال أبي جهل، وإشعال معركة غير مدروسة وغير متكافئة لا يعلم مداها إلا الله تعالى، فلابد من التّروي ودراسة الأمور بجدية قبل اتخاذ أي قرار، علماً بأنَّ هذا البند لا ينافي الجرأة والشّجاعة.

٦- **ربط النّاس بالعقيدة والمبادئ والقيم والمعايير لا بالأشخاص**: كما في بيعة العقبة الثّانية: "فإن وفيتم فلكم الجنة "[١]، وكما أمر آل ياسر بالصّبر على الأذى بقوله صلى الله عليه وسلم: "صَبْرًا آلَ

---

[٢] السّيرة النّبوية: ٢/ ٦١.

[١] السّيرة النّبوية: ٢/ ٤٧.

يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الجْنّة "[٢]، بل لما قبل بعض النّاس الإسلام على أنْ يكون لهم الأمر من بعده صلى الله عليه وسلم رفض ذلك معتذراً بأنَّ الأمر لله يضعه حيث يشاء.

٧- **القيادة الشّورية:** كما في اختيار مكان معركة بدر، حيث أشار الحُبَاب بن المنذر بالنّزول عند أدنى ماء من بدر وتغوير بقية القُلُب، وكما جعل 5 يقول ويكرر: أشيروا عليّ أيها النّاس، وكذلك في اتخاذ القرار المناسب في التّعامل مع الأسرى حيث استشار الصّحابة من حوله، فلم يكن 5 يقطع أمراً دون أنْ يأخذ رأي أصحابه، ولاسيما في المسائل العامة، والأمور التي تهم جميع المسلمين، وهذا يشعر النّاس باهتمامه 5 بهم وأهميتهم ومكانتهم عنده، فيبادلونه الشّعور بالشّعور، والإحساس بالإحساس.

٨- **المرونة القيادية:** وهذه لازمةً لزوماً ضرورياً للقائد العبقري الفذ، فقد تنازل النّبي 5 عن رأيه يوم بدر لرأي الحُبَاب بن المنذر، كما تنازل لرأي شباب الأنصار بالخروج للقتال خارج المدينة يوم أُحُد وأخذ برأي سلمان في حفر الخندق "يقال إنَّ سلمان الفارسي أشار به على رسول الله5. وحدثني بعض أهل العلم أنَّ المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا ؛ وقالتّ الأنصار: سلمان منا ؛ فقال 5 "سلمان منا أهل البيت"[٣].

٩- **الخبرة بالجنود والأتباع وقدراتهم:** وذلك بهدف توزيع المهام عليهم حسب طاقاتهم وقدراتهم، كما في اختيار قائدي كتيبة المهاجرين والأنصار يوم بدر، واختيار حامل الرّاية يوم خيبر، واختيار المبارزين الأكْفاء في بدر وخيبر أيضاً، واختيار حذيفة بن اليمان ليأتي بأخبار القوم يوم الخندق، واختيار أسامة بن زيد لغزو الرّوم، ونحو ذلك، وهذا من مواصفات القيادة النّاجحة التي تحسب لكل شيء، ولديها القدرة على تقدير المواقف.

١٠- **توزيع المسؤوليات والمهام:** حيث كان يختار النّبي 5 بعض أصحابه للقيادة، وبعضهم للصّلاة بالنّاس، وبعضهم للدّعوة، وبعضهم للقضاء، وبعضهم للحكم والسّياسة على المدينة في غيابه عنها أو ليكونوا أمراء على قومهم، كما اختار حذيفة ليكون أمين سرِّه 5، وليحتفظ بأسماء المنافقين.

١١- **مشاركة الجنود أعمالهم المكلفين بها:** حيث كلف أصحابه بحفر الخندق لما أشار سلمان الفارسي به، وقسم لنفسه كما قسم لأصحابه، بل كان يعاونهم في تذليل العقبات التي تعترضهم، فلم يكن

---

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٣٥٦.

[٣] السّيرة النّبوية: ٢٧٤/٣.

5 يميز نفسه دونهم رغم تميزه بمقام النّبوة والرّسالة، وبموقع القيادة فيهم، وهذا يجعل الجنود يتفانون في تنفيذ أوامر القائد؛ لأنه يشعرهم بأنه واحد منهم وليس متعالياً عليهم.

١٢- **القدرة على الكتمان والتّخفي والتّمويه**: فما أراد 5 غزوة إلا ورّى بغيرها إلا غزوة تبوك، وكان يخرج بالجيش فيكمن نهاراً ويسير ليلاً.

١٣- **القدرة على صراع الأدمغة**: فقد اضطر 5 قريشاً لاستنفاد كل وسائلها وطاقاتها أثناء المواجهة في مكة، وكل إمكاناتها في المفاوضات مع زعمائها دون أنْ يقدروا على أنْ ينالوا منه تنازلاً ولو عن شيء من دعوته، وقد كانت الأيام الثّلاثة الأولى من الهجرة أثناء الاختباء في غار ثور سبباً في مصارعة قريش لكل أدمغتها بعد فشل خطتها في قتل النّبي 5 وهو بين أيديها لما عزمت على اغتياله وتصفيته، فراحت تبحث في كل مكان وتسأل كل إنسان تلقاه وتفتش في كل زاوية أو اتجاه دون أنْ تعثر على أثر أو تقف على معلومة عنه.

١٤- **القدرة على امتصاص الضّربات**: ومن الأمثلة في السّيرة النّبوية على ذلك حادث بئر معونة، وحادث بئر الرّجيع، وحادث ردّ أهل الطّائف له وإيذائه، وحادث الإفك.

١٥- **الثّبات والقدرة على إدارة الأزمات والتّعامل مع الشّائعات**: ففي القرآن الكريم في سورة النّساء في حق المنافقين: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أو الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذّينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً}(سورة النّساء: الآية ٨٣)، كما تعامل 5 بثبات ورباطة جأش وحسن تخطيط وإدارة مع شائعة قتله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد، واستطاع بالصّبر والحكمة والاحتمال والسّؤال وانتظار الوحي أنْ يتعامل بمهنية عالية مع شائعة الإفك إذ كانت تمثل أزمة كبيرة كادت تقتلع الدّعوة الإسلامية في المدينة المنورة من جذورها، وكذلك تعامله 5 مع أزمة أُحُد وما نتج عنها، وتعامله مع محاولة قتله ليلة الهجرة، وكذلك استطاع إدارة الأزمة المالية استعداداً لغزوة العسرة، بما أوتي من بسطة في العلم والجسم.

١٦- **معرفة أخبار الدّول المجاورة وسياساتها ومتابعة تطوراتها**: فقد كان يفاجئ القبائل التي تستعد لغزو المدينة بالسّرايا التّأديبية، وكما راح يجمع المعلومات عن قريش في الهجرة بوصفها عدواً له ولدعوته، وندب أصحابه للخروج إلى أرض الحبشة معللاً ذلك بأنَّ بها ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد، علاوة على استعداده لمواجهة الرّوم لما نقل إليه خبر إعدادهم لغزو المدينة.

١٧- **تعليم القيادة منذ اللّحظة الأوّلى**: فقد قال للأنصار لما بايعوه صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثّانية: "أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكونوا على قومهم "[١] فلا يجوز أنْ يترك النّاس هملاً بلا قيادة، وينبغي مراعاة نفوس النّاس، فقد ترك 5 الأمر إليهم ليختاروا نقباءهم بأنفسهم، ولم يفرضهم عليهم؛ لما لذلك من أثر في سلامة العمل ونجاحه.

١٨- **القدرة على صناعة القادة**: كما حدث في دار الأرقم بن أبي الأرقم وذلك من خلال تعليمهم القرآن الكريم، وتوجيهاته العقدية والأخلاقية والأمنية والتّربوية، وتنمية مواهبهم وقدراتهم، ورفع هممهم وعزائمهم، فقد خرجت مدرسة دار الأرقم كبار القادة مثل أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب سعد بن أبي وقاص وغيرهم كما تربى فيها كبار الدّعاة والمربين من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم.

١٩- **العفو والتّسامح**: كما في رجوعه من الطّائف حيث جاءه ملك الجبال بصحبة جبريل ليأمره 5 بما شاء فيهم، فقال: "لا بل أستأني بهم، فعسى الله أنْ يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً "مع قدرته على الانتقام حينئذ، وجاءه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال له: يا رسول الله، أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم، فقال: "اللّهم اهد ثقيفاً "وجاءه الطّفيل الدّوسي فقال له: يا رسول الله، إنَّ دوساً عصت وأبت فادع الله عليهم، فرفع يديه وقال: "اللّهم اهد دوساً وأْتِ بهم "[٢]، وقال للمشركين يوم فتح مكة: "ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟" قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: "اذهبوا فأنتم الطّلقاء"[٣].

٢٠- **التّواضع والاستماع للنّاس حتى نهاية حديثهم**: فيستمع للأفكار المطروحة، فقد استمع إلى عتبة بن ربيعة لما جاء يفاوضه، وقد قال له عتبة مجموعة من الشّتائم، كما كان 5 يمشي مع من يأخذ بيده إلى نهاية الطّريق، وكان لا يترك يده من يد من يصافحه حتى يكون الآخر هو الذي يبدؤه بالتّرك، فمن أحب نفسه دون قومه كرهه قومه، ومن ذلك أنْ يؤثر القائد غيره على نفسه.

من هذا كله نجد أنَّ الشّخصية الرّائعة للنّبي محمد 5 هي القمة في عالم المعرفة والعطاء ولا يمكن لأحد أنْ يحيط بشخصية أعظم رجل في الكون ألا وهو الرّسول الأعظم محمد بن عبد الله 5، حيث لم

---

[١] السّيرة النّبوية: ٢/ ٥٦.
[٢] المصدر نفسه: ١/،ص٤٢١.
[٣] المصدر نفسه: ٤/ ٦٠.

تبرزُ على طول التّاريخ مثل هذه الشّخصية العظيمة التي تجسدت في رجل أحدث تغييرات واسعة في التّاريخ الإنساني، واعتبر الرّسول 5 في المرتبة الأولى من عظماء التّاريخ البشري، كما وعدّوه أعظم شخصية في تاريخ العالم بما حققه من نجاح عظيم في إبلاغ رسالتّه وتأسيسه لدولة إسلامية كبيرة، وحضارة عريقة ظلت تغذي العالم بالعلم والمعرفة والعطاء لقرون عديدة.

وتظهر عظمة الرّسول 5 من خلال ذلك الإعجاز الهائل الذي غير به ظاهرة الجزيرة العربية وأخرجها من بؤس الجاهلية وشقاء التّقاليد الوثنية، فالجزيرة العربية كانت غارقة في جهل مطبق، وظلام دامس، وفقر مميت، وأن الذي يقارن بين الجزيرة العربية قبل البعثة وبعد البعثة يصاب بالذّهول مما يراه من التّحول الإعجازي الجذري الذي حصل فيها. يقول الإمام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السّلام) في كلام يصف فيه هذه الحالة:

"بعثه والنّاس ضلال في حيرة، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستنزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل، فبالغ 5 في النّصيحة ومضى على الطّريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة"[١].

ويقول (عليه السّلام) أيضاً في وصف الجاهلية قبل البعثة: "أرسله على حين فترة من الرّسل، وطول هجعة من الأمم واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظ من الحروب. والدّنيا كاسفة النّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها وأياس من ثمرها وأغوار من مائها، قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الرِّدى، فهي متجهمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السّيف"[٢].

فتحول الأعراب الغارقين في الصّحاري المترامية والجاهلية البائسة إلى حضارة منطلقة أعطت العالم روحاً جديدة وأفاضت عليه تاريخاً مشرقاً وضاءً.

والذي يضفي على هذه الرّسالة والرّسول آفاق النّجاح والموفقية في تحقيق أهدافها، هي تلك الانعطافة التي أحدثها رسول الله 5 في مسيرة الحياة الإنسانية. فمع انطلاقة هذه الرّسالة بدأ عهد جديد

---

[١] نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب(ت٤١هـ)، جمعه: الشّريف الرّضي، ضبط النّص: صبحي الصّالح، دار الأسوة للطّباعة والنّشر، إيران، ط٥، ١٤٢٥: ١/ ١٨٦.

[٢] نهج البلاغة: ١/ ١٥٦.

تحولت فيه الإنسانية إلى وجه جديد وحضارة متألقة تتصاعد نحو التّقدم والرّقي. إذ إنَّ الفكر الإنساني بدأ ينضج ويتبلور بعد أنْ استطاعت الحضارة الإسلامية أنْ تقدم إلى العالم النّتاج العلمي الكبير الذي أصبح وبالفعل قاعدة لانطلاقة العلم الحديث، فقد أثار الرّسول 5 برسالتّه الخالدّة كوامن الفكر، وأوقد جمرة العقل، ورسخ منهج الاجتهاد والتّجديد بعد أنْ حارب أفكار الجاهلية والتّقليد الأعمى والاستعباد والاستبداد. لينير في درب الإنسانية مفاهيم الحرية والعلم، والشّورى والإخاء والأخلاق، فبعد أنْ استطاعت الحضارة الإسلامية أنْ تمد جذورها في بلاد العالم بدأت مرحلة جديدة من الفكر والعقلانية، واتخذ العالم منهجاً متميزاً في إدارة أموره ليعتمد بالدّرجة الأولى على الحرية والعلم والعقل.

كان المنطلق الذي قامت عليه الرّسالة هو العلم {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ}(سورة العلق: الآية ١)، والحرية {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ التي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}(سورة الأعراف: الآية ١٥٧)، والعقل، ليصبح الخطاب العلمي والعقلي هو المعجزة الكبيرة التي تمثلت في القرآن، ولذلك فإن القرآن الكريم يجسد في طياته مفاهيم حضارة جديدة باستطاعتها أنْ تغذي العالم بأفكار ورؤى تعطيه الطّاقة الحيوية لبناء إنسانية متطورة.

نعم إنه منقذ البشرية ودينه دين الحياة والسّعادة، يقول تعالى في كتابه الحكيم: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنْ الظّلُمَاتِ إلى النّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}(سورة ابراهيم: الآية ١).

ومما لا ريب فيه أنَّ انطلاقة الفكر الإنساني الحديث بدأت على يد رسول الله 5 عندما حملت رسالتّه الخالدة إلى العالم تلك المفاهيم الرّاقية التي غيرت التّاريخ الإنساني ليبدأ انعطافة حضارية جديدة لا زالتّ تفيض على البشر بالعطاء والخير والعلم. فقد أرسى رسول الله 5 مبدأ الحرية بصورة عملية بعد أنْ أكد القرآن ذلك في الكثير من آياته، فكانت الحرية السّياسية والفكرية التي تعطي للإنسان الحق في التّعبير عن رأيه، وكذلك الحرية الدّينية التي تمنح للأديان الأخرى الفرصة لممارسة حقوقهم وقوانينهم، وقد ضرب الإسلام على طول تاريخه أروع الأمثلة في التّعامل مع الأديان الأخرى والتّعايش معها، فنعمت هذه الأديان بالحرية والأمن.

وإذا كان الغرب يدعي تصديه اليوم لطرح الأفكار الإنسانية الجديدة ومبادرته إليها مثل: الحرية والمساواة والدّيمقراطية وحقوق الإنسان و.. الخ..، فإنّ الرّسول الاكرم 5 كان قد سبقهم إلى ذلك قبل خمسة عشر قرناً، فكانت الحرية هي محور وجود الإنسان في الإسلام، والشّورى هي الأصل الذي لابد

للحاكم أنْ يلتزم بها في ممارسة الحكم، والمساواة هي النّظرة الاجتماعية العاملة التي يجب أنْ تحكم المجتمع الإسلامي، فلا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا بين عربي وأعجمي، إلا بالتّقوى، والنّاس سواسية كأسنان المشط، فالمقياس للتّفاضل في الإسلام هو الكفاءة المدعومة بالتّقوى لا اللّون والجنس والعنصر والطّبقة، كما أنَّ العدالة الاجتماعية هي القانون الحاكم في الإسلام. لذلك نجد أنَّ رسالة رسول الله 5 لما قامت على هذه المفاهيم ضمت كل الفصائل البشرية على اختلافها، فكان إلى جنب الأغنياء في معسكر رسول الله 5 الفقراء وإلى جنب العرب الفرس مثل سلمان الفارسي وإلى جنب الأبيض الأسود مثل بلال الحبشي، وهكذا فإنَّ رسول الله 5 بذر البذرة الأولى في حقل الإنسانية لإبداع عالم جديد يقوم على حركة من نوع جديد تحمل أفكاراً ومفاهيم جديدة. فلأول مرة في تاريخ العالم بدأت أوّل حركة إصلاحية عالمية شاملة اعتمدت على السّلم والأخلاق والعدالة والحرية والشّورى والمساواة ففتحت صفة حضارية ناصعة البياض وكتبت تاريخاً مشرقاً تفتخر به الإنسانية إلى الأبد.

إنّ دراسة حياة النّبي 5 تكشف لنا عن عقل كبير استطاع أنْ يفهم الحياة بحكمة، ويتعامل مع الواقع الخارجي بحنكة سياسية كبيرة يندر أنْ يرى لها التّاريخ مثيلاً، فالحكمة السّياسية التي تعامل بها الرّسول 5 مع أعداءه جعلته ينتصر عليهم بأسرع وقت وأقل الخسائر، فلا يمكن أنْ نجد على طول التّاريخ قائداً سياسياً كبيراً استطاع أنْ ينتصر على أعدائه بهذه السّرعة وهذا العدد القليل من الخسائر البشرية والمادية بعد أنْ كان لا يمتلك أي شيء من الإمكانات المادية التي تؤهله لأنَّ ينتصر غير عقله الكبير وحنكته السّياسية، فقيادته للحروب مع المشركين واستخدامه لأذكى الاستراتيجيات العسكرية وخاصة في اختياره للمواقع الحربية واستخدامه لأساليب الحرب السّليمة، تضعه في قمة التّاريخ العسكري، وإذا كان تقييم الخبراء العسكريين لإدارة الحرب، بأنّها الانتصار بدون حرب ودماء فإنَّ هذا يجعله 5 من أذكى القادة في التّاريخ.

ومن ناحية أخرى فإنّ الإدارة الحكيمة للصّراع السّياسي توضح عبقرية الرّسول 5 وتكشف عن أحد أهم أسباب نجاحه في حركته، ويبدو ذلك جلياً في صلح الحديبية حيث استفاد منه رسول الله 5 في تحكيم مواقع الإسلام وامتلاك حرية الحركة لأجل نشره، ويبدو واضحاً أيضاً في قدرته على إيجاد التّوازن والاتحاد بين فئات المسلمين من المهاجرين والأنصار والأوس والخزرج وذلك من خلال مسألة التّأخي التي

يمكن أنْ تعد أكبر مناورة سياسية ناجحة في التّاريخ حيث رسخت دعائم الإسلام وأدت إلى تماسك المجتمع الإسلامي وقيادته نحو هدف مشترك.

وكما يبدو ذلك أيضاً في تعامله الذّكي مع المنافقين الذّين كانوا يسعون إلى تخريب الإسلام من الدّاخل، ولكنه بحكمته 5 استطاع أنْ يحجمهم ويستوعبهم.

ويظهر العقل الكبير للرّسول 5 في فن إدارته للحكم وقدرته على تأسيس دولة حديثة قوية تمتلك نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً متوازناً، وحينها بدأت مرحلة تاريخية جديدة في حياة البشرية لم نتعرف عليها من قبل في أنظمة الحكم والدّولة. فقد اتسع نطاق المدينة وتزايد عدد سكانها، وأخذ النّاس يعمرون الأراضي الواسعة فكتب رسول الله 5 صحيفة بين المهاجرين تجعل أهل كل حي من الأنصار مسؤولين عن حيهم وعن أمن المدينة من ناحيتهم، فكانت حكومة الرّسول 5 حكومة شعبية زمامها بيد الشّعب نفسه، فتحولت حكومة المدينة إلى حكومة مثالية لم يسمع فيها جرائم أو منازعات أو فوضى أو قلة نظام، وذلك بعد أنْ استطاع الرّسول 5 ترسيخ المثل الإسلامية وتوطيد المحبة وتحكيم المساواة بين الجميع وتحصين الأمة بالقوة الحقيقية والاطمئنان الواقعي والتّقدم الصّحيح، فساد الإيمان بالمثل والقيم الإسلامية في النّاس، وتضاءلت المشاكل الفردية والنّزاعات الشّخصية، وغلب على النّاس الاتصاف بروح الجماعة والتّعاون والتّحاشي عن الوقوع في المعاصي والجرائم، وظهر في النّاس التّحلي بالأخلاق الحسنة التي لم يعرفها النّاس من قبل، فكان يؤثر النّاس بعضهم بعضاً في العطاء والبذل في سبيل الله تعالى.. وقد شعر الجميع بأنَّ زماناً جديداً يطل عليهم، فتهافتت القلوب إلى الإسلام وأخذ النّاس يلتفون حول رسول الله 5 بالطّاعة والرّضا وأخذت العشائر والقبائل والبلاد تتسابق إلى الإسلام فازدادت البلاد الإسلامية بذلك سعة ورحبا، كما ازدادت شعبية الحاكم وحرية الشّعب الممتزجة بالإيمان والفضيلة وحب الخير فأنزل الله تعالى: بسم الله الرّحمن الرّحيم {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً} (سورة النّصر)، مما تقدم كله نجد أنّ دراسة حياة الرّسول 5 وحركته الإصلاحية الشّاملة ومسيرته السّلمية العادلة تلقي أنواراً مشرقة لاختيار الطّريق نحو إيجاد التّغيير وإنقاذ العالم الإسلامي من مآسيه.

بعد الذي تقدم من كلام حول شخصية النّبي 5 سنورد جدولا فيه بعض الشّخصيات التي اخترناها من السّيرة النّبوية وهذه الشّخصيات متنوعة جاء فيها عدد من الرّجال والنّساء والفتيان والأعيان والدّعاة

وغيرهم فكانت الدّراسة قائمة على الجوهر الأول ألا وهو النّبي محمد 5 وأما دراسة الشّخصيات الواردة في الجدول أدناه فإننا إذا درسناها مفصلة فاننا نحتاج أكثر من الوقت المطلوب لذلك، وجاءت دراسة شخصية النّبي الأكرم في هذا المبحث على قدر المستطاع من الدّقة والتّحليل والاستنتاج.

جدول لبعض الشّخصيات الوارة في السّيرة:

ت	الشّخصية	عن الشّخصية
١	محمد بن عبد الله5	نبي الأمة ورسولها وقائدها الأوّل
٢	عبد الله بن عبد المطلب	والدّ النّبي توفى بالابواء
٣	آمنة بنت وهب	أم النّبي توفت بالابواء
٤	حمزة بن عبد المطلب	عم النّبي ومستشاره ومن المجاهدين
٥	خديجة بنت خويلد	زوج النّبي الأولى وخير نسائه أجمعين
٦	علي بن أبي طالب عليه السّلام	اليد اليمنى للنّبي وهو عالم وقاضي ومجاهد وحكيم وخليفة النّبي الرّابع
٧	عائشة بنت أبي بكر	زوج النّبي وبنت أبي بكر
٨	أبو بكر عتيق بن عثمان	من وجهاء قريش وخليفة النّبي الأول
٩	زينب بنت خزيمة	زوج النّبي وعظيمة الانفاق والصّدقة
١٠	عمر بن الخطاب	من وجهاء قريش وخليفة النّبي الثّاني
١١	زينب بنت جحش	زوج النّبي تزوجها بوحي من الله
١٢	طلحة بن عبيد الله	أمره النّبي بعدة سرايا وكان عضوا في الشّورى التي اختارت عثما
١٣	رملة بنت أبي سفيان	زوج النّبي خطبها ملك الحبشة للنّبي
١٤	الزّبير بن العوام	من الرّعيل الأول وأحد أعضاء الشّروى وحواري النّبي
١٥	ميمونة بنت الحارث	زوجة النّبي تزوجها في عمرة القضاء
١٦	فاطمة بنت محمد	بضعة النّبي وأم أبيها وزوج علي وأم الحسن والحسين
١٧	سودة بنت زمعة	زوج النّبي وامراة ثبطة ثقيلة

١٨	جعفر بن أبي طالب	ابن عم النّبي وأمير المهاجرين للحبشة وذو الجناحين
١٩	حفصة بنت عمر	زوج النّبي وبنت عمر بن الخطاب
٢٠	صفية بنت حيي بن أخطب	زوج النّبي تزوجها عقب غزوة خيبر
٢١	أم سلمة بنت أبي أمية	زوج النّبي تزوجها بعد الرّابعة للهجرة
٢٢	مارية القبطية	زوج النّبي أهداها له المقوقس
٢٣	عبد الله بن مسعود	من أكبر علماء الصّحابة وفقهائهم
٢٤	جويرية بنت الحارث	زوج النّبي وبنت الحارث بن ابي ضرار سيد بني المصطلق
٢٥	معاذ بن جبل	أرسله النّبي إلى اليمن أميراً ومعلماً
٢٦	عبد الله بن عباس	ابن عم النّبي وحبر الأمة وترجمان القرآن
٢٧	زيد بن ثابت	كاتب النّبي وترجمانه وجمع القرآن
٢٨	أسامة بن زيد	حُب النّبي وقائد جيش الشّام وهو فتى
٢٩	عتاب بن أسيد	استعمله النّبي على مكة وعمره ٢٥ عام
٣٠	صهيب بن سنان	صحابي ومن المجاهدين
٣١	خباب بن الارت	من الرّعيل الأول ومصابر ومجاهد
٣٢	بلال بن رباح	من الرّعيل الأول ومؤذن الرّسول
٣٣	سلمان الفارسي	فارسي لكنه أنكر الانساب إلا الاسلام
٣٤	ابو الدّرداء عويمر بن ساعدة	سماه النّبي حكيم الأمة لعظيم علمه
٣٥	أُبي بن كعب	أخذ العلم من اليهود وانتهى بعلم النّبي
٣٦	عبادة بن الصّامت	أسلم يوم العقبة وتولى قضاء فلسطين
٣٧	أنس بن مالك	قام مالك بخدمة النّبي فأخذ علما كثيرا
٣٨	عبد الله بن عمر	من الصّحابة الملتزمين بهدى النّبي
٣٩	عثمان بن عفان	خليفة النّبي الثّالثّ جمع القرآن ونشره
٤٠	ضمام بن ثعلبة	دعا قومه بن سعد بن بكر فأسلموا كلهم
٤١	عمرو بن مرة الجهني	استاذن النّبي أنْ يرسله لقومه ففعل

٤٢	الطّفيل بن عمرو الدّوسي	سيدٌ مطاع في قومه أسلم وأسلمت قبيلته دوس معه
٤٣	دحية بن خليفة الكلبي	رسول النّبي إلى قيصر
٤٤	عمير بن وهب	شيطان قريش أسلم بعد بدر
٤٥	أبو ذر الغفاري	بسببه أسلم قومه غفار وقوم أسلم
٤٦	عبد الرّحمن بن عوف	أرسله النّبي بسرية لدومة الجندل وأحد أعضاء الشّورى
٤٧	مصعب بن عمير	رسول النّبي للمدينة
٤٨	العباس بن عبد المطلب	عم النّبي ومستشاره اسلم سرا
٤٩	سعد بن عبادة	سيد الخزرج ونقيب بني ساعدة
٥٠	أسيد بن حضير	من وجهاء الاوس وسمي بالكامل
٥١	سعد بن معاذ	سيد الاوس ومن وجهاء المدينة
٥٢	خالدّ بن الوليد	قائد أرسله النّبي إلى بني الحارث بن كعب بنجران
٥٣	اسماء بنت عميس	زوج جعفر بن أبي طالب هاجرت معه إلى الحبشة
٥٤	تماضر بنت عمر الخنساء	هاجرت إلى النّبي مع بني سليم
٥٥	نسيبة بنت كعب المازنية	سقت الجرحى واشتركت في أحد
٥٦	صفية بنت عبد المطلب	عمة النّبي ومن أعظم نساء الصّحابة
٥٧	أم رومان بنت عامر	زوج ابي بكر ووالدّة عائشة
٥٨	أم سليم بنت ملحان	أم أنس بن مالك أسلمت مع الأنصار
٥٦	سعيد بن زيد	من الرّعيل الأول وسبب في اسلام عمر
٦٠	سعد بن أبي وقاص	قائد القادسية وفاتح المدائن وأحد أعضاء الشّورى

الفصل الثّاني

الزّمان والمكان في السّرد والسّيرة

المبحث الأوّل

الزّمان والمكان في السّرد

مفهوم الزّمان

يعتبر المهتمون بالرّواية أنَّ الزّمان في السّرد كالرّقم المتسلسل للكتاب، يرتب الأحداث كما يرتب الرّقم الأوراق، أنَّ الزّمان في بعض الرّوايات طويل قد يستغرق عشرين عاما أو أكثر، فإنْ حذفنا الزّمان منها، لا تستطيع الحبكة وحدها ربط الأحداث؛ فهناك فرق بين تزامن الأحداث وتعاقبها، كما أنَّ تعاقبها نفسه قد يأتي مباشرة وقد يكون بعد فاصل زمني يطول أو يقصر، إلى جانب تحديد مدة الحدث. فالزّمان إذن ليس إختيارياً في الرّواية، ولكنه ضرورة قصوى، وقد يستطيع الكاتب أنْ يعيد ترتيب الزّمان، فيبدأ بالحاضر ثم ينتقل إلى الماضي في استعادة للذّكريات، أو يمزج الحاضر بالمستقبل، ولكنه مزج واعٍ فيه استعمال للزّمن، رغم تداخل الأزمنة، أما أنْ يلغي الزّمان كليا، وهذا غير ممكن لأنَّ الحدث يحتاج إلى زمن ومكان وهو متصل بهما اتصالاً وثيقاً، ومن يلغي الزّمان في روايته، يمكن أنْ نسمي ما كتبه خواطر لا رواية.

والزّمان ليس ضرورياً لفهم تسلسل الأحداث فحسب، ولكنّه مهم أيضاً عند وصف الأماكن والمشاهد الطّبيعية، لأنّها تتغير بتغير اللّيل والنّهار وتغير الفصول.

إنّ الزّمان له أثر كبير في الفنون الأدبية أجمع، ذلك لأنَّ الزّمان الأدبي زمن إنساني فهو زمن التّجارب والانفعالات زمن الحالة الشّعورية التي تلازم المبدع، فهو ليس زمن موضوعيا أو واقعيا بل هو زمن ذاتي ونسبي من مبدع إلى آخر فهو غني بالحياة الدّاخلية، للفرد والخبرة الذّاتية له، إذ "إنّ الإنسان الذي يعي التّغيّر في طبيعته هو؛ وفي الطّبيعة من حوله، هو الذي يخلع مفهوم الزّمان المجرد على العالم المحسوس.. هكذا يغدو الزّمان(الدّورة الفلكية وحركة الكواكب وكذا تحولات الطّبيعة وتغيرات المكان)- بنفاذه إلى الذّهن- بنية لغوية، وقد تعبر عن التّجربة النّفسية بطريقة واعية ولا واعية في آنٍ واحد"[1].

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة مفهوم الزّمان في الدّراسات الفلكية والفلسفية والنّفسية، ولكن ما نعني به هو مفهوم الزّمان الأدبي، ومن الواضح أنَّ معظم القص القديم منذ بداياته وحتى السّتينيات قد صيغ في إطار التّتابع الزّمني، ثم تغير النّظر إلى الزّمن، وعلاقته بالنّص القصصي وذلك في إطار التّطور الحضاري والتّقني الذي شهدته السّاحة الثّقافية في المرحلة المعاصرة، فأصبح ثمة محاولة للخروج على البناء

---

[1] النّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ٢/١٠- ١١.

التّقليدي؛ إذ تتلاشى فكرة التّتابع الزّمني، ومبدأ السّببية بحيث تنساب الأحداث دون منطق زمني، فتتداخل الأزمنة وتشتبك، وعلى المتلقي إعادة تنظيمها مرة أخرى، ثم جاءت المدرسة الشّكلية لتقدم رؤية جديدة للزّمن، قائمة على تقسيم النّص القصصي إلى قصة، وخطاب، أو متن ومبنى، فالسّرد عبارة عن حركة الفعل من خلال الشّخصية التي تقيم معه علاقات نصية تدفع وقائع الحكي إلى الأمام ولهذا نجد أنْ بينهما علاقة جدلية.

الزّمان في السّرد

١- النّظرة العامة: يُعرف نقاد السّرد الزّمان بـ:

أ- الزّمن: هو مجرد حقيقة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على الشّخصيات والمكان؛ والزّمان هو القصة وهي تتشكل، وهو الإيقاع[١].

ب- الزّمن: خيط وهمي مسيطر على كل الأنشطة والأفكار، نجد أنَّ لكل هيئة من العلماء مفهوما للزّمن خاص بها[٢]، فهو مفهوم مجرد لا يُدرك بوجه صريح في نفسه، لا يُرى، ولا يُسمع، ولا يُشم، ولا يُلمس، ولكنه يدرك فيما يحيط بنا من أشياء وأحياء، فإدراكه يتوقف على علاقة خارجية تظاهر على الإحساس به على نحو ما[٣].

ج- الزّمن: هو"العلامة الدّالة على مرور الوقائع اليومية" وهو "إطار يشمل كل الأحداث ويضفي عليها صفة الإنتظام"[٤].

٢- النّظرة الخاصة: انطلق معظم نقادنا العرب في حديثهم عن الزّمان السّردي من الفهم اللّغوي الغّربي له وتحديدات الغّربيين له، فالزّمان في النّص السّردي هو زمن داخلي ناتج من حركة الشّخصيات فيه، ووعيها له، وقد صنف نقادنا أزمنة النّص السّردي الى:

١- (الزّمان الطّبيعي) أو(الزّمان الحدثي) أو(الزّمان اللّغوي).

---

[١] ينظر: بناء الرّواية: ٢٧.

[٢] ينظر: في نظرية الرّواية: ٢٠٢.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٦.

[٤] ينظر البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ١٧.

٢- (زمن الحكاية أو المغامرة أو القصة).

٣- (زمن القصة أو الحكاية أو المتن الحكائي) و(زمن الخطاب أو السّرد أو المبنى الحكائي أو النّص) وهذا التّقسيم هو الأشهر والأكثر تداولا من حيث النّظرية والتّطبيق عند نقادنا العرب اليوم، ويرجع أصله إلى الشّكلانيين الرّوس ومن بعدهم رينيه ويليك وأوستن وأرين وجان ريكاردو وتودوروف وجيرار جينيت[١].

أشكال الزّمان في السّرد

إنّ أشكال الزّمان في السّرد تقع ضمن إطار ثلاث علاقات هي كما يأتي:

أولاً: التّرتيب أو النّظام[٢]: هو الزّمان الذي ينشأ من تتابع الأحداث في المادة الحكائية ومن ترتيبه الفني في الخطاب[٣]، وهو يعني ترتيب الأحداث في السّرد بصورة فنية تقتضيها عمل الكاتب في خطابه السّردي، فزمن القصة وأحداثها. كما نعلم تتابعي خطي، وزمن الخطاب متقطع قد يرجع إلى الوراء وقد يتقدم إلى الامام[٤] وإنّ أيَّ انقطاع في مجرى الزّمان في القصة بالعودة إلى الوراء أو التّقدم إلى الامام، يطلق عليه نقادنا عدة مصطلحات هي:

١- التّكسير الزّمني.

٢- التّنافر الزّماني.

٣- المفارقة الزّمنية.

٤- التّقطيع الزّماني أو التّبدلات الزّمنية.

---

[١] ينظر: النّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ١٤/٢.

[٢] ينظر: بناء الرّواية الحديثة: ٣٧. وتحليل الخطاب الرّوائي: ٧٦. وتقنيات السّرد الرّوائي: ٧٤ ونظرية الرّواية: ١٠٦- ١٠٧.. والنّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ٥٣/٢. وانفتاح النّص الرّوائي: ٥٦.

[٣] ينظر: بناء الرّواية: ٣٧. والنّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ٥٣/٢. وانفتاح النّص الرّوائي: ٥٦.

[٤] ينظر: بناء الرّواية: ٣٧. وتحليل الخطاب الرّوائي: ٧٦. وتقنيات السّرد الرّوائي: ٧٤. ونظرية الرّواية: ١٠٦- ١٠٧. وبنية النّص السّردي: ٧٣؛ ومستويات دراسة النّص الرّوائي: ١٤٥؛ والنّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ٥٣/٢.

٥- الانحراف أو التّحريف[٥].

فالمفارقات الزّمنية ترتكز على مسألة التّوصيل، وإنَّ التّفريق بين الكتابة والتّوصيل يلغي المفارقة، فهي مبنية على "نقل رسالة حرفية بطريقة وسياق يتطلب استجابة في شكل تفسير صحيح لمقصد المرء"[١].

ثانيا: علاقة المدة أو الدّيمومة أو الاستغراق في الزّمن: التي تنشأ بين أحداث القصة كمقاطع سردية وبين المدة الزّمنية التي تستغرقها في النّص(طول النّص) وعلاقتها من حيث السّرعة والبطء[٢]، وتعني سرعة أو بطء الزّمان السّردي ما بين زمن القصة وزمن الخطاب. ومن مقطع لآخر: ويقاس زمن القصة بالثّواني والدّقائق والسّاعات والأيام والشّهور والسّنوات ...الخ. وزمن الخطاب بعدد الأسطر والكلمات والجمل في النّص[٣].

وهناك أربعة أشكال لتحقق الدّيمومة منهما شكلان يحققان زيادة سرعة الزّمان السّردي هما:

١ – الخلاصة أو التّلخيص أو الإيجاز أو المجمل أو المحكي المقتضب أو المختصر[٤]. والمصطلح الأوّل و الثّاني هو ما يتردد في كتاباتنا النّقدية بل بعضهم يخلط بينهما. والمصطلح الأوّل هو الأكثر تداولاً من غيره وإنْ كنا نميل إلى تسميته بـ(المجمل) أو(المقتضب) أو(الإيجاز) لأنّه أكثر توافقاً مع مصطلحاتنا النّقدية القديمة.

٢ – الحذف أو الثّغرة أو القطع أو الأكتفاء أو الأضمار أو القفز[٥] والمصطلح الأوّل هو الأكثر أستعمالاً في لغة نقدنا الحديث، وإنْ كنا نميل إلى مصطلح(الإضمار) لأنَّ دلالية القصد والقصدية التي

---

[٥] ينظر: فن الرّواية العربية بين خصوصية وتحيز الخطاب: د. يمنى العيد، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨: ١٥٥.

[١] المفارقة: د.سي. ميويك، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للتّرجمة والنّشر، بغداد، ط٢، د. ت: ص١١١.

[٢] ينظر: بناء الرّواية: ص٥٢. وتحليل الخطاب الرّوائي: ص٧٦. وبنية النّص السّردي: ٧٥. ونظرية الرّواية: ١٠٦- ١٠٧.

[٣] ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ص٨٥. وبنية الشّكل الرّوائي: ١٢٠ و ١٤٥ .

[٤] ينظر: الالسّنية والنّقد الأدبي: ص٩٨. وبنية النّص السّردي: ص٧٦. تحليل الخطاب الرّوائي: ٧٨. وفي أدبنا القصصي المعاصر: ١٢٩ و ١٣٠. مستويات دراسة النّص الرّوائي: ١٦٣.

[٥] ينظر: الالسّنية والنّقد الأدبي: ١٠١. وتحليل الخطاب الرّوائي: ٧٨. والبناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ٦٥/١. بنية النّص السّردي: ٧٦ . تقنيات السّرد الرّوائي: ٨٢ وبناء الزّمان في الرّواية المعاصرة: ١٠٠ .

يتعمدها الكاتب جلية وبائنة فيه أكثر من غيره كما أنّه أكثر أنطباقاً على تعريفه، فهو يعرف بـ: هو إضمار جزء من أحداث القصة، والإشارة إلى من هذا الجزء المدة الزّمنية المضمرة بعبارات مثل(وبقي سنة كاملة ينتظره) فهي عبارة عن الانتقالات الزّمنية التي يضمرها الكاتب ويضع دلائل ليشير إلى هذا الأضمار والأنتقال الزّمني المفاجئ[6].

ثالثا:- التّواتر أو معدل التّردد[1]: بين القدرة على التّكرار في القصة وبين السّرد في آنٍ واحد، ويعني مجموع علاقات التّكرار بين القصة والخطاب[2] وقد حدد نقدنا العربي- بحسب رؤية جينيت- أربعة أشكال من التّكرار هي:

١- أنْ يروى مرة واحدة ما حدث مرة.

٢- أنْ يروى أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة.

٣- أنْ يروى أكثرمن مرة ما حدث مرة.

٤- أنْ يروى مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة"[3] ويُصطلح أيضاً على هذه الأشكال الأربعة من التّكرار بـ:-

١- التّواتر الانفرادي[4] أو التّواتر المفرد؛ ويعرف بالسّرد لمرة واحدة، ما جرى أو حدث مرة.

٢- التّواتر التّكراري[5] أو التّواتر المكرر أو السّرد المفرد المضاعف والسّرد المؤلف المضاعف؛ ويعرف التّواتر التّكراري بالسّرد أكثر من مرة، ما حدث أو جرى مرة.

٣- التّواتر التّكراري المتشابه أو التّواتر المكرر أو السّرد المكرر ويعرف بـ: "الخطاب الواحد الذي يحكي مرة واحدة، أحداثا عديدة متشابهة أو متماثلة"[6].

---

(٦) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ٨٩. والبناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ٦٥/١.

(١) ينظر: تحليل الخطاب الرّوائي: ٧٦؛ السّردية العربية: د. عبد الله إبرهيم،، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢: ١٠٩. ينظر: نظرية الرّواية: ١٠٦و١٢١- ١٢٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ٨٢. تحليل الخطاب الرّوائي: ٧٦.

(٣) السّردية العربية: ١٠٩.

(٤) ينظر: تحليل الخطاب الرّوائي: ٧٧. بناء الزّمان في الرّواية المعاصرة: ١٢٣. وتقنيات الزّمان في السّرد القصصي: ٢٣. بناء الزّمان في الرّواية المعاصرة: ١٢٣.

(٥) ينظر: تحليل الخطاب الرّوائي: ٧٨. وبناء الزّمان في الرّواية المعاصرة: ١٢٣. تقنيات الزّمان في السّرد الرّوائي: ٢٣. الرّواية والزّمن: ٢٦٥- ٢٦٦. ينظر: بناء الزّمان في الرّواية المعاصرة: ١٢٣.

٤- التّواتر المؤلف أو السّرد المؤلف[٧] ويعرف بـ: أنه رواية ما حدث أكثر من مرة.

أنساق بناء الزّمان في السّرد

١- نسق الزّمان الهابط: أو حالة القلب وهذان المصطلحان غير شائعين في الدّراسات العربية، بل قليلان جداً، ويعرف النّسق الزّمني الهابط بأنه بداية مستوى سرد القصة من نهايتها وصولا إلى بدايتها[١].

٢- نسق الزّمان الصّاعد: أو حالة التّوازن المثالي ويعرف بأنه بداية مستوى القصة من نقطة في الحاضر وصولا إلى لحظة التّأزم ثم الحل والخاتمة. إذ هو نسق زمني تتابعي أو تصاعدي في بناء أحداثه[٢].

٣- نسق الزّمان المتقطع: أو حالة الانطلاق من وسط المتن الحكائي هو بداية مستوى القصة من نقطة تقع في منتصف سرد الأحداث ثم تتأزم وتتقاطع الأزمنة فيها استرجاعاً واستباقاً[٣].

٤- نسق السّرد الافقي: وهو مصطلح الدّكتور شجاع العاني وهو السّرد الذي تبدأ فيه الأحداث من نقطة في الحاضر وتتجه إلى المستقبل باستمرار. دون عودة وارتداد إلى الماضي[٤].

٥- السّرد المنحني: وهو السّرد الذي تبدأ فيه الاحداث من نقطة في الحاضر وتتجه إلى المستقبل، لكنه يعود باستمرار إلى الماضي[٥].

٦- السّرد اللّولبي: وهو السّرد الذي تتكرر فيه العودة إلى الماضي بتكرر السّرد نفسه، بحيث تصبح حركة السّرد إلى امام والى خلف والى المستقبل والماضي شبيهة بحركة اللّولب[٦].

---

[٦] الرّواية والزّمان: ٢٦٥- ٢٦٦. تقنيات الزّمان في السّرد الرّوائي: ٣٠. تحليل الخطاب الرّوائي: ٧٨.

[٧] الرّواية والزّمان: ٢٦٥- ٢٦٦. تقنيات الزّمان في السّرد الرّوائي: ٣٠.

[١] ينظر: الالسّنية والنّقد الأدبي في التّنظير والممارسة: موريس أبو ناضر، دار النّهار، بيروت، ط١، ١٩٧٩: ٨٦- ٨٧. مستويات دراسة النّص الرّوائي: ١٥٠- ١٥١. ينظر الالسّنية والنّقد الأدبي: ٨٦- ٨٧.

[٢] ينظر: مستويات دراسة النّص الرّوائي:١٤٨ و ١٥٠- ١٥١. ينظر الالسّنية والنّقد الأدبي: ٨٦- ٨٧.

[٣] ينظر: الالسّنية والنّقد الأدبي: ٨٦- ٨٧. مستويات دراسة النّص الرّوائي: ١٥١.

[٤] البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/٧٥- ٧٦.

[٥] البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/٧٥- ٧٦.

[٦] المصدر نفسه: ١/٧٥- ٧٦.

المكان في السّرد

لقد أثار عنصر المكان في السّرد اهتمام كثير من الباحثين والنّقاد، فتناولوه بالبحث والدّراسة، بدءاً بـ(باشلار) الذي أصبح كتابه "جماليات المكان" مرجعاً رئيساً لكل من أراد الولوج في هذا الموضوع، ثم توالت الدّراسات والبحوث العالمية والعربية، إلا أنَّ هذه الدّراسات بتقسيماتها تنصهر لتصب في بوتقة واحدة، مفادها أنَّ للمكان في العمل الأدبي مفهومين لا ثالث لهما:

الأوّل: واقعي له أبعاده، وحجمه، ومساحته في الواقع.

الثّاني: متخيل أوجده القاص ليتوائم، مع أحداث قصته، وشخصياتها.

بل أنَّ الواقعي فيها هو في حقيقته متخيل، لأنَّ الأدب أو الفن لا يحاكي الواقع بل يحاكي ما يمكن أنْ يقع على سبيل الضّرورة والرّجحان.

ولنقادنا العرب اختيار خاص لمصطلح المكان فحسين الواد مثلاً يتبنى مصطلح(المساحة والاطار)[1] في دراسته لرسالة الغفران، من غير مراجعة لمعناها المعجمي، ومدى توافقهما مع المعنى الفني للمكان بصفته حاوياً للاحداث وغيرها.

وقد اختار مصطلح المكان كل من سيزا قاسم وشجاع العاني وموريس أبو ناضر وياسين النّصير وعبد الله ابراهيم ومهند يونس ويمنى العيد وعبد الحميد المحادين وجميل شاكر وسمير المرزوقي وسعد العتابي وغالب هلسا، وهو الأصح وهذا ما أرجحهُ.

لقد كان للمكان أهمية خاصة في أدبنا العربي القديم، من خلال "تجربة ثبتت في الشّعر العربي على مدى طويل، وبسبب ثباتها وتشابه معالمها الخارجية عُدّت مجرد تقليد شكلي، أو تكلس غير ذي أهمية أو دلالة. وهي البكاء على الأطلال"[2] وما نعتقده أنَّ الحقيقة عكس ذلك لأنَّ الأطلال الواحدة تتعدد وتتغير صورها من شاعر إلى آخر، حسب رؤية الشّاعر للطّلل.

فتتعدد أنواع المكان بحسب طبيعة المكان واختلاف وجهات النّظر إليه، فالمكان الواحد يمكن أنْ يكون أماكن متعددة بسبب اختلاف وجهات النّظر إليه.

---

(1) ينظر: البنية القصصية في رسالة الغفران: ٦٠.

(2) جماليات المكان: غاستون باشلار، تر: غالب هلسا, بيروت, المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع, ط٣, ١٩٨٧: مقدمة المترجم: ٩.

ونتيجة لذلك تعددت الأمكنة لدى الأدباء "فالمكان الذي يقع فيه الانجاز اسماه (غريماس) باللّامكان مبيناً بذلك أنَّ العقل المعبّر عن الذّات والجوهر لا يمكن أنْ ينسجم في اطار مكاني معين فمكان العقل هو اللّامكان أي نفي المكان بوصفه معطى ثابتاً "[1] فما نراه قد يكون ثابتاً في دلالتّه للوهلة الأوّلى، ولكن الزّمان كفيل بأنَّ يجعل له دلالات أخرى جديدة بسبب اختلاف الاحداث وتغيّر مفردات المكان وتعدد الانطباعات فيه.

واستطاع بعض النّقاد والدّارسين والباحثين المعاصرين تحديد أنواع مختلفة للمكان، فمن خلال دراسة(بروب) لمجموعة من الحكايات الشّعبية استطاع تحديد ثلاثة أطر مكانية:

المكان الأصل، والمكان الذي يحدث فيه الاختبار التّرشيحي والمكان الذي يقع فيه الانجاز أو الاختبار الرّئيس [2]. وهو بهذا يستند في تقسيمه على قيمة الحدث. فالمكان الأوّل: يمثل البيئة التي نشأت فيها الشّخصية و الثّاني: يمثل حالة وسطى بين المكانين وهو مكان طارئ تواجدت فيه الشّخصية لمرحلة ما. أما المكان الأخير: فهو مكان استوعب الأحداث الأخيرة لذلك العمل الرّوائي.

ونجد أنَّ ذلك يجعل الأحداث محوراً لتحديد أهمية المكان، فالمكان لا يستطيع أنْ يمثل نفسه بمعزل عن الحدث، مع أنَّ الأوّل هو الإطار الذي يحتوي الثّاني.

ولم يستعمل النّقاد الكلاسيون سوى كلمة للدّلالة على كل أنواع المكان. حيث لم يكن معنى الفراغ بمفهومه الحديث بعد، بينما ضاق الفرنسيون بمحدودية كلمة(الموقع) فبدأوا في استخدام كلمة (فراغ)، لم يرضَ نقاد الانجليزية عن اتساع كلمة (مكان /فراغ)، وأضافوا كلمة(البقعة) للتّعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث[3].

وتفرق سيزا قاسم بين دلالة الكلمات(الموقع والمكان والفراغ) إذ ترى أنَّ كلٌّ من(الموقع والمكان) يدلان على المكان المحدد الذي يتركز فيه الحدث، بينما كلمة(الفراغ) تدل على المكان المتسع

---

[1] عادل عبد الجبار روائياً، ص ١١٤، وينظر: دراسة في الأدب العربي، مصطفى ناصيف، الدّراسة القومية للطّباعة والنّشر، القاهرة، د. ت، ص١٥٨.

[2] ينظر: الفضاء الرّوائي لجبر ابراهيم جبرا، ص ١٩٧.

[3] بناء الرّواية: ٧٤- ٧٦.

الذي تتكشف فيه أحداث الرّواية، وهي ترتأي استعمال مصطلح (المكان) اتساقاً مع ذوق نقدنا العربي[٤].

أما جميل شاكر وسمير المرزوقي فهما يكتفيان بـ(المكان) عند حديثهما عن أنواع المكان، أما بقية النّقاد فلا يبينون سبب تبنيهم لمصطلح(المكان) دون غيره[١].

وهناك من يصنّف المكان إلى:

١- المكان المجازي: وهو مكان افتراضي، ليس له وجود فعلي مؤكد، ويوجد في الرّوايات ذات الأحداث المتتالية، ويمتاز هذا المكان بأنّه سلبي وخاضع لنزوات الشّحصيات والأحداث الرّوائية، وتكون صفات هذا المكان من النّوع الذي ندركه ذهنياً ولكننا لا نعيشه.

٢- المكان الهندسي: ويعنى به المكان الذي تعرضه الرّواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد، وبذلك يكثر من المعلومات التّفصيلية فيتحول إلى مكان خرائطي يتكون من مجموعة من السّطوح والالوان والتّفاصيل التي تلتقطها العين منفصلة ولا تحاول أنْ تقيم معها مشهداً كلياً.

٣- المكان المعاش: ويعني به مكان التّجربة المعاشة داخل العمل الرّوائي والقادر على اثارة ذكرى المكان عند القارئ وهو مكان عاشه مؤلف الرّواية، وبعد أنْ ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال[٢].

ويرى النّاقد محمد برادة أنَّ تقسيمات غالب هلسا هذه لا يمكن الأخذ بها لأنَّ تقسيم الامكنة أو الفضاءات إلى مجازية وغير مجازية، لأنّها كلّها مجازية لا تساوي الواقع والمكان داخل أي نص أدبي يصبح في النّهاية نوعاً من السّعة المجازية كما لا يمكن أنْ نقول مكاناً هندسياً أو مكاناً معاشاً لأنَّ جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية قد يصفها الكاتب وقد لا يصفها وقد يستنبطها من خلال أساساتها الدّاخلية لذلك يقسم الأمكنة إلى:

أ- فضاءات ممكنة حيث يمكن إرجاعها إلى مرجع معين.

ب- فضاءات متخيلة لا يمكن أنْ نعود بها إلى خارج النّص أو إلى مرجع[٣].

---

[٤] ينظر: بناء الرّواية: ٧٤- ٧٦.

[١] ينظر: مدخل إلى نظرية القصة: ٥٨.

[٢] الرّواية العربية واقع وآفاق: غالب هلسا ومحمد برادة وآخرون: ص ٢١٧.

[٣] السّردية في النّقد الرّوائي العراقي من ١٩٨٥ م -١٩٩٦ م: احمد رشيد الدّرة، رسالة ماجستير، كلية التّربية للبنات- جامعة بغداد، ١٩٩٧: ١٧٣.

ونجد أنَّ دراسة النّاقد ياسين النّصير لها طابع خاص، فهو يصنف الامكانة إلى نوعين(مكان موضوعي) و(مكان مفترض) وتتلخص خصائص الأوّل من انه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية وتستطيع أنْ تؤشر عليه بما يماثله اجتماعياً وواقعياً احياناً، اما خصائص الثّاني فهو ابن المخيلة، البحت، الذي تتشكل أجزاؤه وفق منظور مفترض وهو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع الا انه غير محدد، وغير واضح المعالم..)[1] ويضع النّاقد جملة من الملاحظات على هذا التّقسيم هي:

١- أنَّ هذا التّقسيم يقوم على فرضية أنَّ الاحساس بالمكان آتي نتيجة انعكاس الواقع الموضوعي على مخيلة الفنان، وكذا نجد هذا الإحساس عميقاً تارة وسطحياً تارة اخرى، وما التّقسيمات التي أوردناها الا بمثابة التّدرج الاولي لهذا الانعكاس على الفنان وبالطّبع لا نعني بالمكان هنا قيمة مجردة من فعل الانسان أو من أحداث التي تجري على أرضية، وأما نعني به القيمة التي يشكلها في العمل الرّوائي.

٢- أنَّ المكان لا يكون ذا قيمة فنية وفكرية إلا إذا كان نتاج عمل الانسان واعي.

٣- ولذلك، فإنّ التّقسيم المذكور لا يضع فواصل حادة بين نوع وآخر، وإنّما جاء نتيجةً لدرجة وعي الكاتب بأهمية المكان.

٤- أنَّ التّقسيم المذكور ابتعد عن كون المكان، أي مكان ما هو إلا مجرد حدود خارجية للأفعال، بل هو جزء من عملة البناء الفني كلها[2].

وهو يقسم(المكان المفترض) الى:

١- المكان اليوتوبي المفترض.

٢- المكان الاجتماعي المفترض[3].

وكذلك يفعل بـ(المكان الموضوعي) إذ يصنفه إلى:

١- المكان الموضوعي المغلق التّكوين: مثل السّجون والمنص والاماكن الثّانية.

٢- المكان الموضوعي المنفتح: مثل البيت والمؤسسات الاجتماعية والحدائق وغيرها[4].

---

(١) الرّواية والمكان: ياسين النّصير، دار الحرية للطّباعة، بغداد، الموسوعة الصّغيرة، عدد ٥٧، ط١، ١٩٨٠: ٢٧/١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧/١- ٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢/١ و ٣٦.

(٤) المصدر نفسه: ٤٣/١ و ٧٢.

ويضف إليها مكاناً ثالثّاً يصطلح عليه بـ(المكان ذو البعد الواحد) وهي الأماكن التي لا يعطيها الكاتب خصوصية في النّص الرّوائي، بل يكتفي أما بالتّعريف بها بشكل عام أو كونها تجري فيها الأحداث ولا تدخل في تفاصيلها أو ذكرها إلا ذكراً عابراً، وهي موجودة على صعيد الامكنة الموضوعية والامكنة النّفترضة في المخيلة.وقد شايع هذا التّقسيم عبد الحميد المحادين[1].

أما التّصنيف الآخر الذي لا يقل أهمية عن محاولة ياسين النّصير هو تصنيف الدّكتور شجاع العاني، في دراسته الرّائدة في مجالها ونوعها(البناء الفني في الرّواية العربية في العراق) فهو يصنف الأمكنة إلى:

١- المكان المسرحي: وهو يقابل(المكان المجازي)عند النّاقد غالب هلسا، وهذا المكان هو عبارة عن المكان الذي يتسم بضبابية الملامح ومحدوديته كما يتصف بالتّحكمية في تصويره، فهو مكان سلبي، خاضع للأحداث والشّخصيات وتابع لهما، وهو بؤرة الصّراع من حيث التّناقض والتّعايش[2].

٢- المكان التّاريخي: وهو المكان الذي لا ينفصل عن الزّمان، وهو ما يدعوه بـ(الزّمكانية)، ويتكون من العلاقة النّاشئة بين الأمكنة والتّاريخ أو التّاريخ والأمكنة، وتؤدي هذه الثّنائية الدّور الأساس في حركة الأحداث ومنح الحبكة ثراءها ودلالتّها[3].

٣- المكان الأليف: وهو ذلك المكان الذي يأتلف معه الإنسان ويترك في نفسه أثراً لا يمحى، كأنْ يكون مكان الطّفولة الأوّل أو مكان الصّبا أو الشّباب، وأي مكان نشأ فيه وترعرع وأصبح من مقوماته الفكرية والإنفعالية والعاطفية، إذ يثير فيه- هذا المكان- الإحساس بالطّمأنينة والأمن والذّكرى[4].

٤- المكان المعادي: وهو المكان الذي يرغم الانسان على العيش فيه، كالسّجون والمنافي، أو يشكل خطراً على حياته مثل ساحات الوغى، فلا يشعر في هذه الاماكن بالالفة والطّمأنينة والرّاحة، بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية[5].

---

[1] التّقنيات السّردية في روايات عبد الرّحمن منيف: ١٠٩.

[2] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: (الوصف وبناء المكان): ٢٨/٢ و ٣٣- ٣٥.

[3] المصدر نفسه: ٤٤/٢ و٥٩- ٦٠.

[4] الرّواية والمكان: ٨٢/٢ و ٩٩.

[5] الرّواية والمكان: ٨٢/٢ و ١٢٩.

ويبدو من هذا التّصنيف أنَّ الاستاذ العاني، قد تأثر وزاوج بين جهد النّاقد غالب هلسا والفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار.

أما النّاقد عبد الله ابراهيم في دراسة(البناء الفني لرواية الحرب في العراق) قد ميز بين نوعين للمكان هما:

١- المكان الآمن.

٢- المكان غير الآمن[1].

وهما صورتان مما اصطلح عليهما الدّكتور العاني(المكان الأليف والمكان المعادي)، أما في دراسته الثّانوية بـ(السّردية العربية) بحث في البنية السّردية للموروث المكاني العربي، فهو لم يعطِ (المكان) أهمية في بحثه على الرّغم من خصوبته وتنوعه في النّماذج التي درسها مثل قصص(ألف ليلة وليلة) و(السّير الشّعبية) و(المقامات)، ولم نعثر في هذه الدّراسة على أي مصطلح أو منهج لدراسة المكان سوى مصطلح واحد وهو(البؤرة المكانية)، وهذا المصطلح هو صورة مموهة من مصطلح بروب(المكان الأصل) ويعني المكان الذي ينطلق فيه البطل لأنجاز مهمة ما، ثم العودة إليه بعد إنجاز المهمة[2].

نكون بهذا قد أنهينا الزّمان والمكان في السّرد وسنتجه إليهما في السّيرة.

---

[1] ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ١٣٩ ــ ١٤٠.

[2] ينظر: السّردية العربية: ١٥١- ١٥٨.

الفصل الثّاني
الزّمان والمكان في السّرد والسّيرة
المبحث الثّاني
الزّمان والمكان في السّيرة

الزّمان في السّيرة

بعد دراسة كتاب السّيرة النّبوية وجدت أنَّ ابن هشام قد تتبع بعض الأخبار التي سبقت ولادة الرّسول5 فقد تحدث عن أحداثٍ جرت في بلاد العرب سابقا، إلى أنْ يسرد قصة ابرهة وهجومه على مكة المكرمة وما جرى عليه وجيشه في عام الفيل(١)، ثم يستطرد الحديث عن الولادة المباركة التي غيرت مجرى الحياة، ... إلخ.

لكن ابن هشام لم يكنْ قد تتبع الأحداث بتسلسلها التّام الصّحيح وأعزو هذا إلى كثرة مَنْ نقل عنهم ابن هشام أولاً؛ وبُعدُ المدة الزّمنية والأحداث بينه وبين النّبي محمد 5 ثانياً، لأنَّ النّبي محمد 5 توفي سنة ١١ للهجرة، بينما ابن هشام توفي ٢١٨ للهجرة، وهذا فارق زمني كبير، فقد تَحْدُثُ بعض الالتّباسات في الأزمنة وسرد الأحداث.

ووجدت أنَّ ابن هشام كان مستلسلاً في الأحداث تسلسلاً جزئياً أو متقطعاً في بعض الأحيان، ونجد أنّه يستخدم بعض الكلام في غير موضعه حسب ما يراه وما تناله ذاكرته أو بما يمر من سياق الحديث عن شيء ويقوم بذكر الأشياء المرتبطة بذلك الشّيء من قاعدة الشّيء بالشّيء يذكر، وهذا ما يسمى في العمل السّردي بالمفارقات الزّمنية أو التّكسير الزّمني، وكان نسقَ ترتيبه للأزمنة هو نسق الزّمن الصّاعد أو حالة التّوازن المثالي(٢)، ويعرف بأنه بداية مستوى القصة من نقطة في الحاضر وصولا إلى لحظة التّأزم ثم الحل والخاتمة. إذ هو نسق زمني تتابعي أو تصاعدي في بناء أحداثه(٣)، وكذلك يمكن أنْ يكون نمطه هو نسق الزّمان المتقطع(٤)، وهو حالة الانطلاق من منتصف سرد الأحداث ثم تتأزم وتتقاطع الأزمنة فيه استرجاعاً واستباقاً.

وبعد أنْ تمت دراسة السّيرة وتحليلها وجدنا أنَّ عناصر السّرد فيها مرتبطة ارتباطاً تاماً فيما بينها فالشّخصية ترتبط بالمكان والزّمان والحدث وكل عنصر من العناصر هو مرتبطة بباقي العناصر ارتباطاً تاماً

---

(١) ينظر السّيرة: ج١، ص: ٦٠، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٩٦، ١٠٨.

(٢) ينظر: مستويات دراسة النّص الرّوائي: ١٤٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٠- ١٥١.

(٤) الالسّنية والنّقد الأدبي: ٨٦- ٨٧.

لا يمكن أنْ يكتمل العمل أو السّرد إلا بترابط العناصر معاً[٥]. ووجدنا أنَّ ابن هشام في سيرته قد وظّف بعض أدوات الزّمان من استرجاع واستباق وتسلسل، فهو يستلسل أكثر من الاستباق والاسترجاع[١]، وقد يكون وظّفها بمعرفة منه في أساليب الرّواية أو إنّه وظفها دون علمه بها وهذا ما نراه. سنشرع في تحليل الزّمان ونورد الأمثلة كي لا نطيل ونصل إلى زبدة عملنا بأقل كلام ممكن وواضح. سنقوم بتجزئة الزّمان حسب نوع الوظيفة المستخدمة أي حسب سياقها هل هي استرجاعية أم استباقية أم متسلسلة.

الاسترجاع الزّمني في السّيرة

– الاسترجاع: "وهو مخالفة لسّير السّرد تقوم على عودة الرّاوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق. وهذه المخالفة لخط الزّمان توّلد داخل الرّواية نوعاً من الحكاية الثّانوية. ولا شيء يمنع أنْ تتضمن الحكاية الثّانوية بدورها استرجاعاً، أي حكاية فرعية داخل الحكاية الثّانوية"[٢] فجاء في سرد الأحداث استرجاع من قبل ابن هشام سنورد له الأمثلة ونشرحها حسب ما تحتاج من شرح وإبانة.

نجد أنَّ ابن هشام قد استخدم طريقة الاسترجاع فكان مجمل ما استرجعه إما أنْ يكون من قوله هو، أو قولاً للشّخصية، فسنقوم بإيراد الأمثلة لكي نقف على موطن الشّاهد وتتضح الفكرة.

– الاسترجاع:

١– حديث رسول الله عن حلف الفضول:

ويذكر ابن هشام "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ التّيْمِيّ أَنّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَوْفٍ الزّهْرِيّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبّ أَنّ لِي بِهِ حُمْرَ النّعَمِ وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْت"[٣]. نجد هنا أنَّ إيراد

---

[٥] ينظر: السّيرة النّبوية: ٤/ ٩٢؛ ٣/ ٢٣٨؛ ١/ ٢٧١؛ ٤/ ١٦٩؛٣/ ٧٧؛ ٣/ ١٨٧.

[١] ينظر: السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٢؛ ١، ٢٠٣؛ ١/ ٢٠٢؛ ١/ ٢٣٥- ٢٣٦؛ ١/ ٢٣٨؛ ١/ ٣٧٤- ٣٧٥؛ ١٤/٢.

[٢] معجم مصطلحات نقد الرّواية: لطيف زيتوني، دار النّهار للنّشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢: ص١٨.

[٣] السّيرة النبوية: ١/ ١٧١.

ابن هشام حديث النّبي محمد 5 هو استرجاع إذ إنَّه يورد الفعل الماضي (شهدت) وهذا استرجاع واضح لانّه يذكر حادثة قديمة.

٢- حديث النّبي 5 عن نفسه والأنبياء قبله:

إذ: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ وَحَدّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا أَحْسَبُهُ إلّا عَنْ خَالدّ بْنِ مَعْدَانَ الْكُلَاعِيّ أنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَالُوا لَهُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِك؟ قَالَ: نَعَمْ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمّي حِين حَمَلَتْ بِي أَنّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا، إذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمّ أَخَذَانِي فَشَقّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فطَرَحَاهَا، ثُمّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثّلْجِ حَتّى أَنْقَيَاهُ ثُمّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زَنّهِ بِأَلْفِ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ فَقَالَ دَعْهُ عَنْك، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمّتِهِ لَوَزَنَهَا"[١]، في هذا الايراد نجد أنَّ حديث النّبي محمد 5 عن الأنبياء قبله، وهو دعوة النّبي ابراهيم (عليه السّلام) وبشرى النّبي عيسى(عليه السّلام) إنَّما هو عودة واسترجاع للماضي.

٣- حديثه 5 عن رعي الغنم:

إذ قال: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَقُولُ مَا مِنْ نَبِيّ إلّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ قِيلَ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ وَأَنَا[٢]. وهنا عودة واسترجاع كذلك لانّه يرتبط في زمن الماضي.

٤- رجوع حليمة به 5 إلى أُمه:

إذ يذكر ابن هشام أنَّ حليمة رجعت بالنّبي 5 إلى أُمه آمنة ع وقالتّ: "فَاحْتَمَلْنَاهُ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمّهِ فَقَالتّ مَا أَقْدَمَكِ بِهِ يَا ظِئْرُ وَقَدْ كُنْتِ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مُكْثِهِ عِنْدَك؟ قَالتّ فَقُلْت: قَدْ بَلَغَ الله بِابْنِي وَقَضَيْتُ الذي عَلَيّ وَتَخَوّفْت الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ فَأَدّيْته إلَيْك كَمَا تُحِبّينَ قَالتّ مَا هَذَا شَأْنُك، فَاصْدُقِينِي خَبَرَك. قَالتّ فَلَمْ تَدَعْنِي حَتّى أَخْبَرْتُهَا. قَالتّ أَفَتَخَوّفَتْ عَلَيْهِ الشّيْطَانَ؟ قَالتّ قُلْت نَعَمْ، قَالتّ كَلّا، وَاللهِ مَا لِلشّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ وَإِنّ لِبُنَيّ لَشَأْناً، أَفَلَا أُخْبِرُكِ خَبَرَهُ قَالتّ (قُلْت) بَلَى، قَالتّ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ

---

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٢.

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٣.

بِهِ أَنّهُ خَرَجَ مِنّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشّامِ، ثُمّ حَمَلْتُ بِهِ فَوَ اللهِ مَا رَأَيْت مِنْ حَمْلٍ قَطّ كَانَ أَخَفّ (عَلَيّ) وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْته وَإِنّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ رَافِعٌ رَأْسَهُ إلى السّمَاءِ دَعِيهِ عَنْك وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً "[٣]. ففي هذا المثال نجد أنَّ الحديث فيه استرجاع واضح؛ إذ إنَّ أم النّبي آمنة(عليها السّلام) تسرد لحليمة ما رأت حين حملت بالنّبي محمد 5 وهذا استرجاع جلي.

٥- حديث الحمس:

نجد هنا ابن هشام يرجع إلى الماضي كما يقول: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ- لَا أَدْرِي أَقَبْلَ الْفِيلِ أَمْ بَعْدَهُ- ابْتَدَعَتْ رَأْيَ الْحُمْسِ رَأْيًا رَأَوْهُ وَأَدَارُوهُ فَقَالُوا: نَحْنُ بَنُو إبْرَاهِيمَ وَأَهْلُ الْحُرْمَةِ وَوُلَاةُ الْبَيْتِ وَقُطّانُ مَكّةَ وَسَاكِنُهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ مِثْلُ حَقّنَا، وَلَا مِثْلُ مَنْزِلَتِنَا، وَلَا تَعْرِفُ لَهُ الْعَرَبُ مِثْلَ مَا تَعْرِفُ لَنَا، فَلَا تُعَظّمُوا شيئاً مِنْ الْحِلّ كَمَا تُعَظّمُونَ الْحَرَمَ، فَإِنّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ اسْتَخَفّتْ الْعَرَبُ بِحُرْمَتِكُمْ وَقَالُوا قَدْ عَظّمُوا مِنْ الْحِلّ مِثْلَ مَا عَظّمُوا مِنْ الْحَرَمِ. فَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى عَرَفَةَ، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا، وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَيُقِرّونَ أَنّهَا مِنْ الْمَشَاعِرِ وَالْحَجّ وَدِينِ إبْرَاهِيمَ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَيَرَوْنَ لِسَائِرِ الْعَرَبِ أَنْ يَقِفُوا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُفِيضُوا مِنْهَا، إلّا أَنّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ الْحُرْمَةِ وَلَا نُعَظّمُ غَيْرَهَا كَمَا نُعَظّمُهَا نَحْنُ الْحُمْسُ وَالْحُمْسُ أَهْلُ الْحَرَمِ، ثُمّ جَعَلُوا لِمَنْ وُلِدُوا مِنْ الْعَرَبِ مِنْ سَاكِنِ الْحِلّ وَالْحَرَمِ مِثْلَ الذي لَهُمْ بِوِلَادَتِهِمْ إيّاهُمْ يَحِلّ لَهُمْ مَا يَحِلّ لَهُمْ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ"[١]. وهنا استرجاع واضح لأنّه يسرد حادثة في زمن الماضي.

٦- سؤال قريش للنّبي 5 عما سبق:

جاء في قول ابن هشام: "فَجَاءُوا رَسُولَ اللهِ- صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ- فَقَالُوا: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنَا عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدّهْرِ الْأَوّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصّةٌ عَجَبٌ وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوّافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؛ وَأَخْبِرْنَا عَنْ الرّوحِ مَا هِيَ؟ قَالَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ- صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ- : أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَالتّمْ عَنْهُ غَدًا وَلَمْ يَسْتَثْنِ فَانْصَرَفُوا عَنْهُ. فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ-(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فِيمَا يَذْكُرُونَ- خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحْدِثُ الله إلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ حَتّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكّةَ، وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمّا سَالنّاهُ عَنْهُ وَحَتّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللهِ- صَلّى الله عَلَيْهِ

---

[٣] السّيرة النّبوية: ٢٠٢/١.

[١] المصدر نفسه: ١/ ٢٣٥- ٢٣٦.

وَسَلّمَ- مُكْثُ الْوَحْيِ وَشَقّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلّمُ بِهِ أَهْلُ مَكّةَ: ثُمّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنْ اللهِ- عَزّ وَجَلّ- بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فِيهَا مُعَاتَبَتُهُ إيّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ الْفِتْيَةَ وَالرّجُلِ الطّوّافِ وَالرّوحِ"[٢]. وهنا كذلك عودة واسترجاع لحوادث قد جرت في الماضي وتمت الاجابة عليها من قبله 5.

٧- مقالة المهاجرين في عيسى(عليه السّلام) عند النّجاشي:

وجاء في قول ابن هشام: " فَلَمّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَآتِيَنّهُ غَدًا عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. قَالتّ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَتْقَى الرّجُلَيْنِ فِينَا: لَا نَفْعَلُ فَإِنّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا ؛ قَالَ وَاللهِ لَأُخْبِرَنّهُ أَنّهُمْ يَزْعُمُونَ أنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالتّ ثُمّ غَدًا عَلَيْهِ (مِنْ) الْغَدِ فَقَالَ (لَهُ): أَيّهَا الْمَلِكُ إنّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالتّ فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ. قَالتّ وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا قَطّ. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ثُمّ قَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا قَالَ اللهُ وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. قَالتّ: فَلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالتّ: فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الذي جَاءَنَا بِهِ نَبِيّنَا(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. قَالتّ فَضَرَبَ النّجَاشِيّ بِيَدِهِ إلى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمّ قَالَ: وَاللهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ قَالتّ: فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَالَ وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي- وَالشّيُومُ الْآمِنُونَ- مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ ثُمّ قَالَ مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ. مَا أُحِبّ أنَّ لِي دَبَراً مِنْ ذَهَبٍ وَأَنّي آذَيْت رَجُلًا مِنْكُمْ- "[١]. وهنا كذلك عودة واسترجاع.

٨- وصف الرّسول 5 لابراهيم وموسى وعيسى(عليهم السّلام):

جاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَزَعَمَ الزّهْرِيّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ أنَّ رَسُولَ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَصَفَ لِأَصْحَابِهِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى حِينَ رَآهُمْ فِي تِلْكَ اللّيْلَةِ فَقَالَ أَمّا إبْرَاهِيمُ فَلَمْ أَرَ رَجُلًا أَشْبَهَ قَطّ بِصَاحِبِكُمْ وَلَا صَاحِبُكُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْهُ وَأَمّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى كَأَنّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَأَمّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَرَجُلٌ أَحْمَرُ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطّوِيلِ سَبْطُ الشّعَرِ كَثِيرُ خِيلَانِ الْوَجْهِ كَأَنّهُ

---

[٢] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٣٨.

[١] السّيرة النبوية: ١/ : ٣٧٤- ٣٧٥.

خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ تَخَالُ رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً وَلَيْسَ بِهِ مَاءٌ أَشْبَهُ رِجَالِكُمْ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيّ"[2]. وهنا كذلك عودة واسترجاع.

---

(2) المصدر نفسه: ٢/ ١٤.

الاستباق الزمني في السّيرة

– الاستباق: "هو مخالفة لسّير زمن السّرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد. والاستباق شائع في النّصوص المروية بصيغة المتكلم، ولاسيما في كتب السّير والرّحلات حيث أنَّ الكّاتب أو الرّواي والبطل أدوار ثلاثة يمثلها فرد واحد، وهذا الاختلاط في الأدوار يؤدي إلى تداخلها وبالتّالي إلى تداخل أزمانها. ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعاً ما بشان المستقبل. والاستباق أنواع مختلفة باختلاف موقع الحدث المستبق في زمن السّرد الأوّلي، أي زمن حكاية الرّاوي الأساسية"[١].

فالاستباق هو مرحلة زمنية مستقبلية يقوم السّارد بذكر الأحداث قبل وقوعها وهذا متأتي من ناحيتين حسب ما نرجح، الأوّل: هو أنَّ الرّاوي يعلم بالأحداث كلها أي أنَّ الاحداث كلها معرفة ومعلومة لدى الرّاوي، وهذا ما حدث بالفعل لدى ابن هشام فهو عارف بتفاصيل الأحداث فكان يرتب بالتّسلسل ويستبق ويسترجع أحيانا، و الثّاني: أنَّ هنالك بعض الأحداث والأقوال استباقية بالفعل أي أنَّ هناك تنبؤات حقيقية صحيحة وهذا ما نجده أيضاً في السّيرة.

وسنقوم بإيراد الأمثلة التي ورد فيها الاستباق لكي تتوضح الفكرة.

– الاستباق:

١– نجد ابن هشام في حديثه عن موطن هاجر(**عليها السّلام**) زوج نبي الله ابراهيم(**عليه السّلام**) قد انتقل إلى المستقبل إذ يذكر رسول الله 5 وهو يوصي بأهل مصر، كما في الآتي "قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ أنَّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ قَالَ الله اللهَ فِي أَهْلِ الذّمّةِ، أَهْلِ الْمَدَرَةِ السّوْدَاءِ السّحْمِ الْجِعَادِ فَإِنّ لَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا قَالَ عُمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ: نَسَبُهُمْ أنَّ أُمّ إسْمَاعِيلَ النّبِيّ– صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مِنْهُمْ. وَصِهْرُهُمْ أنَّ رَسُولَ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ) تَسَرّرَ فِيهِمْ. قَالَ ابْنُ لَهِيعَةَ أُمّ إسْمَاعِيلَ هَاجَرُ، مِنْ أُمّ الْعَرَبِ، قَرْيَةٍ كَانَتْ أَمَامَ الْفَرَمَا من مِصْرَ. وَأُمّ إبْرَاهِيمَ مَارِيَةُ سُرّيّةُ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ التي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أنْصِنا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ الله بْنِ شِهَابٍ الزّهْرِيّ أنَّ عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيّ ثُمّ السّلَمِيّ حَدّثَهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ قَالَ إذَا

---

[١] معجم مصطلحات نقد الرّواية: لطيف زيتوني: ١٦/١٥.

افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنّ لَهُمْ ذِمّةً وَرَحِمًا فَقُلْت لِمُحَمّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزّهْرِيّ: مَا الرّحِمُ الّتِي ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ لَهُمْ؟ فَقَالَ كَانَتْ هَاجَرُ أُمّ إسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ. "[(١)] وهذا الاستباق واضح المعالم أي أنّه يتحدث في شيء معين كحديثه عن موطن السّيدة هاجر وما إلى ذلك كما جاء في النّص، وإذا به ينتقل إلى زمن النّبي محمد 5 ويوصي بأهل مصر خيراً فنجد أنَّ في هذا المثال استباق واضح.

٢- كذلك يتحدث ابن هشام عن حال كسرى ومبعث النّبي 5 في قوله: "فَبَلَغَنِي عَنْ الزّهْرِيّ أَنّهُ قَالَ: كَتَبَ كِسْرَى إلى بَاذَانَ: أَنّهُ بَلَغَنِي أَنّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْش خَرَجَ بِمَكّةَ، يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ، فَسِرْ إلَيْهِ فَاسْتَتِبْهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلّا فَابْعَثْ إلَيّ بِرَأْسِهِ. فَبَعَثَ بَاذَانُ بِكِتَابِ كِسْرَى إلى رَسُولِ اللّهِ(صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَكَتَبَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ(صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَنّ اللّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا فَلَمّا أَتَى بَاذَانَ الْكِتَابُ تَوَقّفَ لِيَنْظُرَ وَقَالَ إنْ كَانَ نَبِيّا فَسَيَكُونُ مَا قَالَ. فَقَتَلَ اللّهُ كِسْرَى فِي الْيَوْمِ الذي قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قُتِلَ عَلَى يَدَيْ ابْنِهِ شِيرَوَيْه."[(٢)] نجد أنَّ ابن هشام يتحدث عن كيفية نهاية أمر الفرس في اليمن وإذا به يذكر مبعث النّبي وإرساله إلى الفرس كتاباً فيه موعد مقتل كسرى وهذه الأحداث كلها استباق عن أمرها المتسلسل.

٣- كذلك بعد ذكره مبعث النّبي 5 يذكر قول النّبي وهو من الاستباق أنّه قال: "قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَبَلَغَنِي عَنْ الزّهْرِيّ أَنّهُ قَالَ فَمِنْ ثَمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ(صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سَلْمَانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ"[(٣)]. هنا نجد أنَّ ابن هشام يتحدث عن اسلام باذان وأمر الفرس إلا أنّه يسرد قول النّبي محمد 5 عن سلمان الفارسي أو المحمدي وينقل لنا خبراً ليس في محله بل في المستقبل وفي هذا المثال استباق.

٤- وكذلك حديثه عن نبؤة سطيح وشق* إذ قال عنها: "قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَهُوَ الذي عَنَى سَطِيحٌ بِقَوْلِهِ "نَبِيّ زَكِيّ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيّ ". وَالذي عَنَى شِقّ بِقَوْلِهِ "بَلْ يَنْقَطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ يَأْتِي بِالْحَقّ

---

(١) السّيرة النّبوية: ١/ ٣٨-٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٠٣-١٠٤.

(٣) السّيرة النّبوية: ١٠٤/١.

* كاهنان في العصر الجاهلي تنبئا بمبعث النّبي 5 ومكانته في قومه وما له من شأن عظيم.

وَالْعَدْلِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إلى يَوْمِ الْفَصْلِ"[٤]. وفي هذا المثال استباق واضح إذ إنَّ ابن هشام يورد قول سطيح وشق عن نبوءة النّبي محمد 5 وقد استخدما كلاماً مسجعاً وهذه عادة الكهان في الجاهلية، ففي هذا المثال استباق واضح.

٥– حديثه عن أمهات النّبي 5:

يقول ابن هشام: "فَوَلَدَ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سَيّدَ وَلَدِ آدَمَ مُحَمّدَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. وَأُمّهِ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ ابْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ . وَأُمّهَا: بَرّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ ابْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ. وَأُمّ بَرّةَ أُمّ حَبِيبٍ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ. وَأُمّ أُمّ حَبِيبٍ بَرّةُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُوَيْجِ بْنِ عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ ابْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَرَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا، وَأَفْضَلُهُمْ نَسَبًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ[١]. نجد في هذا المثال أنَّ ابن هشام قد أورد الحديث عن ولادة النّبي محمد في غير موضعها وفي غير أوانها إذ إنّه يسرد الحديث عن أولاد عبد المطلب ويستبقل الحدث ويورد حديثه عن ولادة النّبي 5 ثم يعود ليتحدث عن احتفار زمزم وأمر جرهم ودفن زمزم، ففي هذا المثال استباق واضح كما بينا من الأمر.

٦– نبوءة رجل من لهب عن رسول الله 5:

روى ابن هشام هذا الخبر عن ابن اسحاق وهو" حَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ الزّبَيْرِ، أنَّ أَبَاهُ حَدّثَهُ أنَّ رَجُلًا مِنْ لهَبٍ– قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَهَبٌ مِنْ أَزْدَ شَنُوءَةَ– كَانَ عَائِفًا، فَكَانَ إذَا قَدِمَ مَكّةَ أَتَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ بِغِلْمَانِهِمْ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ وَيَعْتَافُ لَهُمْ فِيهِمْ. قَالَ فَأَتَى بِهِ أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ غُلَامٌ مَعَ مَنْ يَأْتِيهِ فَنَظَرَ إلى رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ثُمّ شَغَلَهُ عَنْهُ شَيْءٌ فَلَمّا فَرَغَ قَالَ: الْغُلَامُ عَلَيّ بِهِ فَلَمّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيّبَهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يَقُولُ وَيْلَكُمْ رُدّوا عَلَيّ الْغُلَامَ الذي رَأَيْت آنِفًا، فَوَاللهِ لَيَكُونَنّ لَهُ شَأْنٌ. قَالَ

---

[٤] السّيرة النّبوية: ١/ ١٠٤.

[١] السّيرة النبوية: ١/ ١٤٦.

فَانْطَلَقَ أَبُو طَالِبٍ"[٢]. ففي هذا المثال نجد أنَّ الاستباق واضح إذ إنَّ الرّجل الذي تنبأ بشأن النّبي 5 دليل على الاستباق لأنّه قال (ليكونن) أي سيكون للنّبي شأن عظيم فهو يتحدث عن المستقبل.

٧- قصة بحيرى:

ويورد ابن هشام قصة بحيرى التي فيها استباق واضح إذ إنّه قال: "رَآهُ بَحِيرَى وجَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظاً شَدِيداً وَيَنْظُرُ إلى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ حَتّى إذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرّقُوا، قَامَ إلَيْهِ بَحِيرَى، فَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ أَسْأَلُك بِحَقّ اللّاتِ وَالْعُزّى إلّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِنّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ لِأَنّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا. فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَالَ لَهُ: لَا تَسْالنّي بِاللّاتِ وَالْعُزّى، فَوَ اللهِ مَا أَبْغَضْتُ شيئاً قَطّ بُغْضَهُمَا، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى: فَبِاللهِ إلّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمّا أَسْأَلُك عَنْهُ فَقَالَ لَهُ سَلْنِي عَمّا بَدَا لَك. فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ فِي نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يُخْبِرُهُ فَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ ثُمّ نَظَرَ إلى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النّبُوّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ التي عِنْدَهُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمِحْجَمِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْك؟ قَالَ ابْنِي. قَالَ لَهُ بَحِيرَى: مَا هُوَ بِابْنِك، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيّا ؛ قَالَ فَإِنّهُ ابْنُ أَخِي ؛ قَالَ فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ مَاتَ وَأُمّهُ حُبْلَى بِهِ قَالَ صَدَقْت، فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيك إلى بَلَدِهِ وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ فَوَاللهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنّهُ شَرّا، فَإِنّهُ كَائِنٌ لَابْنِ أَخِيك هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ فَأَسْرِعْ بِهِ إلى بِلَادِهِ"[١]. نجد هنا في قول بحيرى عن شأن النّبي محمد 5 المستقبلي هو استباق لأنه يستقبل له مستقبله ويخبر عمه بذلك كما جاء في النّص.

٨- إخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرّهبان من النّصارى بمبعثه5:

"قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَتْ الْأَحْبَارُ مِنْ يَهُودَ وَالرّهْبَانُ مِنْ النّصَارَى، وَالْكُهّانُ مِنْ الْعَرَبِ، قَدْ تَحَدّثُوا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَبْلَ مَبْعَثِهِ لَمّا تَقَارَبَ مِنْ زَمَانِهِ. أَمّا الْأَحْبَارُ مِنْ يَهُودَ وَالرّهْبَانُ مِنْ النّصَارَى، فَعَمّا وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ زَمَانِهِ وَمَا كَانَ مِنْ عَهْدِ أَنْبِيَائِهِمْ إلَيْهِمْ فِيهِ. وَأَمّا الْكُهّانُ مِنْ الْعَرَبِ فَأَتَتْهُمْ بِهِ الشّيَاطِينُ مِنْ الْجِنّ فِيمَا تَسْتَرِقُ مِنْ السّمْعِ إذْ كَانَتْ وَهِيَ لَا تُحْجَبُ عَنْ ذَلِكَ

---

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٢١٦.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢١٩- ٢٢٠.

بِالْقَذْفِ بِالنّجُومِ. وَكَانَ الْكَاهِنُ وَالْكَاهِنَةُ لَا يَزَالُ يَقَعُ مِنْهُمَا ذِكْرُ بَعْضِ أُمُورِهِ لَا تُلْقِي الْعَرَبُ لِذَلِكَ فِيهِ بَالًا، حَتّى بَعَثَهُ الله تَعَالَى، وَوَقَعَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ التي كَانُوا يَذْكُرُونَ فَعَرَفُوهَا فَلَمّا تَقَارَبَ أَمْرُ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَحَضَرَ مَبْعَثُهُ حُجِبَتْ الشّيَاطِينُ عَنْ السّمْعِ وَحِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَقَاعِدِ التي كَانَتْ تَقْعُدُ لِاسْتِرَاقِ السّمْعِ فِيهَا، فَرُمُوا بِالنّجُومِ فَعَرَفَتْ الجِنّ أنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ حَدَثَ مِنْ أَمْرِ الله فِي الْعِبَادِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيّهِ مُحَمّدٍ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حَيْنَ بَعَثَهُ وَهُوَ يَقُصّ عَلَيْهِ خَبَرَ الجِنّ إذْ حُجِبُوا عَنْ السّمْعِ فَعَرَفُوا مَا عَرَفُوا، وَمَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ حَيْنَ رَأَوْا مَا رَأَوْا: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الجِنّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً؛ يَهْدِي إِلى الرّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحداً؛ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً؛ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى الله شَطَطاً؛ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى الله كَذِباً؛ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}(سورة الجن: الآية ١- ٦) إلى قَوْلِهِ {وَأَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ للسّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا؛ وَأَنّا لَا نَدْرِي أَشَرّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبّهُمْ رَشَدًا}(سورة الجن: الآية ١٠). فَلَمّا سَمِعَتْ الجِنّ الْقُرْآنَ عَرَفَتْ أَنّهَا إنّمَا مُنِعَتْ مِنْ السّمْعِ قَبْلَ ذَلِكَ لِئَلّا يُشْكِلَ الْوَحْيُ بِشَيْءٍ مِنْ خَبَرِ السّمَاءِ فَيَلْتَبِسُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَا جَاءَهُمْ مِنْ الله فِيهِ لِوُقُوعِ الْحُجّةِ وَقَطْعِ الشّبْهَةِ"[١]. وفي هذا النّص استباق واضح.

٩– انذار اليهود به 5 ولما بُعِثَ كفروا به:

" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: أنَّ مِمّا دَعَانَا إلى الْإِسْلَامِ مَعَ رَحْمَةِ الله تَعَالَى وَهَدَاهُ لَنَا، لَمَا كُنّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ وَ كُنّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ قَالُوا لَنَا: إنّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ فَكُنّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَلَمّا بَعَثَ الله رَسُولَهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إلى الله تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعّدُونَنَا بِهِ فَبَادَرْنَاهُمْ إلَيْهِ فَآمَنّا بِهِ وَكَفَرُوا بِهِ فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنْ الْبَقَرَةِ {وَلَمّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ}(سورة البقرة: الآية ٨٩)"[٢]، نجد في هذا النّص استباق إذ إنَّ اليهود

---

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٤١.

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٢٤٨.

قالتّ: "إنّه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن" وتستخدم (قد) مع (الفعل المضارع) لتفيد الاستقبال وهو نص فيه استباق واضح.

١٠– حديث سلمة عن اليهودي الذي أُنذِرَ بالرّسول 5:

" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي صَالِحُ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ مَحْمُودِ ابْنِ لَبِيدٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ، وَكَانَ سَلَمَةُ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ. قَالَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ حَتّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ – قَالَ سَلَمَةُ وَأَنَا يَوْمئِذٍ مِنْ أَحْدَثِ مَنْ فِيهِ سِنّا، عَلَيّ بُرْدَةٌ لِي، مُضْطَجِعٌ فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي– فَذَكَرَ الْقِيَامَةَ وَالْبَعْثَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنّةَ وَالنّارَ. قَالَ فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ لَا يَرَوْنَ أَنّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَقَالُوا لَهُ وَيْحَك يَا فُلَانُ أَوَتَرَى هَذَا كَائِنًا، أَنّ النّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إلى دَارٍ فِيهَا جَنّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟ قَالَ نَعَمْ وَالذي يُحْلَفُ بِهِ وَلَوَدّ أَنّ لَهُ بِحَظّهِ مِنْ تِلْكَ النّارِ أَعْظَمَ تَنّورٍ فِي الدّارِ يَحْمُونَهُ ثُمّ يُدْخِلُونَهُ إيّاهُ فَيُطَيّنُونَهُ عَلَيْهِ بأَنّ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النّارِ غَدًا. فَقَالُوا لَهُ وَيْحَك يَا فُلَانُ فَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ نَبِيّ مَبْعُوثٌ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلى مَكّةَ وَالْيَمَنِ. فَقَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ فَنَظَرَ إلَيّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنّا، فَقَالَ إنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمْرَهُ يُدْرِكْهُ. قَالَ سَلَمَةُ فَوَاللهِ مَا ذَهَبَ اللّيْلُ وَالنّهَارُ حَتّى بَعَثَ الله مُحَمّدًا رَسُولَهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَهُوَ حَيّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنّا بِهِ وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا. قَالَ فَقُلْنَا لَهُ وَيْحَك يَا فُلَانُ السّت الذي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْت؟ قَالَ بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهِ .."[١] في هذا النّص نجد أنَّ الكاهن اليهودي قد تحدث عن يوم الحساب وما يناله الإنسان من كفره وخيره، وقال لأصحابه أنَّ آية ذلك: "نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن. فقالوا: ومتى تراه؟ قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سناً، فقال إنْ يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، فهذا دليل واضح على الاستباق إذ إنّهم يعرفون بأنَّه سوف يُبعث نبيٌ في هذه البلاد، وهو إستباق جلي.

١١– قول ابن الهيبان في مبعث النّبي 5:

" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ قَالَ لِي: هَلْ تَدْرِي عَمّ كَانَ إسْلَامُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ وَأَسِيد بْنِ سَعْيَةَ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ، نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَدْلٍ إخْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ، كَانُوا مَعَهُمْ فِي جَاهِلِيّتِهِمْ ثُمّ كَانُوا سَادَتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ قُلْت: لَا وَاللهِ قَالَ فَإِنّ رَجُلًا مِنْ يَهُودَ مِنْ أَهْلِ

---

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٤٩.

الشّامِ، يُقَال لَهُ ابْنُ الْهَيّبَانِ قَدِمَ عَلَيْنَا قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِسِنِينَ فَحَلّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، لَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطْ لَا يُصَلّي الْخَمْسَ أَفْضَلَ مِنْهُ فَأَقَامَ عِنْدَنَا فَكُنّا إذَا قَحِطَ عَنّا الْمَطَرُ قُلْنَا لَهُ اُخْرُجْ يَا ابْنَ الْهَيّبَانِ فَاسْتَسْقِ لَنَا. فَيَقُولُ لَا وَاللهِ حَتّى تُقَدّمُوا بَيْنَ يَدَيْ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً. فَنَقُولُ لَهُ كَمْ؟ فَيَقُولُ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أو مُدّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ. قَالَ فَنُخْرِجُهَا ثُمّ يَخْرُجُ بِنَا إلى ظَاهِرِ حَرّتِنَا فَيَسْتَسْقِي الله لَنَا. فَوَاللهِ مَا يَبْرَحُ مَجْلِسَهُ حَتّى يَمُرّ السّحَابُ وَنُسْقَى، قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرّةٍ وَلَا مَرّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ. قَالَ ثُمّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ عِنْدَنَا. فَلَمّا عَرَفَ أَنّهُ مَيّتٌ قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إلى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ قَالَ قُلْنَا: إنّك أَعْلَمُ قَالَ فَإِنّي إنّمَا قَدِمْتُ هَذِهِ أَتَوَكّفُ خُرُوجَ نَبِيّ قَدْ أَظَلّ زَمَانُهُ وَهَذِهِ الْبَلْدَةُ مُهَاجَرُهُ فَكُنْت أَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ فَأَتّبِعَهُ وَقَدْ أَظَلّكُمْ زَمَانُهُ فَلَا تُسْبَقُنّ إلَيْهِ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ فَإِنّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدّمَاءِ وَسَبْيِ الذّرَارِيّ وَالنّسَاءِ مِمّنْ خَالَفَهُ فَلَا يَمْنَعْكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ"[1]. هنا نجد أنَّ ابن الهيبان قد أخبر قومه بمبعث النّبي5 وهذا استباق واضح وجلي.

١٢– صفة رسول الله 5 في الإنجيل:

" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ فِيمَا بَلَغَنِي عَمّا كَانَ وَضَعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فِيمَا جَاءَهُ مِنْ الله فِي الْإِنْجِيلِ لِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ مِنْ صِفَةِ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِمّا أَثْبَتَ يُحَنّسُ الْحَوَارِيّ لَهُمْ حِينَ نَسَخَ لَهُمْ الْإِنْجِيلَ عَنْ عَهْدِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (**عَلَيْهِ السّلَامُ**) إلَيْهِمْ أَنّهُ قَالَ مَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الرّبّ وَلَوْلَا أَنّي صَنَعْت بِحَضْرَتِهِمْ صَنَائِعَ لَمْ يَصْنَعْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، مَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ وَلَكِنْ مِنْ الْآنَ بَطِرُوا وَظَنّوا أَنّهُمْ يَعِزّونَنِي، أَيْضًا للرّبّ وَلَكِنْ لَا بُدّ مِنْ أَنْ تَتِمّ الْكَلِمَةُ التي فِي النّامُوسِ أَنّهُمْ أَبْغَضُونِي مَجّانًا، أَيْ بَاطِلًا. فَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُنْحَمَنّا هَذَا الذي يُرْسِلُهُ الله إلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرّبّ وَرُوحُ الْقُدُسِ هَذَا الذي مِنْ عِنْدَ الرّبّ خَرَجَ فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيّ وَأَنْتُمْ أيضاً، لِأَنّكُمْ قَدِيمًا كُنْتُمْ مَعِي فِي هَذَا قُلْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا لَا تَشْكُوَا. وَالْمُنْحَمَنّا (بِالسّرْيَانِيّةِ): مُحَمّدٌ وَهُوَ بِالرّومِيّةِ الْبَرْقَلِيطِسُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ"[2]. نجد في هذا النّص أنَّ عيسى(عليه السّلام) يقول: "فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرّب وروح القدس هذا الذي من عند الرّب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضاً" والمنحمنا كلمة سريانية يراد بها النّبي محمد 5، ففي هذا النّص استباق وهو اخبار لمبعث النّبي 5 قبل مبعثه الميمون.

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٥٠.

[2] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٦٩.

١٣- إخبار الرّسول 5 لعمار بقتل الفئة الباغية له:

" قَالَ فَدَخَلَ عَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَقَدْ أَثْقَلُوهُ بِاللّبِنِ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله قَتلُونِي يَحمِلونَ عَليَّ مَا لا يَحمِلونَ قَالتّ أُمّ سَلَمَةَ زَوْجُ النّبِيّ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَرَأَيْت رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَنْفُضُ وَفْرَتَهُ بِيَدِهِ وَكَانَ رَجُلًا جَعْدًا، وَهُوَ يَقُولُ وَيْحَ ابْنَ سُمَيّةَ، لَيْسُوا بِالّذِينَ يَقْتُلُونَك، إنّمَا تَقْتُلُك الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ"[١]، في هذا النّص نجد أنَّ الرّسول 5 يخبر عمار بن ياسر عمن يقتلونه وهذا استباق زمني واضح.

أما موضوع التّسلسل الزّمني فلم أجدْ مسوغاً لأنَّ أذكره لأنَّه لا يحتاج إلى أمثلة وأدلة كما في الاسترجاع والاستباق، ولإنَّ التّسلسل الزّمني هو أساس العمل السّيري وهذا ما وجدته عند ابن هشام، لأنَّه متسلسلاً في الزّمان والأحداث إلا إنّه قد يسترجع ويستقبل بعض الأحيان كما مر سابقاً.

---

[١] المصدر نفسه: ٢/ ١١٠.

المكان في السّيرة

المكان من ملازمات السّرد، ولا يمكن تصور أحداث تقع دون إرتباطها بزمن أو مكان معين، والكُتّاب ليسوا سواء في العناية بهذا الجانب أو ذاك من البيئة، فقد يكون الإهتمام منصباً على عنصر آخر، أو يكون معنياً بالوصف مثل وصف الرّيف أو المدينة أو يقف تحليله للمشكلات الاجتماعية والعاطفية في بيئة ما، ولم أجد ابن هشام قد أكثر الوصف في الأماكن لأنه يذكرها ذكراً سريعاً ولا يقف عندها طويلاً.

لأن أيَّ نتاج أدبي يفتقر إلى الزّمان والمكان لا يعد معقولاً، ولا يتفق مع خبراتنا والواقع المعاش. وهذا يعني وظيفة أنَّ الزّمان والمكان في العمل القصصي هي خلق الوهم لدى القارئ بأنَّ ما يقرأه قريب من الواقع أوجزء منه[١].

أما الحديث عن الأماكن في السّيرة فهو واسع وشامل، لأنَّ أحداث السّيرة العطرة من الولادة إلى الوفاة جرت كلها على أرض الواقع وفي أماكن عديدة، وسنتحدث عنها إنْ شاء الله مفصّلة من النّاحية السّردية أي من ناحية كونها أليفة على الشّخصية الرّئيسة ألا وهي شخصية النّبي محمد 5 أم أنَّها معادية وهل هي في مرتفع من الأرض أم منخفض– أيّ جغرافيتها– مع إدراج المصورات الخرائطية[٢] لأغلب الأماكن لبيان موقع المكان خرائطياً وهو عمل رجحناه إثرائياً، وسنقوم بعمل جدول خاص للأماكن ندرج فيه: اسم المكان جغرافياً، نوع المكان سرديا، وكم مرة ورد في السّيرة، وفق منهج عددي حسب الكثرة والقلة من حيث الذّكر في السّيرة النّبوية، فالأكثر هو الأوّل وهكذا نزولاً.

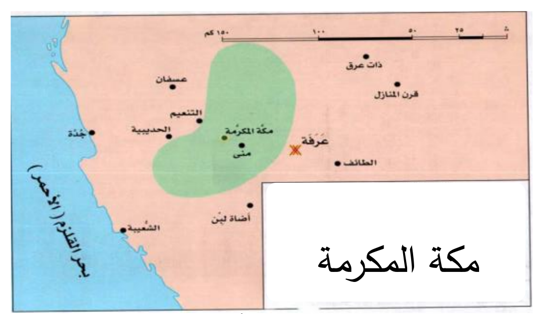
وسنشرع في دراسة أبرز الأماكن:

---

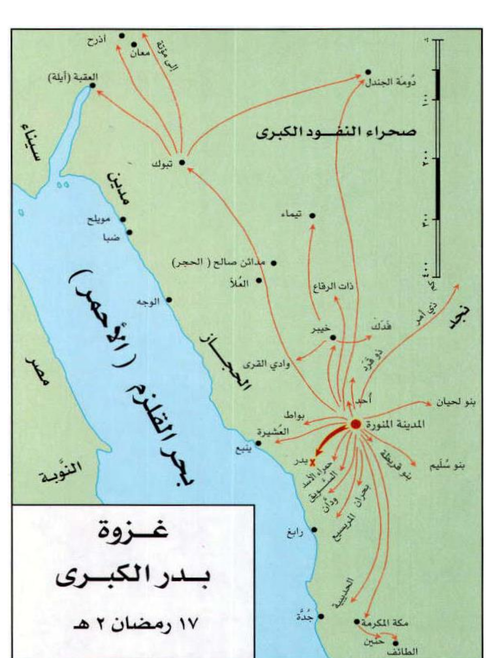
[١] ينظر: في النّقد الأدبي الحديث "منطلقات وتطبيقات": فائق مصطفى، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٩: ١٣٨.

[٢] المصورات مأخوذة من أطلس السّيرة النّبوية: شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣.

١– مكة المكرمة[٣]: سنبدأ من مكان مولده 5 فإنَّه ولد في مكة وهي مدينة حاضرة فيها بيت الله الحرام، أراد إبرهة أنْ يهدمها في عام الفيل ولكنَّ الله محاهُ وقومه من الوجود، ومكة مدينة تقع بين جبال وهي شبه وادٍ، وكانت مكة بالنّسبة للنّبي أليفة ولكنّها بعد مرحلة من الزّمان أصبحت معادية ومن ثم أصبحت بعد ذلك أليفة، إذ إنَّه ولد فيها وترعرع شاباً وأُخرج منها وعاد إليها، وجاء ذكرها كثيراً في السّيرة وعلى لسان حليمة السّعدية إذ قالتّ: "حَتّى قَدِمْنَا مَكّةَ نَلْتَمِسُ الرّضَعَاءَ فَمَا مِنّا امْرَأَةٌ إلّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ"[١] وهي مكان أليف ثم معادي ثم أليف، وقد وردت مكة في السّيرة (١٩٨) مائة وثمان وتسعون مرة.



٢– **بَدْرٌ**[٢]: ذِكْرُهَا فِي السّيرة كَثِيرٌ، وَشُهْرَتُهَا تُغْنِي عَنْ تَعْرِيفِهَا، فِيهَا حَدَثَتْ الْمَعْرَكَةُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِلْحَادِ، فِي السّابع عشر من شهر رمضان، كَانَتْ مَاءً لِغِفَارِ، ثُمّ ظَهَرَتْ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ، فَتَكَوَّنَتْ عَلَى الْعَيْنِ قَرْيَةٌ، وَكَانَتْ عَلَى طَرِيقِ الْقَوَافِلِ الْقَادِمَةِ مِنْ الشّامِ وَمِصْرَ عَلَى السّاحِلِ الشّرْقِيّ لِلْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. وجاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ أَنَّ رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سَمِعَ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ مُقْبِلاً مِنْ الشّامِ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ عَظِيمَةٍ فِيهَا أَمْوَالٌ لِقُرَيْشٍ وَتِجَارَةٌ مِنْ تِجَارَاتِهِمْ وَفِيهَا ثَلَاثُونَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ أو أَرْبَعُونَ مِنْهُمْ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنُ أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ بْنِ



---

[٣] ينظر: معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ١٩٩٥: مكة.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٩- ٢٠٠.

[٢] ينظر: معجم البلدان: بدر.

هِشَامٍ"[٣]. وهذا المكان كان معاديا للنّبي 5 وأصبح أليفا بعد الانتصار. وقد ورد في السّيرة(١٥٦) مائة وست وخمسون مرة.

[٣] السّيرة النّبوية: ٢/ ٢١٨.

٣- **الْحَبَشَةُ**[١]: يَتَكَرَّرُ فِي السّيرة اسْمُ الْحَبَشَةِ وَمَلِكِ الْحَبَشَةِ وَالْأَحْبَاشِ. وَالْحَبَشَةُ: اسْمٌ لِلْأُمَةِ أُطْلِقَ عَلَى دولتهم، وهي دولة أفريقية، كما ورد في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا رَأَى رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ بِمَكَانِهِ مِنْ اللهِ وَمِنْ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُمْ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ لَوْ خَرَجْتُمْ إلى أرض الْحَبَشَةِ فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أرضُ صِدْقٍ حَتّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى أرض الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَفِرَارًا إلَى اللهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أوّل هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ "[٢]. وهو مكان أليف، وقد جاء ذكرها في السّيرة(٧٣) ثلاث وسبعون مرة.

٤- **الشّامُ**[٣]: يَتَرَدَّدُ الشّامُ كَثِيرًا في السّيرة، والشّامُ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ كُلُّ مَا هُوَ فِي جِهَةِ الشّمَالِ، وَكَانَ أوّل دُخُولِ الْمُسْلِمِينَ الشّامَ زَمَنَ النّبِيّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بَعْثَهُ إلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ إنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النّاسِ. فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى

[١] ينظر: معجم البلدان: الحبشة.

[٢] السّيرة النّبوية: ١/ ٣٥٨.

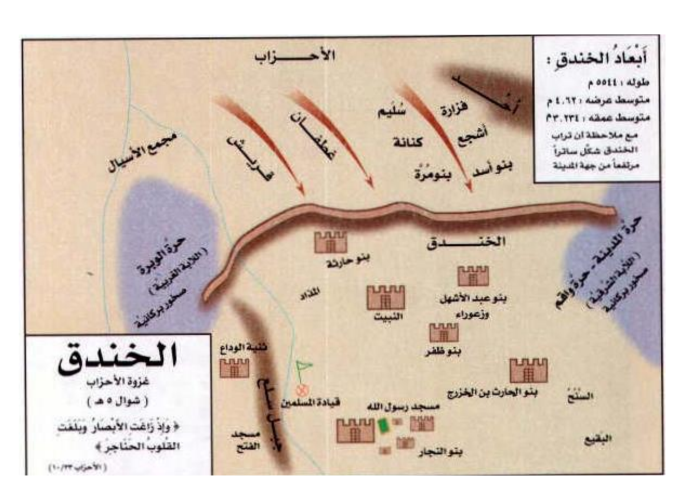
[٣] ينظر: معجم البلدان: أرض الشّام.

النّاسِ"[٤] وهو مكان معادي للنّبي 5 وقد وردت الشّام في السّيرة(٥٨) ثمان وخمسون مرة.

٥- **حُنَيْنٌ**[١]: يَتَرَدَّدُ ذِكْرُهُ كَثِيراً فِي السّيرة، وَغَزْوَتُهُ مِنْ أَشْهَرِ غَزَوَاتِ الرّسُولِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)بَعْدَ بَدْرٍ، بَعْدَ الْفَتْحِ. وَهُوَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ مَكَّةَ، يَقَعُ شَرْقَهَا، كماء جاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدّؤَلِيّ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللّيْثِيّ أنَّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيّةِ قَالَ فَسِرْنَا مَعَهُ إلى حُنَيْنٍ، قَالَ وَكَانَتْ كُفّارُ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ"[٢]. هذا المكان كان معادياً وأصبح أليفاً للنّبي 5. وورد ذكره في السّيرة(٣٥) خمس وثلاثون مرة.



٦- **الْخَنْدَقُ**[٣]: جَاءَ ذِكْرُهُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، وَتُسَمَّى غَزْوَةَ الْأَحْزَابِ، ذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَالْأَعْرَابَ وَالْيَهُودَ تَحَزَّبُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى غَزْوِ الْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسٍ لِلْهِجْرَةِ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ. فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ وَأَحَاطُوا بِهَا هَمَّ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، فَأَشَارَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ (رَضِيَ الله عَنْهُ) عَلَى رَسُولِ الله (صلى الله عيه وسلم) بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ[٤].



---

[٤] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٠.

[١] ينظر: معجم البلدان: حنين.

[٢] السّيرة النّبوية: ٤/ ٩٢.

[٣] ينظر: معجم البلدان: الخندق.

[٤] السّيرة النّبوية: ٣/ ٢٣٨.

وهذا المكان كان معاديا للنّبي 5 إلا أنّه سرعان ما صار آمنا بعد الانتصار. وجاء ذكره في السّيرة(٣٢) اثنتان وثلاثون مرةً.

٧- **تَبُوكُ**[١]: ذَكَرَه ابْنُ إسْحَاقَ فِي خَبَرٍ مُطَوَّلٍ، فِي غَزْوَةِ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمُسَمَّاةِ غَزْوَةَ تَبُوك، وَجَيْشَ الْعُسْرَةِ، وَكَانَتْ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ، وَفِي فَصْلِ الصّيْفِ فِي شِدَّةِ الْحَرّ، كَانَ ذَلِكَ فِي السّنَةِ التّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ[٢]. وهو مكان معادي للنّبي 5 واصبح أليفا، وورد في السّيرة(٢٦) ست وعشرون مرة.



٨- **حِرَاءُ**[٣]: جاءَ فِي النّصِ وَتُكَرّرَ كَثِيراً فِي السّيرة. وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ بجَبَلِ النّورِ، لِنُزُولِ أوّل سُورَةٍ مِنْ الذّكْرِ الْحَكِيمِ عَلَى نَبِيّنا 5، وَهُوَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارٍ فِي رَأْسِ حِرَاءٍ، فَعدّ الْمُسْلِمُونَ الْقُرْآنَ نُوراً فَسَمَّوْهُ بِهِ، وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: جَبَلُ الْقُرْآنِ أو جَبَلُ الْإِسْلَامِ. كما جاء في النّص" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزّبَيْرِ. قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ الزّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللّيْثَيّ حَدّثْنَا يَا عُبَيْدُ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْ النّبُوّةِ حِين جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ ؟ قَالَ فَقَالَ عُبَيْدٌ- وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدّثُ عَبْدَ الله بْنَ الزّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنْ النّاسِ- : كَانَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمّا تَحَنّثَ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيّةِ "[٤]. وهذا المكان أليفاً جداً للنّبي 5، ورد في السّيرة(٢٦) ست وعشرون مرة.


غار حراء

٩- أُحُدٌ[٥]: تَرَدَّدَ كَثِيرًا فِي السّيرة وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ إحْدَى غَزَوَاتِ النّبي 5، غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي السّنَةِ الثّالثّةِ لِلْهِجْرَةِ. وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ جِبَالِ الْعَرَبِ، يُشْرِفُ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ الشّمَالِ، يُرَى بِالْعَيْنِ، ويُسَمُّى «حِنٌّ»

---

[١] ينظر: معجم البلدان: تبوك.

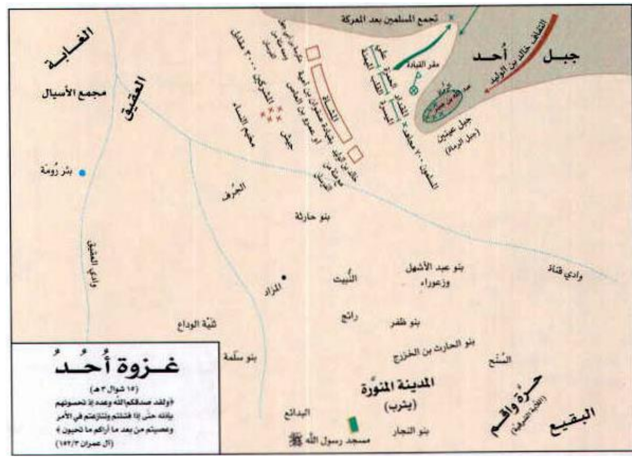
[٢] السّيرة النّبوية: ٤/ ١٦٩.

[٣] ينظر: معجم البلدان: حراء.

[٤] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٧١.

[٥] ينظر: معجم البلدان: أُحد.

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثُ، وَلَوْنُهُ أَحْمَرُ جَمِيلٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ حَرَمِ الْمَدِينَةِ[1]. وهذا المكان كان معادياً للرّسول 5 لأنّه فقد فيه كثيراً من المسلمين ومنهم عمه حمزة(عليه السّلام) في غزوة أحد. وقد ورد في السّيرة(٢٣) ثلاث وعشرون مرة.



١٠- **الرّجِيعُ**[2]: جَاءَ فِي ذِكْرِ يَوْمِ الرّجِيعِ، حينما قَتَلَتْ الْهَوْنُ وَالْقَارَةُ النّفَرَ مِنْ الصّحَابَةِ الّذِينَ بَعَثَهُمْ مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَهُمْ: مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ، وَخَالدّ بْنُ الْبُكَيْرِ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَخَبِيب بْنُ عَدِيٍّ، وَزَيْدُ بْنُ الدّثِنَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ طَارِقٍ، فَقَتَلَتْهُمْ غَدْراً عَلَى مَاءِ الرّجِيعِ بِالْهَدّةِ. كما "وَأَمّرَ رَسُولُ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عَلَى الْقَوْمِ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ، فَخَرَجَ حَتّى إذَا كَانُوا عَلَى الرّجِيعِ، مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ، عَلَى صُدُورِ الْهَدْأَةِ غَدَرُوا بِهِمْ فَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا، فَلَمْ يَرُعْ الْقَوْمَ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إلّا الرّجَالُ بِأَيْدِيهِمْ السّيُوفُ قَدْ غَشُوهُمْ فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوهُمْ فَقَالُوا لَهُمْ إنّا وَاللهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شيئاً مِنْ أَهْلِ مَكّةَ وَلَكُمْ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ"[3]. وهذا المكان كان معادياً للنّبي 5 ثم أصبح أليفا، وقد جاء ذكره في السّيرة(٢١) إحدى وعشرون مرة.



[1] ينظر: السّيرة النّبوية: ٣/ ٧٧.

[2] ينظر: معجم البلدان: رجيع.

[3] السّيرة النّبوية: ٣/ ١٨٧.

١١- **الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ**[١]: هِي مَدِينَةُ الرّسُولِ الْأَعْظَمِ 5، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ كَثِيراً فِي السّيرة، وَهِيَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُعْرَفَ، وَلهَا مِنَ التّارِيخِ مَا مَلأَ عَشْرَاتِ الْكُتُبِ الضّخَامِ، كَانَتْ تُسَمَّى يَثْرِبَ فَسَمَّاهَا رَسُولُ الله 5 الْمَدِينَةَ، وَكَرِهَ أَنْ تُسَمَّى يَثْرِبَ. كَانَتْ الْمَدِينَةُ عَاصِمَةَ الْإِسْلَامِ وَمِنْهَا انْطَلَقَتْ أَعْظَمُ فُتُوحَاتِهِ، وَبِهَا مَرْقَدُه الشّرِيف، كما جاء في النّص "وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَإِنّ الْجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرَ مُضَارّ وَلَا آثِمٌ وَإِنّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إلّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أو اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إلى الله عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَإِنّ الله عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ وَإِنّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا"[٢]. والمدينة مكان أليف للنّبي 5 وجاء ذكرها في السّيرة(٢٠) عشرون مرة.

١٢- **الْحِجْرُ**[٣]: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ، فِي خَبَرِ مَسِيرِهِ 5 إلى تَبُوكَ: "وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)حِينَ مَرَّ بِالْحِجْرِ نَزَلَهَا، وَاسْتَقَى النّاسَ مِنْ بِئْرِهَا، فَلَمَّا رَاحُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَتَتَوَضَّئُوا مِنْهُ للصّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللّيْلَةَ إلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ"[٤]. وهو مكان معادي للنّبي 5، ورد ذكره(١٨) ثمان عشرة مرة.

---

[١] ينظر: معجم البلدان: مدينة يثرب.

[٢] السّيرة النّبوية: ٢/ ١١٥.

[٣] ينظر: معجم البلدان: الحجر.

[٤] السّيرة النّبوية: ٤/ ١٧٥.



١٣- **الشّعْبُ**[١] شِعْبُ أُحُدٍ: جَاءَ فِي النّصِّ: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إذَا صَلّوْا، ذَهَبُوا فِي الشّعَابِ فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فَبَيْنَا سَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكّةَ، إذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلّونَ فَنَاكَرُوهُمْ وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتّى قَاتَلُوهُمْ فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ بَعِيرٍ فَشَجّهُ فَكَانَ أوّل دَمٍ أُهْرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ[٢]. وهذا المكان معادياً للنّبي 5. وقد ورد ذكره في السّيرة(١٨) ثمان عشرة مرة.

١٤- **الحديبية**[٣]: أو ما يطلق عليه مكان بني سعد فبعد ولادته 5 أُرسِل إلى بني سعد للرّضاعة وهو مكان أليف للشّخصية ففيه تربى وترعرع، والحديبية مدينة تقع غرب مكة وجاء في قول حليمة السّعدية أنّها: "قَالتْ ثُمّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أرض الله أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبّنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ وَمَا يَحْلُبُ إنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبّنًا"[٤]. جَاءَتْ فِي قَوْلِ ابْنِ إسْحَاقَ: خَرَجَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً[٥]. وهو مكان أليف، وقد ورد ذكره في السّيرة(١٦) ست عشرة مرة.

---

[١] ينظر: معجم البلدان: الشّعب.

[٢] السّيرة النّبوية: ١/ ٣٠٠.

[٣] ينظر: معجم البلدان: الحديبية.

[٤] السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٩- ٢٠٠.

[٥] المصدر نفسه: ٣/ ٣٣٦.



١٥- **ذُو قَرَدٌ***: جاءَ ذِكْرُهُ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ، حِينَ أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ عَلَى لِقَاحٍ لِرَسُولِ الله 5 بِالْغَابَةِ. كما جاء في النّص "ثُمّ قَدِمَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يُقِمْ بِهَا إلّا لَيَالِيَ قَلَائِلَ حَتّى أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيّ، فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى لِقَاحٍ لِرَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِالْغَابَةِ وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَامْرَأَةٌ لَهُ فَقَتَلُوا الرّجُلَ وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللّقَاحِ "[١]. وهذا المكان كان معاديا للنّبي 5 وأصبح أليفاً. وجاء ذكره في السّيرة(١١) إحدى عشرة مرة.

١٦- **الأبواء**[٢]: هو المكان الذي توفى فيه والدّي الرّسول ص فوالدّه عبد الله توفى قبل أنْ يولد، وأمه توفت عند رجوعها من خواله، والأبواء مكان يقع بين المدينة ومكة، وهذا المكان كان معاديا للرّسول 5 لأنه فقد فيه أمه وحزن حزنا شديدا لفقدها في الأبواء كما "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَعَ أُمّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَجَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فِي كَلَاءَةِ الله وَحِفْظِهِ يُنْبِتُهُ الله نَبَاتًا حَسَنًا لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سِتّ سِنِينَ تُوُفّيَتْ أُمّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنّ أُمّ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) آمِنَةُ تُوُفّيَتْ وَرَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ابْنُ سِتّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى



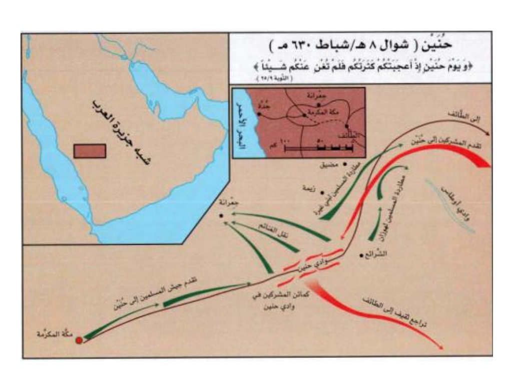
---

* لم نجد له ذكراً صريحاً في معجم البلدان.

[١] السّيرة النّبوية: ٣/ ٣٠٨.

[٢] ينظر: معجم البلدان: الأبواء.

أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ تُزِيرُهُ إيّاهُمْ فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إلى مَكّةَ ."[1] وَجاءَ ذِكْرُهَا فِي غَزْوَةِ وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ. وهو مكان معادي للنّبي 5، وقد ورد ذكره في السّيرة(٥) خمس مرات.



١٧- **الْجِعْرَانَةُ***: وجاء في النّص "جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الْغَنَائِمَ وَالسّبْيَ مِنْ يَوْمِ حُنَيْنٍ بِالْجِعْرَانَةِ ، وَمِنْهَا اعْتَمَرَ[2]. وهو مكان أليف للنّبي 5 وقد ورد ذكرها في السّيرة(٥) خمس مرات.

١٨- **الْقَاحَةُ**[3]: وَرَدَتْ فِي ذِكْرِ مُهَاجَرَتِهِ، وَحَجِّهِ، وَجَمِيعِ سَفَرَاتِهِ إلى مَكَّةَ،(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ذَلِكَ أَنَّهَا عَلَى الْمَحَجَّةِ مِنْ دَرْبِ الْأَنْبِيَاءِ. وَالْقَاحَةُ: كما جاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ أَجَازَ بِهِمَا الْفَاجّةَ، وَيُقَالُ الْقَاحّةُ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِمَا بَعْضُ ظَهْرِهِمْ فَحَمَلَ رَسُولَ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ عَلَى جَمَلٍ لَهُ- يُقَالُ لَهُ ابْنُ الرّدَاءِ- إلى الْمَدِينَةِ"[4]. وهذا المكان أليف للنّبي 5 ورد ذكره في السّيرة(٥) خمس مرات.

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٤.

* ينظر: معجم البلدان: الجعرانة.

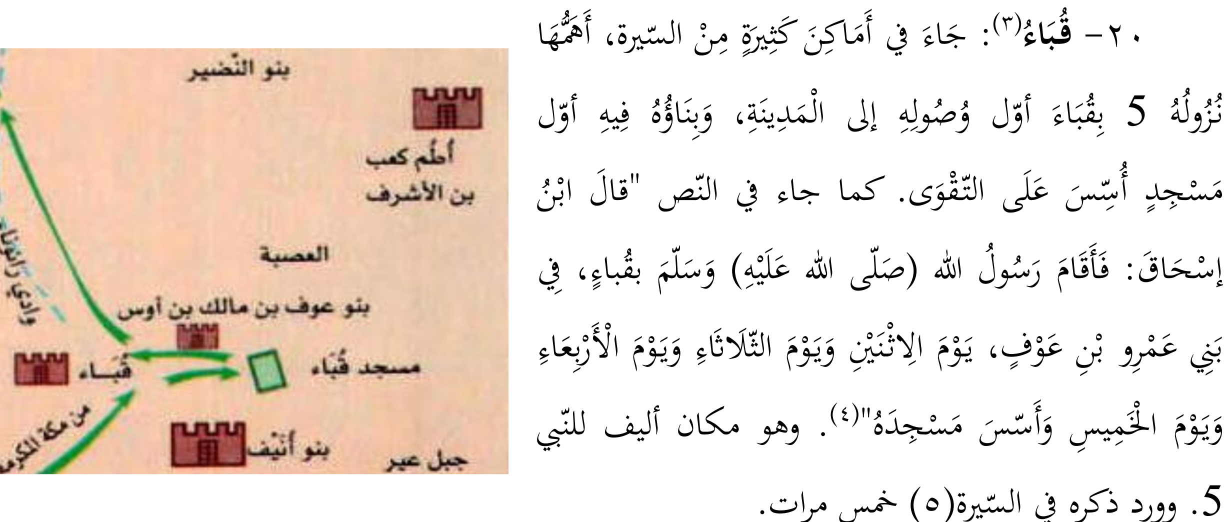
[2] ينظر: السّيرة النّبوية: ٤/ ١٥٣.

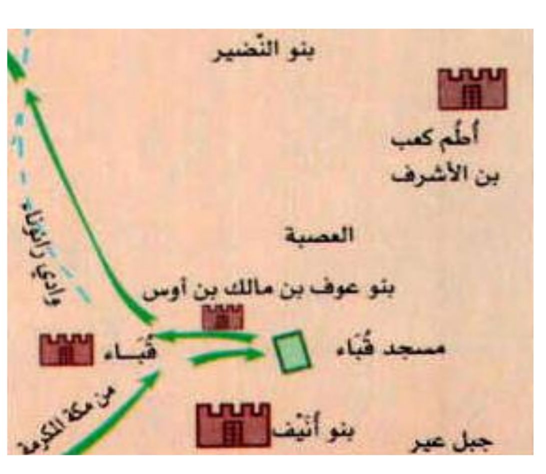
[3] ينظر: معجم البلدان: القاحة.

[4] السّيرة النّبوية: ٢/ ١٠٤.

١٩- **الْكَدِيدُ**(١): وَرَدَ فِي أَمَاكِنَ مِنْ السّيرة، أَهَمُّهَا فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَخَرَجَ لِعَشْرِ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصَامَ وَصَامَ النّاسُ مَعَهُ، حَتّى إذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجَ أَفْطَرَ. كما جاء "قَالَ ثُمّ سِرْنَا حَتّى أَتَيْنَا الْكَدِيدَ عِنْدَ غُرُوبِ الشّمْسِ فَكُنّا فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، وَبَعَثَنِي أَصْحَابِي رَبِيئَةً لَهُمْ فَخَرَجْت حَتّى آتِيَ تَلّا مُشْرِفًا عَلَى الْحَاضِرِ فَأَسْنَدْت فِيهِ فَعَلَوْتُ عَلَى رَأْسِهِ فَنَظَرْت إلى الْحَاضِرِ فَوَ اللهِ إنّي لَمُنْبَطِحٌ عَلَى التّلّ إذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ خِبَائِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ إنّي لَأَرَى عَلَى التّلّ سَوَادًا مَا رَأَيْته فِي أَوّل يَوْمِي، فَانْظُرِي إلى أَوْعِيَتِك هَلْ تَفْقِدِينَ مِنْهَا شَيْئًا، لَا تَكُونُ الْكِلَابُ جَرّتْ بَعْضَهَا ؛ قَالَ فَنَظَرَتْ فَقَالتّ لَا، وَاللهِ مَا أَفْقِدُ شَيْئًا"(٢)، والكديد مكانا أليفا للنّبي 5 وقد جاء ذكره في السّيرة(٥) خمس مرات.

٢٠- **قُبَاءُ**(٣): جَاءَ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ السّيرة، أَهَمُّهَا نُزُولُهُ 5 بِقُبَاءَ أوّل وُصُولِهِ إلى الْمَدِينَةِ، وَبِنَاؤُهُ فِيهِ أوّل مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التّقْوَى. كما جاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَأَقَامَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ) وَسَلّمَ بِقُبَاءٍ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَسّسَ مَسْجِدَهُ"(٤). وهو مكان أليف للنّبي 5. وورد ذكره في السّيرة(٥) خمس مرات.





---

(١) ينظر: معجم البلدان: الكديد.

(٢) السّيرة النّبوية:٤/ ٥٥.

(٣) ينظر: معجم البلدان: قبا.

(٤) السّيرة النّبوية: ٢/ ١٠٨.

٢١- **وَدَّانُ**[١]: جاءَ فِي النَّصِّ: ثُمَّ خَرَجَ غَازِيًا فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، حَتَّى بَلَغَ « وَدَّانَ » وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ[٢] وهي أوّل غزواته 5. وهو مكان معادي للنّبي 5. وورد ذكرها في السّيرة(٥) خمس مرات.



٢٢- **بُصرى**[٣]: وهو مكان يقع في بلاد الشّام وجاء في النّص "أنّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إلى الشّامِ، فَلَمّا تَهَيّأَ للرّحِيلِ وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبّ بِهِ رَسُولُ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ)- فِيمَا يَزْعُمُونَ- فَرَقّ لَهُ (أَبُو طَالِبٍ) وَقَالَ وَاللّهِ لَأَخْرُجَنّ بِهِ مَعِي، وَلَا يُفَارِقُنِي، وَلَا أُفَارِقُهُ أَبَداً، أو كَمَا قَالَ. فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ فَلَمّا نَزَلَ الرّكْبُ بُصْرَى مِنْ أرض الشّامِ"[٤]، وبصرى هو المكان الذي نزل به 5 مع عمه في الشّام وهو مكان أليف بالنّسبة للشّخصية، وقد ورد ذكره في السّيرة(٤) أربع مرات.



---

[١] ينظر: معجم البلدان: ودان.

[٢] السّيرة النّبوية:٢/ ٢٠٣.

[٣] ينظر: معجم البلدان: بصرى.

[٤] السّيرة النّبوية:١/ ٢١٧.

٢٣- **حَمْرَاءُ الْأَسَدِ**[١]: جاءَ ذِكْرُهَا فِي حَوَادِثِ غِبّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)حَتَّى انْتَهَى إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، كما جاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ قَالَ تَعَالَى: {الّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَالرّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}(سورة آل عمران: الآية ١٧٢) أَيْ الْجِرَاحُ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الْغَدَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ {للّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الّذِينَ قَالَ لَهُمُ النّاسُ أَنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}(سورة آل عمران: الآية: ١٧٣) وَالنّاسُ الّذِينَ قَالُوا لَهُمْ مَا قَالُوا، النّفَرُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، الّذِينَ قَالَ لَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ مَا قَالَ ؟ قَالُوا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ رَاجِعُونَ إلَيْكُمْ "[٢]. وهذا المكان كان معادياً للنّبي 5. وورد ذكره(٤) أربع مرات.

٢٤- **ذَاتُ السّلَاسِلِ**[٣]: جاءَتْ فِي قَوْلِ ابْنِ إسْحَاقَ: وَغَزْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (ذَاتُ السّلَاسِلِ) مِنْ أرض بَنِي عُذْرَةَ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)بَعَثَهُ يَسْتَنْفِرُ الْعَرَبَ إلى الشّامِ. ذَلِكَ أَنَّ أُمَّ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بَلِيٍّ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)إلَيْهِمْ يَسْتَأْلِفُهُمْ لِذَلِكَ، حَتَّى إذَا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأرض جُذَامٍ يُقَالُ لَهُ: السّلْسَلُ، وَبِذَلِك سُمِّيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزْوَةَ (ذَاتِ السّلَاسِلِ). كما جاء في النّص "وَغَزْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ذَاتَ السّلَاسِلِ مِنْ أرض بَنِي عُذْرَةَ. بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلَيْهِمْ يَسْتَأْلِفُهُمْ لِذَلِكَ حَتّى إذَا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأرض جُذَامَ، يُقَالُ لَهُ السّلْسَلُ، وَبِذَلِكَ سُمّيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزْوَةَ ذَاتِ السّلَاسِلِ ؛ فَلَمّا كَانَ عَلَيْهِ خَافَ فَبَعَثَ إلى رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَسْتَمِدّهُ فَبَعَثَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرّاحِ فِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوّلِينَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَقَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ حِينَ وَجّهَهُ لَا تَخْتَلِفَا"[٤]. وهو مكان أليف للنّبي 5. وورد ذكره في السّيرة(٣) ثلاث مرات.

---

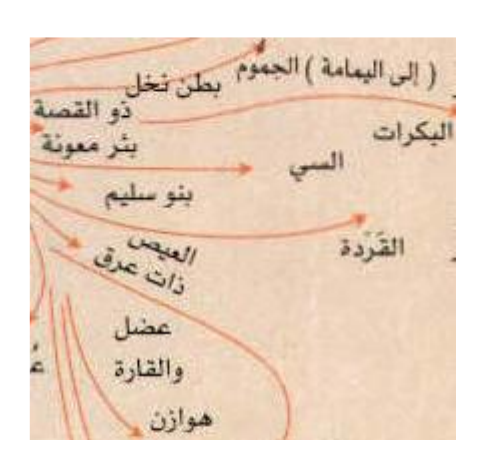
[١] ينظر: معجم البلدان: حمراء الأسد.

[٢] السّيرة النّبوية: ٣/ ١٣٣.

[٣] ينظر: معجم البلدان: السّلاسل.

[٤] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٨٠.

٢٥- **الْقَرَدَةُ**[١]: جاءَ فِي النّصِّ: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَسَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ التي بَعَثَهُ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فِيهَا، حَيْنَ أَصَابَ عِيرَ قُرَيْشٍ، وَفِيهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى الْقَرَدَةِ، مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهَا: أنَّ قُرَيْشًا خَافُوا طَرِيقَهُمْ الذي كَانُوا يَسْلُكُونَ إلى الشّأْمِ حِينَ كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مَا كَانَ فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ"[٢] وهذا المكان أليفا للنّبي 5 وجاء ذكرها في السّيرة(٣) ثلاث مرات.



٢٦- **مَسْجِدُ الضّرَارِ***: جاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالذّينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ}(سورة التّوبة: الآية ١٠٧). وَكَانَ قَوْمٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَهُوَ يَتَأَهَّبُ لِغَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالُوا لَهُ: إنَّا قَدْ بَنْينَا مَسْجِداً لَذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللّيْلَةِ الشّاتِيَةِ.

وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ الله أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ: فَقَالَ: إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَحَالِ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا لَأَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ. ثُمَّ أَخْبَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ بأنَّ هَؤُلَاءِ مُنَافِقُونَ بَنَوْا مَسْجِدَهُمْ عَلَى غَيْرِ تَقْوَى اللهِ، لِيَجْعَلُوهُ وَكْرًا لِبَنِي مِلَّتِهِمْ يَتَآمَرُونَ فِيهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ النّبِيُّ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)بِهِ فَهُدِمَ[٣]. وهو مكان معادي للنّبي 5. ورد ذكره(٣) ثلاث مرات.

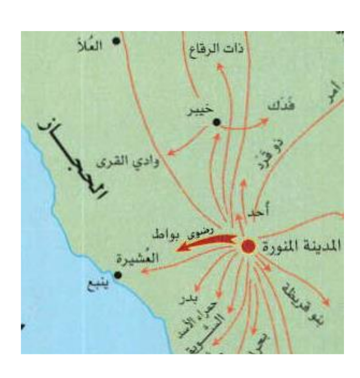
---

[١] ينظر: معجم البلدان: قردة.

[٢] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٦٥.

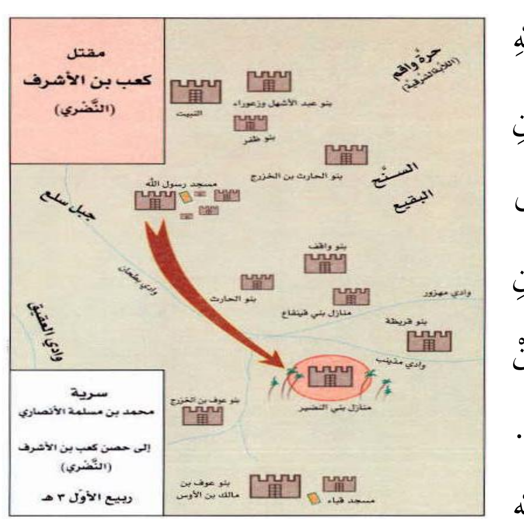
* ذكر مسجد الضّرار في معجم البلدان مرتين فقط ولم يخرّجْ له الحموي تخريجاً صريحاً.

[٣] السّيرة النّبوية: ٤/ ١٨٣.



٢٧- **بُوَاطُ**[١]: جَاءَ فِي النّصِّ: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ غَزَا رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ يُرِيدُ قُرَيْشًا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ السّائِبَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَتّى بَلَغَ بُوَاطٍ، مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَلَبِثَ بِهَا بَقِيّةَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ وَبَعْضَ جُمَادَى الْأُولَى"[٢]. وهو مكان أليف للنّبي 5. وذكر في السّيرة(٢) مرتان.

٢٨- **السّافِلَةُ***: أَسَافِلُ مَدِينَةُ الرّسُولِ 5 وَقَدْ كَانَ أَعْلَاهَا يُسَمّى الْعَالِيَةَ، وَأَسْفَلُهَا يُسَمّى السّافِلَةَ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، فَمَكّةُ يُسَمّى أَعْلَاهَا الْمُعَلّاةَ، وَأَسْفَلُهَا الْمُسَفَّلَةَ. وَبَعَثَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)، زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إلَى أَهْلِ السّافِلَةِ يُبَشّرُهُمْ بِنَصْرِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ. كما "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ: أَنّهُ لَمّا أُصِيبَ أَصْحَابُ بَدْرٍ، وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إلَى أَهْلِ السّافِلَةِ، وَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ إلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بَشِيرَيْنِ بَعَثَهُمَا رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ الله عَزّ وَجَلّ عَلَيْهِ وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ.



كَمَا حَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ الْمُغِيثِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ الظّفَرِيّ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حَزْمٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَصَالِحُ بْنُ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ كُلّ قَدْ حَدّثَنِي بَعْضَ حَدِيثِهِ قَالُوا: قَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَكَانَ رَجُلًا مِنْ طَيّئٍ ثُمّ أَحَدَ بَنِي نَبْهَانَ وَكَانَتْ أُمّهُ مِنْ بَنِي النّضِيرِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ: أَحَقّ هَذَا ؟ أَتَرَوْنَ مُحَمّدًا قَتَلَ هَؤُلَاءِ الّذِينَ يُسَمّى هَذَانِ الرّجُلَانِ- يَعْنِي زَيْدًا وَعَبْدَ الله بْنَ رَوَاحَةَ- فَهَؤُلَاءِ أَشْرَافُ الْعَرَبِ وَمُلُوكُ النّاسِ وَاللهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَطْنُ الْأَرض خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا"[٣]. وهذا المكان أليف للرّسول 5 وقد ورد ذكره في السّيرة(٢) مرتان.

---

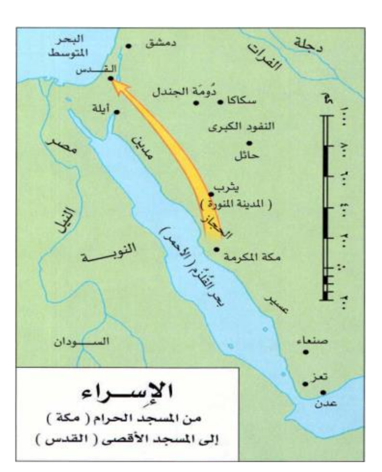
[١] ينظر: معجم البلدان: بواط.

[٢] السّيرة النّبوية: ٢/ ٢١٠.

* جاء ذكره في معجم البلدان ثلاث مرات إلا أنّه لم يكن صريحاً.

[٣] السّيرة النّبوية: ٣/ ٥٧.

٢٩- **الْمُرَيْسِيعُ**[١]: جاءَ ذِكْرُهُ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ. "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمُحَمّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حِبّانَ، كُلّ قَدْ حَدّثَنِي بَعْضَ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، قَالُوا: بَلَغَ رَسُولَ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَنّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجِ رَسُولِ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَلَمّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهِمْ حَتّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إلى السّاحِلِ فَتَزَاحَفَ النّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ اللهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَنَفّلَ رَسُولُ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ"[٢]. وهذا المكان كان معادياً للنبي 5 لكنّه أصبح أليفا. ورد ذكره في السّيرة(١) مرة واحدة.



٣٠- **الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**[٣]: جَاءَ فِي النّصّ: "قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَكّائِيّ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ إسْحَاقَ الْمُطّلِبِيّ قَالَ ثُمّ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مِنْ إيلِيَاء وَقَدْ فَشَا الْإِسْلَامُ بِمَكّةَ فِي قُرَيْشٍ، وَفِي الْقَبَائِلِ كُلّهَا"[٤]، وهذا المكان أليفا للنّبي 5. ورد ذكره في السّيرة(١) مرة واحدة.

٣٢- **الْمُنَقّى**[٥]: جَاءَ فِي النّصّ: "قال ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ النّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حَتّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إلى الْمُنَقّى، دُونَ الْأَعْوَصِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ

---

[١] ينظر: معجم البلدان: المريسيع.

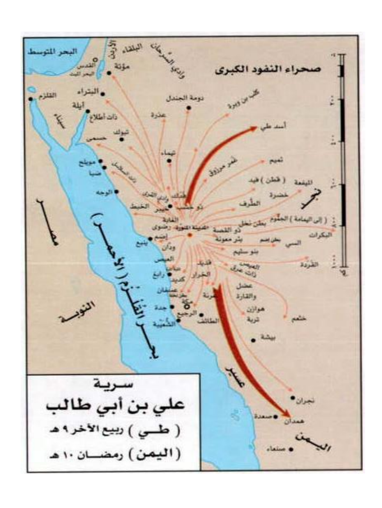
[٢] السّيرة النّبوية: ٣/ ٣١٧.

[٣] ينظر: معجم البلدان: المقدس.

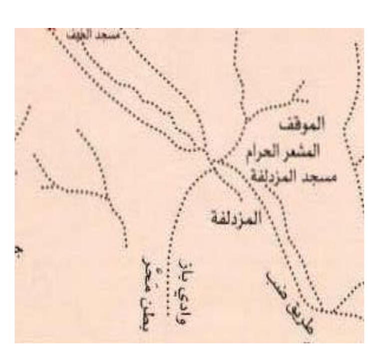
[٤] السّيرة النّبوية: ٢/ ٩.

[٥] ينظر: معجم البلدان: المنقى.

بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى أُحُدٍ، رَفَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ، وَثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فِي الْآطَامِ مَعَ النّسَاءِ وَالصّبْيَانِ"[١] وهذا المكان أليفا للنّبي 5 ورد ذكره في السّيرة(١) مرة واحدة.



٣٣- **فِلْسٌ**[٢]: وجاء في النّص "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَتْ فِلْسٌ لِطَيّئٍ وَمَنْ يَلِيهَا بِجَبَلَيْ طَيّئٍ، يَعْنِي سَلْمَى وَأَجَأً. وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، عَلِيًّا فَهَدَمَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا سَيْفَيْنِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الرّسُوبُ، وَلِلْآخَرِ الْمِخْذَمُ. فَأَتَى بِهِمَا رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَوَهَبَهُمَا لَهُ، فَهُمَا سَيْفَا عَلِيٍّ (رَضِيَ الله عَنْهُ)"[٣]. وهو مكان أليف للنّبي 5. وجاء ذكره في السّيرة(١) مرة واحدة.



٣٤- **قُزَحُ**[٤]: جَاءَ فِي النّصّ: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي نَجِيحٍ: أَنَّ رَسُولَ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حِينَ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَالَ هَذَا الْمَوْقِفَ لِلْجَبَلِ الذي هُوَ عَلَيْهِ وَكُلّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ. وَقَالَ حِينَ وَقَفَ عَلَى قُزَحَ صَبِيحَةَ الْمُزْدَلِفَةِ: هَذَا الْمَوْقِفَ وَكُلّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ. ثُمّ لَمّا نَحَرَ بِالْمَنْحَرِ بِمِنَى قَالَ هَذَا النّحْرُ وَكُلّ مِنًى مَنْحَرٌ. فَقَضَى رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الْحَجّ وَقَدْ أَرَاهُمْ مَنَاسِكَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ مَا فَرَضَ الله عَلَيْهِمْ مِنْ حَجّهِمْ مِنَ الْمَوْقِفِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَطَوَافٍ بِالْبَيْتِ وَمَا أُحِلّ لَهُمْ مِنْ حَجّهِمْ وَمَا حُرّمَ عَلَيْهِمْ فَكَانَتْ حِجّةَ الْبَلَاغِ وَحَجّةَ الْوَدَاعِ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) لَمْ يَحُجّ بَعْدَهَا"[٥]. وهو مكان أليف للنّبي 5. وقد ورد ذكره في السّيرة(١) مرة واحدة.

---

[١] السّيرة النّبوية: ٣/ ٩٧.

[٢] ينظر: معجم البلدان: الفلس، ووجدت ذكره والخبر بأجمعه في كتاب الأصنام: هشام بن محمد بن السّائب الكلبي، تح: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٥: ١٥.

[٣] السّيرة النّبوية: ١/ ١٢١.

[٤] ينظر: معجم البلدان: قزح.

[٥] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٦١.



٣٥- **مَجْمَعُ الْأَسْيَالِ***: جَاءَ ذِكْرُهُ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)مِنْ الْخَنْدَقِ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ، بَيْنَ الْجُرْفِ وَزَغَابَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنَبِ نَقْمَى، إلَى جَانِبِ أُحُدٍ. وَخَرَجَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَالْمُسْلِمُونَ، حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إلَى سَلْعٍ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ هُنَاكَ عَسْكَرٌ، وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ[١]. وكان مكاناً معادياً وأصبح أليفاً للنّبي 5. ورد ذكره(١) مرة واحدة.

٣٦- **مُسْلِحٌ**[٢]: جَاءَ فِي ذِكْرِ مَسِيرَتِهِ 5 إلى بَدْرٍ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ الصّفْرَاءَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهَا مَا اسْمُهُمَا، فَقَالُوا: يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا، هَذَا: مُسْلِحٌ، وَلِلْآخَرِ هَذَا مُخْرِئٌ.

وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهَا، فَقِيلَ: بَنُو النّارِ وَبَنُو حُرَّاقٍ، بَطْنَانِ مِنْ غِفَارٍ، فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَالْمُرُورَ بَيْنَهُمَا- يَعْنِي الْجَبَلَيْنِ- وَتَفَاءَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ أَهْلِهِمَا. فَتَرَكَهُمَا وَالصّفْرَاءُ بِيَسَارٍ، وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ: ذَفِرَانُ[٣]. وهو مكان أليف للنّبي 5، ورد ذكره(١) مرة واحدة.

٣٧- **نُخْبٌ**[٤]: جَاءَ فِي قَوْلِ ابْنِ إسْحَاقَ: وَأَمَرَ وَهُوَ بِلِيَّةَ، بِحِصْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ(النّصْرِيّ) فَهُدِمَ، ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضّيّقَةُ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا، فَقِيلَ لَهُ: الضّيّقَةُ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ الْيُسْرَى، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى نُخْبٍ، حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةِ الصّادِرَةِ[٥]. وهو مكان أليف للنّبي 5، ورد ذكره(١) مرة واحدة.

---

* لم نجد له ذكراً صريحاً في معجم البلدان وذكر مرة واحدة في زغابة.

(١) السّيرة النّبوية: ٣/ ٢٤٢.

(٢) ينظر: معجم البلدان: المسلح.

(٣) السّيرة النّبوية:٢/ ٢٢٦.

(٤) ينظر: معجم البلدان: نخب.

(٥) السّيرة النّبوية: ٤/ ١٣٤.

وهذا جدول كما أسلفنا في بداية الحديث عن المكان يتكون من اسم المكان وجغرافيته ونوع المكان سردياً وكم مرة ورد في السّيرة.

ت	اسم المكان	جغرافية المكان *	نوع المكان سردياً	عدده
١	مكة	شبه وادي	أليف – معادي– أليف	١٩٨
٢	بدر	عين ماء لغفار	معادي– أليف	١٥٦
٣	الحبشة	هضبة مرتفعة	أليف	٧٣
٤	الشّام	مكان شاسع فيه تضاريس عديدة	معادي	٥٨
٥	حنين	وادي من وديان مكة	معادي– أليف	٣٥
٦	الخندق	أرض منبسطة حفرها المسلمون	معادي– أليف	٣٢
٧	تبوك	أرض مرتفعة عن سطح الارض	معادي– أليف	٢٦
٨	حراء	غار في جبل النّور	أليف	٢٦
٩	أحد	جبل قرب المدينة	معادي	٢٣
١٠	الرّجيع	أرض منبسطة فيها عين ماء	معادي	٢٣
١١	المدينة المنورة	أرض منبسطة عامرة	أليف	٢٠
١٢	الحجر	رأس وادي القرى	معادي	١٨
١٣	الشّعب	سفح وادي أحد /عدوة وادي احد	معادي	١٨
١٤	الحديبية	أرض منبسطة	أليف	١٦
١٥	ذو قرد	جبل أسود شمال شرق المدينة	معادي– أليف	١١
١٦	الابواء	وداي كثير المياه	معادي	٥
١٧	الجعرانة	أرض منبسطة	أليف	٥
١٨	القاحة	وادي من أودية الحجاز	أليف	٥
١٩	الكديد	أرض منبسطة	أليف	٥

* المعلومات الجغرافية مأخوذة من كتاب: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السّيرة النّبوية، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنّشر والتّوزيع، المملكة السّعودية، ط١، ١٩٨٢.

٢٠	قباء	أرض منبسطة	أليف	٥
٢١	ودان	وادي من أودية الحجاز	معادي	٥
٢٢	بصرى	أرض منبسطة	أليف	٤
٢٣	حمراء الاسد	جبل أحمر جنوب المدينة	معادي	٤
٢٤	ذات السّلاسل	عين ماء بأرض جذام	أليف	٣
٢٥	القردة	عين ماء من مياه نجد	أليف	٣
٢٦	مسجد الضّرار	أرض منبسطة قرب قبا	معادي	٣
٢٧	بواط	وادي من أودية الحجاز	أليف	٢
٢٨	السّافلة	أرض منبسطة أسفل المدينة	أليف	٢
٢٩	الصّوران	أرض منبسطة	أليف	١
٣٠	المريسيع	وادي من أودية الحجاز	معادي- أليف	١
٣١	المسجد الاقصى	أرض منبسطة	أليف	١
٣٢	المنقى	أرض منبسطة	أليف	١
٣٣	فلس	مكان مرتفع في جبلي طي	أليف	١
٣٤	قزح	أرض مرتفعة قرب المزدلفة	أليف	١
٣٥	مجمع الأسيال	أرض منبسطة تجتمع فيها السّيول	معادي- أليف	١
٣٦	مسلح	جبل في مدينةالصّفراء	أليف	١
٣٧	نخب	وادي صغير جنوب الطّائف	أليف	١

بهذا نكون قد إنتهينا من الزّمان والمكان في السّيرة، عسى أنْ نكون قد وفقنا ومن الله التّوفيق.

الفصل الثّالث

الحدث في السّرد والسّيرة

المبحث الأوّل

الحدث في السّرد

الحدث في السّرد

إنَّ الحياة الإنسانية عبارة عن سلسلة من الأفراح والأتراح والأحداث السّعيدة والمآسي والنّجاحات والإخفاقات تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت.

والرّواية حلقة أو حلقات مقتطعة من هذه السّلسلة، فهي تروي أحداثاً حدثت لشخصيات في مرحلة معينة، وتجعلنا نرافقها في آمالها وآلامها وطموحها ونجاحها وإخفاقها، وصراعاتها الدّاخلية والخارجية.

والأحداث في الرّواية غالباً ما تكون صورة عن الأحداث في الواقع ولكن الكاتب ينتقيها بعناية ويكثفها، ففي الرّواية كل ما يحدث للشّخصية مهم بينما في الواقع قد تمر سنوات دون أنْ يحدث شيء مهم في حياة الإنسان.

وليست العبرة بالأحداث مهما بلغت أهميتها، ففي كل يوم تزخر الصّحف بأخبار مختلفة منها العادي ومنها الشّاذ، منها المألوف وغير المألوف، ومنها المهم وغير المهم، ولكن الحدث، في حد ذاته مادة خام كما نرى.

والأحداث سلسلة مترابطة برباطين: رباط الزّمان الذي ينظم هذه الأحداث، ويجعلنا نعرف أيها حدث قبل الآخر، والحبكة التي هي الرّباط المنطقي الذي يبين علاقة الأحداث بعضها ببعض من حيث أنْ أحدها حدث للآخر أو نتيجة له، فليس هناك في الرّواية حدث عرضي أو اعتباطي أو مستقل عن الآخر فكلها مرسومة بدقة، ومترابطة بعناية بما يسمى الحبكة، ولكن الأهم من هذا وذاك هو القيم التي تحملها الرّواية فالأحداث لا ترتبط بالزّمان والحبكة فقط بل بأهميتها وكثافتها وتضمنها للقيم الإنسانية.

وسواء أ كانت الأحداث منتظمة بشكل هرمي: تأزمٌ فعقدةٌ فحل، أو أنَّ الرّوائي اختار أنْ يأخذ شريحة من أحداث شخصية تسير بخط شبه أفقي دون عقدة ظاهرة أو حل، وبنهاية مفتوحة، فيجب أنْ تكون مترابطة يربط بينها الخيط المنطقي الدّقيق الذي يجعل منها حكاية واحدة، وسلسلة ذات فقرات مترابطة.

تختلف الأحداث باختلاف أهميتها في الرّواية، فهناك أحداث لا تستحق أنْ يفصّل فيها الكاتب، ولكنها ليست مهمة بالقدر الكافي ليقدم الرّوائي تسجيلاً حياً لها، بالصّوت والصّورة، أي بالحوار الذي دار بين الأشخاص وبالإنفعالات التي رافقت كلا منهم خلال الحدث، بل يكتفي الكاتب بسردها، وتوجد أحداث ثانوية وأحداث سابقة لتاريخ بداية الرّواية يعلمنا بها إعلاماً، وأحداث يومية متكررة يفقدها هذا التّكرر صفة التّميز.

يعد التّسلسل الزّمني للأحداث أهم خصائص السّرد التّاريخي، إذ يكفي أنْ نضع الأحداث في تسلسل زمني حتى نحصل على سرد تاريخي[١]، وتجري الأحداث في السّرد التّاريخي وفق زمن تسلسلي منطقي، يتألف من بداية ووسط ونهاية، أما الأحداث في السّرد الرّوائي فلا تخضع للتّسلسل المنطقي الذي يحكمها في العالم الخارجي، بل تخضع لمنطق السّرد الرّوائي الذي يتلاعب بالزّمن، فيقدم ويؤخر. وهكذا، فإننا نميز بين زمنين: زمن القصة الذي يخضع للتّسلسل المنطقي للأحداث، وزمن السّرد الذي لا يخضع لهذا التّسلسل[٢].

والأمور في حياتنا اليومية تسير على نحو رتيب لا نشعر معها بوجود تبدل أو حركة في مجرى حياتنا، وفي المقابل تنسج يد القدر في الخفاء خيوطاً لا نعلم عنها شيئاً، تتجمع وتظهر على الحياة، وحينما تأتي ساعة الصّفر تأخذ هذه الخيوط طابع الأهمية ضمن حدث يسهم إسهاماً فعالاً في تغيير مجرى الحياة تغييراً كبيراً. ولإحتكاك الأدب بحياة النّاس كان لابد للأديب أنْ يأخذ من قانون الحياة ليخلق القانون الأدبي، وعليه يُعرف الحدث في الرّواية بأنه "تضارب القوى المتعارضة أو المتلاقية الموجودة في أثر معين، فكل لحظة في الحدث تؤلف موقفا للنّزاع؛ تتلاحق فيه الشّخصيات، تتحالف أو تتجابه"[٣].

ولا يخفى الارتباط الوثيق للحدث بعنصري الزّمان والمكان، إذ إنّه يتمثل بمجموعة من الوقائع المتناثرة في الزّمان والمكان، التي "يفضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكائية تقوم على جملة من العناصر الفنية والتّقنية والالسّنية"[٤]. فكلما إزداد تضارب آراء الشّخصيات والأحداث وازدادت الأزمات

---

[١] مفهوم التّاريخ: د. عبد الله العروي، المركز الثّقافي العربي، ٢٠٠٥: ٧٥.

[٢] ينظر: بنية النّص السّردي: ٧٣.

[٣] عالم الرّواية: رولان بورونوف و ريال أونيليه، ترجمة: نهاد التّكرلي، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١: ١٤٤.

[٤] الف ليلة وليلة(دراسة سيميائية تفكيكية في حكاية حمال بغداد): ١٩.

تعقيدا كلما أصبحت الوضعية متوترة، وغالبا ما يزداد التّوتر كلما اقترب موعد إنقلاب الوضع الحالي الذي نحن بصدده[٥]، وهذا مايطلق عليه مصطلح(الحبكة) أو(العقدة) التي تعرف بأنها "مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص"[٦].

إن كلمة الحبكة مثقلة بالمعنى إذ أنها تحتوي الفعل بأجمعه في مُجمل الأنماط الأدبية متجاوزا بذلك المشهد والحدث إلى حركة الذّهن أو الرّوح في القصائد والرّوايات ذات الطّابع النّفسي"[١].

والحبكة في الواقع عبارة عن شيء يؤدي إلى آخر إذ يبني الكاتب أو الشّاعر موضوعه حول عقدة في خيط الحياة ويحاول حلها بأخذ الخيط من طرفيه متنقلا بهذه العقدة من حال إلى حال[٢].

فالحدث عنصراً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه، إذ يشكل العمود الفقري في بنية القصة، وبه تتحدد أهمية العمل ويتقرر مدى نجاحه أو فشله، فالحادثة الفنية: هي"تلك السّلسلة من الوقائع المسرودة سرداً فنياً، والتّي يضمها إطار خاص"[٣].

إنّ الفن القصصي بشتى أشكاله الأدبية(رواية، قصة طويلة، قصة قصيرة، قصة قصيرة جداً، أقصوصة) يقوم على مجموعة من الأحداث، والأفعال السّردية يشدّها رباط زمني، ومنطقي معين. وتختلف هذه الأحداث، وطرائق سردها، وتركيبها، وأنساق بنائها من شكل إلى آخر، وسواء تبسط الحدث أم تعقد، أو كان عائماً، أو سار على وفق تسلسل منطقي، فإنه يبقى وطريقة سرده الذي يميز الفن القصصي، من باقي الفنون الأدبية الأخرى.

لقد أثار عنصر الحدث، ونسق بنائه إهتمام النّقاد منذ القدم، فعُدَّ أرسطو أوّل من أشار إليه في نقد المسرحية، إذ اعتمد على المثلث الذي اشتهر باسمه فيما بعد[٤].

---

[٥] ينظر: نظرية الشّكلانيون الرّوس: ١٨٦.

[٦] الأدب وفنونه: عزّ الدّين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦: ١٥٩.

[١] ينظر: الحبكة: اليزابث ديل، ترجمةجمة الدّكتور عبدالواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النّقدي دار الرّشيد للنّشر، ١٩٨١: ١٢.

[٢] الأساليب الشّعرية: ابراهيم العريض، دار مجلة الاديب، بيروت، لبنان، ١٩٥٠: ١٣٩.

[٣] الأدب وفنونه، عز الدّين إسماعيل: ١٥٩.

[٤] ينظر: فن الشّعر: أرسطو طاليس، تح: عبد الرّحمن بدوي، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣: ٢٤.

ثم قام نقد الرّواية على لبنات هذا البناء الأرسطي، معتمداً مثلث التّطور من(بداية، وقمة، ونهاية).

ولم ينجُ السّرد من أسر هذه الفكرة فقد تبنّاها، ولكن بمثلث ضمني ينطلق فيه الشّكل من البداية إلى النّهاية مفترضاً وجود الذّروة على أنها جزء من الموقف الذي يتناوله؛ وبالرّغم من أنّه يسير بانطلاقة واحدة من البداية إلى النّهاية " ، إلا إنه لا يسير بخط مستقيم، بل بشكل هلال تتوزع عليه مجموعة من الذّرى الصّغيرة التي تشكل نقاط صعود في الموقف سواء كان صعوداً أخلاقيا، أو اجتماعياً، أو نفسياً.

ولم تترك نصوص السّرد موضوعة البحث عن تبني فكرة المثلث الضّمني للسّرد، أو العناصر الرّئيسة الثّلاث التي حددها(اوكونور) وهي:

أ- العرض. ب- النّمو. ج- العنصر المسرحي[1].

وسنحاول في هذا المبحث أنْ ندرس أنماط الحدث، ونتقصى أنساق بنائه من خلال سَيْرَهُ في السّرد، لكننا وقبل الخوض في دراسة الحدث، وأنساق بنائه لابدّ أنْ نُعرّج على قول(أوكونور) إذ يقول: "من الواضح أنَّ كلاً من الرّواية والقصة القصيرة، مع أنّهما تستمدان من نفس المنابع، تستمدان بطريقة مختلفة تماماً"[2]. وكذا الحال للقصة القصيرة جداً، فإنها تستمد أفكارها من نفس المنابع أيضاً، ولكن بطريقة مغايرة تماماً للرّواية، وفي هذا الصّدد قول لـ(ترنتويل ميسون وايت): "تستخدم الأقصوصة عادة فكرة أساسية لها، تبدو لأول وهلة حادثة أو مشهداً مقتطعاً من قصة طويلة... ولكن القصة الموجزة تمثل الجوهر... للقصة الأطول منها، ولهذا فإن الأفكار الأساسية العميقة يمكن انتقاؤها من المنابع الاعتيادية للقصة القصيرة"[3].

ومن هذا نستنتج أنَّ الفنون السّردية كافة تنهل من ينبوع واحد، ولكن كل واحد يعالج موضوعاته حسبما تقتضيه تقنياته وأصوله. فالرّواية مثلاً يكون مركزها المجتمع، فهو المتقدم فيها، وغالباً ما تقدم صراعاً بين أطراف متناقضة، وتتناول مشاكل المجتمع، وقضاياه، في حين يكون مركز القصة القصيرة هو الفرد وإطارها المجتمع الذي يعيش فيه، فتصور مأساة الفرد، لذا قال(اوكونور): إنها "الوعي الحاد

---

[1] ينظر: الصّوت المنفرد "مقالات في القصة القصيرة": فرانك اوكونور، ترجمة: محمود الرّبيعي، المركز القومي للتّرجمة، ٢٠٠٩: ٢٠.

[2] الصّوت المنفرد: ١٤.

[3] فن كتابة الاقصوصة: ميكانيك الاقصوصة: ١٢.

باستيحاش الإنسان"[٤]. بينما تعرض القصة القصيرة جداً فكرة أو حالة تمثل ومضة من الحياة، فأحداثها غالباً ما تكون هامشية مقتطعة من الحياة اليومية. ولعل شكلها حتم عليها الالتّزام بتلك القاعدة- بساطة الحدث- حتى لا تخرج إلى لون آخر من ألوان الفن القصصي.

---

[٤] الصّوت المنفرد : ١٤.

بناء الحدث في السّرد

إنَّ أغلب مصطلحات بناء الأحداث لم تأخذْ من حيز تطبيقها ما أخذته مصطلحات بناء الأحداث على صعيد الخطاب، التي أشاعها تودوروف بعد أنْ أخذها من توماشفسكي وكان لها أثراً كبيراً في نقدنا العربي الحديث من حيث تداولها، وهي:

١- التّتابع أو المتتابع أو التّجاور أو التّسلسل أو المتسلسل[١].

ويسمى بـ"التّوالدي"[٢]، والمصطلح الأول هو الأكثر استعمالاً الآن، والبناء المتتابع هو البناء الذي يقوم على أساس سرد أحداث القصة من بدايتها إلى نهايتها بصور تعاقبية من غير انقطاعات في سير الأحداث وزمنها[٣]. ويطلق الرّوس عليه مصطلح(النّظم)[٤] أيضاً.

٢- التّضمين أو الدّمج أو التّرصيع:

المصطلح الأول متدوال الآن ولدقته الدّلالية التي نتفق ومعناه عندنا –أي في معاجمنا- وعند الغرب، فالمصطلح الثّاني هو مصطلح يصف التّعريف أو مفهوم المصطلح عند الغرب، و الثّ الثّ كذلك، أما الرّابع فلا يتفق ومعنى التّرصيع والتّضمين في معاجمنا العربية إلا من حيث المجاز، فالتّرصيع يأتي بمعنى التّركيب[٥].

---

[١] ينظر: مسألية القصة من خلال بعض النّظريات الحديثة: ٢ /٩٩؛ تحليل الخطاب الرّوائي: ٢٥٦؛ البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/ ١٣؛ النص " البنية ، السياق " ، الطاهر روابنه ، اللغة والادب ، معهد اللغة العربية ، جامعة الجزائر ، ع (٨) ، ملتقى علم النص،١٩٩٦: ٦٥؛ السّردية في النّقد الرّوائي العراقي: ١٠٩- ١١١.

[٢] ينظر: النّقد البنيوي والنّص الرّوائي: ٢/ ٢١- ٢٢.

[٣] ينظر: السّردية في النّقد الرّوائي العراقي: ١٠٩- ١١١، وأبنية المتون في الرّواية العربية، عبد الله إبراهيم: ع٦٢، ١٩٩١: ٢٤؛ بنية السّرد التّراثي: "قصة بياض ورياض "لمؤلف مجهول –أنموذجا، محمد الشّوابكة وفائز العتبي: ١٠٠؛ بنية الرّواية والفيلم: عبد الله ابراهيم، آفاق عربية، بغداد، ع(٤)، ١٩٩٣: ١١٧؛ السّرد الرّوائي والسّرد العلمي وضرورات المعالجة العلمية، فراس عبد الجليل، الموقف الثّقافي، بغداد: ع٣٢، س٢٠٠١: ٥- ٩.

[٤] ينظر: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي حديث عيسى بن هشام للمويلحي: محمد رشيد ثابت، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٢: ٣٨؛ النّص البنية والسّياق: ٦٥.

[٥] ينظر: البنية القصصية في رسالة الغفران: ٨٩. ومسألية القصة من خلال بعض النّظريات الحديثة: ٢ /٩٩ وتحليل الخطاب الرّوائي: ٢٥٦، والبناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١ / ١٥- ١٧ ينظر: الرّواية الفرنسية الجديدة: نهاد التّكرلي، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، الموسوعة الصّغيرة، ع ١٦٦ و١٦٧، ١٩٨٥م.: ٢ / ٣٩ ؛ النّص: البنية والسّياق: ٦٦؛ قصص الحيوان جنسا أدبيا: ٢٩٢.

كما يأتي بمعنى التّسجيع أو توازن الفواصل في الطّرفين المتقابلين، وهو بهذا يقابل تقابل القصة الأم والقصة الصّغرى المتضمنة فيها في نسق التّضمين.

أما مفهوم نسق التّضمين هو أنْ تتضمن الرّواية أو النّص السّردي قصصا ضمن الإطار العام للقصة الأم، ويأتي هذا التّضمين للقصص داخل البنية الكبرى للنّص السّردي لغايات جمالية وفكرية وفنية. ويطلق على هذا اللّون من البناء(التّأطير)، إذ يعدّ كل من التّضمين والتّأطير نسقا واحدا، وهما قد يختلفان "في أمر واحد هو الدّافع في نشوء كل منهما، ففي الوقت الذي ينشأ فيه(التّضمين) بدافع برهنة على أمر أو فكر ما، أو بدافع رغبة في تأجيل نهاية القصة[1].

كما هو الأمر في "قصص ألف ليلة وليلة" التي ينشأ التّضمين فيها بدافع من رغبة "شهرزاد" في الإفلات من مصير بنات جنسها، عن طريق تأجيل نهاية القصة –في الوقت نفسه ينشأ التّأطير– وهو النّظير الأوربي للتّضمين– عندما يفتح الكلام هدفا في ذاته"[2].

وقد اصطلح نقدنا العربي الحديث على(القصة المضمنة) داخل النّص السّردي عدة مصطلحات هي:

أ– القصة المضمنة[3].

ب– القصة النّرجسية.

ج– خلاصة القصة ألام أو القصة الكبرى.

د– القصة الصّغرى.

هـ– اللّقطة المعترضة[4].

---

(1) ينظر: مسألية القصة من خلال بعض النّظريات الحديثة: ٢/ ٩٩؛ تحليل الخطاب الرّوائي: ٢٥٧؛ الرّواية الفرنسية الجديدة: ٢: ٢٤- ٢٦؛ السّردية في النّقد الرّوائي العراقي: ١٠٩ و١١٤- ١١٧؛ قصص الحيوان جنسا أدبيا: ٢٩٢؛ النّص: البنية والسّياق: ٦٦.

(2) البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/ ١١- ١٢.

(3) ينظر: البنية القصصية في حديث عيسى بن هشام: ٥٣ ؛ البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/ ١٥- ١٦؛ السّردية في النّقد الرّوائي العراقي: ١٠٩و ١١٤- ١١٦؛ قصص الحيوان جنسا أدبيا: ٤٤٥.

(4) المصدر نفسه: ٢٠- ٢١.

ويشير الدّكتور شجاع العاني إلى إنه قد أخذ المصطلح الثّاني من النّاقد الفرنسي جان ريكاردو[١].الذي أخذ هذا المصطلح بدوره من آندريه جيد، وهو يعني فيما يعني أنَّ القصة المضمّنة تنازع القصة الأم أو كما يطلق عليها النّقد الانجلو أمريكي بـ "القصة الإطار"[٢] على السّرد أو سرد الأحداث، ويرى النّاقد نفسه أنَّ النّرجسية هذه لا يمكن أنْ تحدث ما لم تكن أحداث القصة الصّغرى تتسم بالطّول بحيث تطغى على أحداث القصة الأم –الكبرى– وتنازعها في جاذبية الأحداث، وتنعت القصة المضمنة بـ "المرآة" فهي بمثابة المرآة التي تعكس أحداث القصة الأم وتنبئ عن نهايتها من الدّاخل[٣].

وهذا الأنباء بنهاية القصة الأم عبر القصة المضمنة يطلق عليه مصطلح "الأرصاد"[٤]، وقد يكون(الأرصاد) المنبئ عن خاتمة القصة الأم متأتيا عن طريق قصة مضمنة بل يكفي أنْ يأتي عن طريق جملة قصصية صغيرة من القصة الأم[٥].

ويصنف الدّكتور شجاع العاني القصة المضمنة إلى صنفين اصطلح عليهما بـ:

١– القصة المضمنة الذّاتية: وهي القصة الأصلية –الأم– نفسها، وذات علاقة بها وبأحداثها. وهي بمثابة قصص الشّخصيات الفرعية[٦]، أي– التّضمين الدّاخلي– .

٢– القصة المضمنة الأجنبية: وهي القصة الغريبة عن القصة الأصلية –الأم– ولا علاقة لها بالقصة ولا بأحداثها، وإذا ما كانت هناك من علاقة فهي علاقة رمزية أو مجازية، ومن صورها أنْ يعمد القاص إلى تضمين قصة أو نص قصصي معروف وسابق على نصه الوضعي من النّاحية التّاريخية[٧].أي(التّضمين الخارجي).

---

[١] ينظر: بناء الرّواية العربية في الكويت: مهدي جبر صبر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩: ٩٧.

[٢] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/ ١٦؛ قضايا الرّواية الحديثة، جان ريكاردو: ٢٦١- ٢٩٠.

[٣] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١/ ٢١؛ السّردية في النّقد الرّوائي العراقي: ١١٤.

[٤] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١ / ١٦؛ قضايا الرّواية الحديثة: ٢٦١- ٢٩٠.

[٥] ينظر: المصدر نفسه.

[٦] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق، ١/ ١٨.

[٧] المصدر نفسه: ١٨/١.

وقد اجمل الباحث الدّرة وظائف التّضمين بما يأتي:

١- "يؤدي التّضمين وظيفة ملء الفراغ والتّوزيع على المستويات السّردية، كما أشار إلى ذلك الباحثان رينيه وبلبك واوستن وارين[١].

٢- يؤدي وظيفة تغير مسار الاتجاه السّردي، إذ إنَّ التّنازع القائم ما بين القصة المضمنة والقصة الأم من شأنه أنْ يؤدي إلى تغير النّسق البنائي. مما يؤدي إلى حدوث انتقاله على مستوى السّرد من البناء المتتابع إلى البناء المتناوب والذي يقتضي من الرّوائي أنْ يسرد جُزءً من القصة الأم ثم يتوقف السّرد مدة، ليسرد لنا أحداث القصة الصّغرى.

٣- يؤدي وظيفة الأرصاد، حيث تؤدي القصة الصّغرى مهمة الأخبار بنهاية الأحداث أو بالكيفية التي ستؤول إليها الأحداث في القصة الكبرى.

٤- الكشف عن المنظور الأيديولوجي للرّواية الكبرى- أي القصة الأم- من خلال ما توضحه لنا القصة الصّغرى من مثل النّظم الاجتماعية والسّياسية.. إلخ التي نشم رائحتها في جو الرّواية.

٥- تعليق الحدث في القصة الأصلية وهو إسلوب من أساليب الإخفاء أو الإرجاء يحاول إخفاء رمز القصة لإظهاره بعد حين"[٢].

نكون بهذه الوريقات التي تكدست بها المعلومات الجمة عن الحدث وما لم أستطع أنْ أدرجه في طيات هذه الورقات جعلت أكثرها إشارات في الهامش ليتم التّأكد والاطلاع عليها والرّجوع لها لمن أراد الاستزادة.

---

[١] ينظر: نظرية الأدب: ٢٨٩.

[٢] ينظر: السّردية في النّقد الرّوائي العراقي: ١١٨.

الفصل الثّالث
الحدث في السّرد والسّيرة
المبحث الثّاني
الحدث في السّيرة

الأنساق البنائية للحدث في السّيرة

يسعى الرّاوي إلى التّفنن في أحداثه وسردها، ناسجاً خيوطاً جمالية لإضفاء الرّوح والحيوية على النّص، ويُعرف النّسَق على أنّه "الهيكل البنائي الذي يعتمده الرّاوي في إرسال مرويه"[١].

أي هو الطّريقة التي يختارها الرّاوي في إيصال الأحداث للمروي له، متبعاً لذلك عدّة طرائق، فهو تارةً يسعى إلى عرضها بأسلوب تتابعي منطقي وتارة أخرى يعرضها بشكل تضميني أو دائري أو فوضوي، وهكذا على وفق ما يراه منسجماً مع نصه السّردي الذي يشتغل عليه.

وتأتي أهمية النّسق بوصفه عنصراً بنائياً من أنَّ الأحداث لا يمكن لها أنْ تنسجم أو تنتظم من دون أنْ تُبنى على وفق أنساق معينة[٢].

ومن الأنساق السّردية للحدث التي حاولنا استقصائها ضمن كِتاب سّيرة ابن هشام كما ما يأتي:

١. نَسَق التّتابع: يعدُ هذا النّسق البنائي من الأنساق "التّي عُرفت منذ زمن طويل وقد هيمن مدة طويلة على فنّ القص بمختلف أجناسه، فقد كانت الأحداث تقدم للسّامع بنفس ترتيب وقوعها أي سردها وبحسب ترتيبها الزّمني"[٣].

وفي هذا اللّون من الأنساق تتم فيه رواية أحداث القصة جزءاً بعد جزء دون أنْ تتداخل أحداثها مع أيّة قصة أخرى، وهو على ذلك من أكثر الأنساق شيوعاً وبساطة[٤]، إذ يسعى فيه الرّاوي إلى سرد الأحداث بشكل خيطي متسلسل مخضعاً بناء الحدث "لمنطق السّببية، فالسّابق يكون سبباً للاحق، ويظلّ الرّوائي ينسج حبكة النّص صاعداً إلى الأمام بشكل أفقي خطّي فيتأزم المتن الحكائي في لحظة ما- هي الذّروة- ثم تنفرج في نهاية يغلق فيها الرّاوي النّص"[٥].

---

[١] مهدي جبر دراسة في فنّه القصصي: رسالة ماجستير للباحث مشتاق سالم عبد الرّزاق، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠٠٤: ٤٤.

[٢] ينظر: بناء الحدث في شعر نازك الملائكة، مقاربة نصية: نجوى محمد جمعة، مجلة آداب البصرة، العدد ٤٤، ٢٠٠٧: ٩٤.

[٣] الفضاء الرّوائي عند جبرا ابراهيم جبرا: ٧٣.

[٤] ينظر: البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ٨.

[٥] الزّمن في الرّواية العربية: ٦٥.

وقد جاءت أكثر أخبار ابن هشام منسابة بشكل تتابعي، قدّمها لنا الرّاوي على وفق هذا النّسق البنائي، ولعل من أبرز خواص الخبر وأهمها هو تأكيد الرّاوي على نقل الواقعة الإخبارية نقلاً تتابعياً من دون حدوث أيّة انحرافات بارزة في بنيته الزّمنية[١].

ومن أمثلة هذا البناء ما يعرضه ابن هشام في التّسلسل الزّمني للأحداث فهو يسرد الأحداث متتابعة في الجزء الأوّل من خبر ولادته 5 إلى خبر حديثه 5 عن عصمة الله له في طفولته.

الأمثلة: "وِلَادَةُ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَرَضَاعَتُهُ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وُلِدَ رَسُولِ اللهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ عَامَ الْفِيلِ. ويذكر ابن هشام تتابع الحدث في "رِوَايَةُ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ عَنْ مَوْلِدِهِ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي الْمُطّلِبُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ وَلَدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عَامَ الْفِيلِ فَنَحْنُ لِدَانِ"[٢].

وهكذا يستمر الرّاوي في نقل الخبر وفق تسلسل منطقي دون ملاحظة أي تخلخل زمني بل مضت الأحداث بشكل طبيعي ليصل إلى "إعْلَامُ أُمّهِ جَدّهُ بِوِلَادَتِهِ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا وَضَعَتْهُ أُمّهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَرْسَلَتْ إلى جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ: أَنّهُ قَدْ وُلِدَ لَك غُلَامٌ فَأْتِهِ فَانْظُرْ إلَيْهِ فَأَتَاهُ فَنَظَرَ إلَيْهِ وَحَدّثَتْهُ بِمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ وَمَا قِيلَ لَهَا فِيهِ وَمَا أُمِرَتْ بِهِ أَنْ تُسَمّيَهُ[٣].

ويذكر بعد ذلك متتابعا "فَرَحُ جَدّهِ بِهِ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَالتّمَاسُهُ لَهُ الْمَرَاضِعَ، فَيَزْعُمُونَ أَنّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ أَخَذَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ؛ فَقَامَ يَدْعُو الله وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ ثُمّ خَرَجَ بِهِ إلى أُمّهِ فَدَفَعَهُ إلَيْهَا. وَالتّمَسَ لِرَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الرّضَعَاءَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمَرَاضِعُ. وَفَى كِتَابِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السّلَامُ: {وَحَرّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ}(سورة القصص: الآية ١٢)"[٤].

ويستمر ابن هشام في سرد الأحداث إلى أنْ يصل لـ "حَدِيثُ حَلِيمَةَ عَمّا رَأَتْهُ مِنْ الْخَيْرِ بَعْدَ تَسَلّمِهَا لَهُ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبِ

---

[١] ينظر: المتخيل السّردي: ١٠٨.

[٢] السّيرة النبوية: ١/ ١٩٦.

[٣] السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٦.

[٤] المصدر نفسه: ١/ ١٩٧.

الْجُمَحِيّ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. أو عَمّنْ حَدّثَهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السّعْدِيّةُ أُمّ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) التي أَرْضَعَتْهُ تُحَدّثُ أَنّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرّضَعَاءَ قَالتّ وَذَلِك فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا. قَالتّ فَخَرَجَتْ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ مَعَنَا شَارِفٌ لَنَا، وَاللهِ مَا تَبِضّ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيّنَا الذي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنْ الْجَوْعِ. مَا فِي ثَدْيَيّ مَا يُغْنِيهِ وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَدّيهِ– قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ يُغَذّيهِ– وَلَكِنّا كُنّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ فَخَرَجْت عَلَى أَتَانِي تِلْكَ فَلَقَدْ أَدَمْتُ بِالرّكْبِ حَتّى شَقّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجَفًا"[1].

ويبقى ابن هشام في التّتابع ويسرد الحدث "حَتّى قَدِمْنَا مَكّةَ نَلْتَمِسُ الرّضَعَاءَ فَمَا مِنّا امْرَأَةٌ إلّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قِيلَ لَهَا إنّهُ يَتِيمٌ وَذَلِك أَنّا إنّمَا كُنّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصّبِيّ فَكُنّا نَقُولُ يَتِيمٌ وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمّهُ وَجَدّهُ فَكُنّا نَكْرَهُهُ لِذَلِك، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إلّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، فَلَمّا أَجْمَعْنَا الِانْطِلَاقَ قُلْت لِصَاحِبِي: وَاللهِ إنّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَاللهِ لَأَذْهَبَن إلى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنّهُ قَالَ لَا عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى الله أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً. قَالتّ فَذَهَبْتُ إلَيْهِ فَأَخَذْته، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إلّا أَنّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ"[2].

ويستمر في سرد الحدث "قَالتّ فَلَمّا أَخَذْتُهُ رَجَعْت بِهِ إلى رَحْلِي، فَلَمّا وَضَعْته فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتّى رَوِيَ وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتّى رَوِيَ ثُمّ نَامَا "وَمَا كُنّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَقَامَ زَوْجِي إلى شَارِفِنَا تِلْكَ. فَإِذَا إنّهَا لَحَافِلٌ فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتّى انْتَهَيْنَا رِيّا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ. قَالتّ يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعَلّمِي وَاللهِ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ أَخَذْت نَسَمَةً مُبَارَكَةً قَالتّ فَقُلْت: وَاللهِ إنّي لَأَرْجُو ذَلِكَ. قَالتّ ثُمّ خَرَجْنَا وَرَكِبْت أَنَا أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي، فَوَاللهِ لَقَطَعَتْ بِالرّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَك ارْبَعِي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَك التي كُنْت خَرَجْت عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ لَهُنّ بَلَى وَاللهِ إنّهَا لَهِيَ هِيَ فَيَقُلْنَ وَاللهِ أنَّ لَهَا لَشَأْنًا"[3].

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ١٩٩.

[2] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٠.

[3] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٠- ٢٠١.

ويبقى ابن هشام ضمن التّتابع الحدثي وهو يسرد الأحداث "قَالتّ ثُمّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الله أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبّنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ وَمَا يَحْلُبُ إنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبّنًا. فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرّفُ مِنْ الله الزّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ وَكَانَ يَشِبّ شَبَابًا لَا يَشِبّهُ الْغِلْمَانُ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا*. قَالتّ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا، لِمَا كُنّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ. فَكَلّمْنَا أُمّهُ وَقُلْت لَهَا: لَوْ تَرَكْت بُنَيّ عِنْدِي حَتّى يَغْلُظَ فَإِنّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَأَ* مَكّةَ، قَالتّ فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتّى رَدّتْهُ مَعَنَا"(١).

وهكذا يستمر ابن هشام في سرد الحدث دون ملاحظة أي تخلخل زمني إلى ذكر خبر "حَدِيثُ الْمَلَكَيْنِ اللذّيْنِ شَقّا بَطْنَهُ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)، قَالتّ فَرَجَعْنَا بِهِ فَوَاللهِ إنّهُ بَعْدَ مَقْدِمِنا بِهِ بِأَشْهُرٍ مَعَ أَخِيهِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا، إذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقّا بَطْنَهُ فَهُمَا يَسُوطَانِهِ. قَالتّ فَخَرَجْت أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَقِعًا وَجْهُهُ. قَالتّ فَالتَزَمْته وَالتَزَمَهُ أَبُوهُ فَقُلْنَا لَهُ مَا لَك يَا بُنَيّ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِي وَشَقّا بَطْنِي، فَالتَمِسَا فِيهِ شيئاً لَا أَدْرِي مَا هُوَ. قَالتّ فَرَجَعْنَا بِهِ إلى خِبَائِنَا"(٢).

ويتابع بعد ذلك سرد الحدث في "رُجُوعُ حَلِيمَةَ بِهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى أُمّهِ، قَالتّ وَقَالَ لِي أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ فَأَلْحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ قَالتّ فَاحْتَمَلْنَاهُ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمّهِ فَقَالتّ مَا أَقْدَمَك بِهِ يَا ظِئْرُ* وَقَدْ كُنْتِ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مُكْثِهِ عِنْدَك؟ قَالتّ فَقُلْت: قَدْ بَلَغَ الله بِابْنِي وَقَضَيْتُ الذي عَلَيّ وَتَخَوّفْت الأحداث عَلَيْهِ فَأَدّيْته إلَيْك كَمَا تُحِبّينَ قَالتّ مَا هَذَا شَأْنُك، فَاصْدُقِينِي خَبَرَك. قَالتّ فَلَمْ تَدَعْنِي حَتّى أَخْبَرْتُهَا. قَالتّ أَفَتَخَوّفَتْ عَلَيْهِ الشّيْطَانَ ؟ قَالتّ

---

* اسْتَجْفَر الصّبيُّ إذا قوي على الأكل.

* وردت في النّص كهذا ونرجح أنّها وباء.

(١) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠١.

(٢) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠١- ٢٠٢.

* الظّئْرُ: العاطفةُ على غير ولدها المرْضِعةُ له من النّاس.

قُلْت نَعَمْ قَالتّ كَلّا، وَاللهِ مَا للشّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ وَإِنّ لِبُنَيّ لَشَأْنًا، أَفَلَا أُخْبِرُكِ خَبَرَهُ قَالتّ قُلْت بَلَى، قَالتّ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنّهُ خَرَجَ مِنّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشّامِ، ثُمّ حَمَلْتُ بِهِ فَوَاللهِ مَا رَأَيْت مِنْ حَمْلٍ قَطّ كَانَ أَخَفّ عَلَيّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْته وَإِنّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ رَافِعٌ رَأْسَهُ إلى السّمَاءِ دَعِيهِ عَنْك وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً"(١).

إذ يتحدث عن ولادة النّبي 5 وإعلام أمه لجده في مولده وفرح جده بولادته 5 ثم يذكر خبر طلب الرّضاع له 5 ويذكر حليمة وحالها ويتحدث عن الملكين الذّين شقا صدره 5 ورجوع حليمة به إلى أمه وبعد ذلك يذكر وفاة أمه(عليها السّلام) وحاله 5 مع جده عبد المطلب، وإكرام جده له، ثم يذكر وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه أبو طالب بعد ذلك يبقى في التّتابع والتّسلسل إذ يذكر قولا لرجل من لهب عن رسول الله ص قاله لعمه أبي طالب وأنّه ليكون له شأن عظيم ومن ثم يعرض سفره مع عمه أبي طالب إلى الشّام وقصة بحيرى الرّاهب ورجوعهما إلى مكة، بعد ذلك يكون السّرد تضمينيا إذ يقوم ابن هشام في حديثه 5 عن عصمة الله له في طفولته وحرب الفجار ونشوب الحرب وقادة قريش، وهذا تضمين للأحداث.

وهنا يكون بعض التّضمين في الأحداث لينتقل الرّاوي من التّتابع إلى التضمين في خبر"تَعْرِيفُهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِنَفْسِهِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ وَحَدّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا أَحْسَبُهُ إلّا عَنْ خَالدّ بْنِ مَعْدَانَ الْكُلَاعِيّ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَالُوا لَهُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِك؟ قَالَ نَعَمْ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمّي حِين حَمَلَتْ بِي أَنّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا، إذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمّ أَخَذَانِي فَشَقّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثّلْجِ حَتّى أَنْقَيَاهُ ثُمّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ ثُمّ قَالَ زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتهمْ فَقَالَ دَعْهُ عَنْك، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمّتِهِ

(١) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٢.

لَوَزَنَهَا. هُوَ وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ رَعَوْا الْغَنَمَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَقُولُ مَا مِنْ نَبِيّ إلّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ قِيلَ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ وَأَنَا"(٢).

ثم يرجع الرّاوي ويستمر في نقل الخبر وفق تسلسل منطقي دون أي تخلخل زمني ويكمّل التّتابع بذكره "وَفَاةُ آمِنَةَ وَحَالُ رَسُولِ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَعَ جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بَعْدَهَا، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَعَ أُمّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَجَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فِي كَلَاءَةِ الله وَحِفْظِهِ يُنْبِتُهُ الله نَبَاتًا حَسَنًا لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سِتّ سِنِينَ تُوُفّيَتْ أُمّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أنَّ أُمّ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) آمِنَةُ تُوُفّيَتْ وَرَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ابْنُ سِتّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ تُزِيرُهُ إيّاهُمْ فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إلى مَكّةَ. إكْرَامُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ لَهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَهُوَ صَغِيرٌ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَعَ جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَكَانَ يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمُطّلِبِ فِرَاشٌ فِي ظِلّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتّى يَخْرُجَ إلَيْهِ لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إجْلَالًا لَهُ؟ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ حَتّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤَخّرُوهُ عَنْهُ فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ، إذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ دَعُوا ابْنِي، فَوَاللهِ أنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ وَيَسُرّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ"(٢).

ثم يستمر الرّاوي في نقل الخبر تتابعا حينما توفي جده عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وكان عمره(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ثَمَانِ سِنِينَ "هَلَكَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ. وَذَلِكَ بَعْدَ الْفِيلِ بِثَمَانِ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ مَعْبَدِ بْنِ الْعَبّاسِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ أنَّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ تُوُفّيَ وَرَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ: أنَّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ لَمّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَعَرَفَ أَنّهُ مَيّتٌ جَمَعَ بَنَاتِهِ وَكُنّ سِتّ نِسْوَةٍ صَفِيّةَ، وَبَرّةَ وَعَاتِكَةَ، وَأُمّ حَكِيمٍ الْبَيْضَاءَ وَأُمَيْمَةَ،

---

(٢) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٢- ٢٠٣.

(٢) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠٤- ٢٠٥.

وَأَرْوَى، فَقَالَ لَهُنّ ابْكِينَ عَلَيّ حَتّى أَسْمَعَ مَا تَقُلْنَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشّعْرِ يَعْرِفُ هَذَا الشّعْرَ إلّا أَنّهُ لَمّا رَوَاهُ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ كَتَبْنَاهُ"[1].

كِفَالَةُ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَكَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بَعْدَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَعَ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- يُوصِي بِهِ عَمّهُ أَبَا طَالِبٍ وَذَلِكَ لأنَّ عَبْدَ الله أَبَا رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمّ أُمّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ. وِلَايَةُ أَبِي طَالِبٍ لِأَمْرِ الرّسُولِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الذي يَلِي أَمْرَ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بَعْدَ جَدّهِ فَكَانَ إلَيْهِ وَمَعَهُ"[1].

ويبقى في سرد الأحداث كما جاء في النّص "نُبُوءَةُ رَجُلٍ مِنْ لَهَبٍ عَنْ رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ الزّبَيْرِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ لَهَبٍ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَهَبٌ مِنْ أَزْدَ شَنُوءَةَ- كَانَ عَائِفًا، فَكَانَ إذَا قَدِمَ مَكّةَ أَتَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ بِغِلْمَانِهِمْ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ وَيَعْتَافُ لَهُمْ فِيهِمْ. قَالَ فَأَتَى بِهِ أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ غُلَامٌ مَعَ مَنْ يَأْتِيهِ فَنَظَرَ إلى رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ثُمّ شَغَلَهُ عَنْهُ شَيْءٌ فَلَمّا فَرَغَ قَالَ الْغُلَامُ عَلَيّ بِهِ فَلَمّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيّبَهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يَقُولُ وَيْلَكُمْ رُدّوا عَلَيّ الْغُلَامَ الذي رَأَيْت آنِفًا، فَوَاللّهِ لَيَكُونَنّ لَهُ شَأْنٌ. قَالَ فَانْطَلَقَ أَبُو طَالِبٍ"[2].

ثم يعود إلى حديث تزويجه من خديجة ويكمل التّتابع.

الأمثلة: "حَدِيثُ تَزْوِيجِ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) خَدِيجَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً تَزَوّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبٍ، فِيمَا حَدّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْمَدَنِيّ"[3].

---

[1] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٥- ٢٠٦.

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢١٦.

[2] المصدر نفسه: ١/ ٢١٦- ٢١٧.

[3] المصدر نفسه: ١/ ٢٢٤.

خُرُوجُهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى الشّامِ فِي تِجَارَةِ خَدِيجَةَ وَمَا كَانَ مِنْ بَحِيرى، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ. فَلَمّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَا بَلَغَهَا، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ بَعَثَتْ إلَيْهِ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إلى الشّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التّجّارِ مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسَرَةَ فَقَبِلَهُ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْهَا، وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ حَتّى قَدِمَ الشّامَ. فَنَزَلَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فِي ظِلّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنْ الرّهْبَانِ فَاطّلَعَ الرّاهِبُ إلى مَيْسَرَةَ فَقَالَ لَهُ مَنْ هَذَا الرّجُلُ الذي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ؟ قَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ؛ فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ قَطّ إلّا نَبِيّ"[1].

ويسرد الأحداث في خبر "رَغْبَةُ خَدِيجَةَ فِي الزّوَاجِ مِنْهُ، ثُمّ بَاعَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) سِلْعَتَهُ التي خَرَجَ بِهَا، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ ثُمّ أَقْبَلَ قَافِلًا إلى مَكّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ. فَكَانَ مَيْسَرَةُ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- إذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدّ الْحُرّ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلّانِهِ مِنْ الشّمْسِ- وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ. فَلَمّا قَدِمَ مَكّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضْعَفَ أو قَرِيبًا. وَعَمّا كَانَ يَرَى مِنْ إظْلَالِ الْمَلَكَيْنِ إيّاهُ. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً مَعَ مَا أَرَادَ الله بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ فَلَمّا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ بَعَثَتْ إلى رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَقَالتّ لَهُ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- يَا ابْنَ عَمّ. إنّي قَدْ رَغِبْتُ فِيك لِقَرَابَتِك، وَسِطَتِكَ فِي قَوْمِك وَأَمَانَتِك وَحُسْنِ خُلُقِك، وَصِدْقِ حَدِيثِك، ثُمّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنّ مَالًا؛ كُلّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ"[2].

ويتابع ذكر الأحدث في خبر "زَوَاجُهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْ خَدِيجَةَ، فَلَمّا قَالتّ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، رَحِمَهُ الله حَتّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبَهَا إلَيْهِ فَتَزَوّجَهَا. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عِشْرِينَ بَكْرَةً وَكَانَتْ أوّل امْرَأَةٍ تَزَوّجَهَا رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَلَمْ يَتَزَوّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتّى مَاتَتْ رَضِيَ الله عَنْهَا.

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٢٤- ٢٢٥.

[2] المصدر نفسه: ١/ ٢٢٥- ٢٢٦.

أَوْلَادُهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْ خَدِيجَةَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَلَدَهُ كُلّهُمْ إلّا إبْرَاهِيمَ الْقَاسِمَ وَبِهْ كَانَ يُكَنّى(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَالطّاهِرَ وَالطّيّبَ وَزَيْنَبَ، وَرُقَيّةَ، وَأُمّ كُلْثُومٍ، وَفَاطِمَةَ، عَلَيْهِمْ السّلَامُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَكْبَرُ بَنِيهِ الْقَاسِمُ ثُمّ الطّيّبُ ثُمّ الطّاهِرُ وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ رُقَيّةُ ثُمّ زَيْنَبُ ثُمّ أُمّ كُلْثُومٍ، ثُمّ فَاطِمَةُ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَأَمّا الْقَاسِمُ وَالطّيّبُ وَالطّاهِرُ فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيّةِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ"[٣].

وهكذا يستمر الرّاوي في نقل الخبر وفق تسلسل منطقي دون ملاحظة أي تخلخل زمني بل مضت الأحداث بشكل طبيعي، ونسيج متتابع الحدوث، قصده الرّاوي وهو يسرد لنا ما جرى من تزويج النّبي من خديجة وخروجه في تجارتها إلى الشّام وعودته وأولاده منها وتكلم خديجة مع ورقة وينتقل إلى حدث بنيان الكعبة وحكم رسول 5 الله بين قريش في وضع الحجر. ونلاحظ مثل هذا البناء لخبر آخر يسوقه إذ إنّه ساق الخبر عن بنيان الكعبة ليصل إلى كيفية تجزءة الكعبة بين قريش واختلاف قريش في وضع الحجر ولكي يسرد قصة الحية التي كانت في بنيان الكعبة إلخ.. لأنه إنْ لم يذكر حدث بنيان الكعبة لم يستطع أنْ يذكر ما بعده من أحداث ويعد هذا من نسق التّضمين.

بعد ذلك يسرد ابن هشام تضمنينا للأحداث ويورد خبر "أُمّ إبْرَاهِيمَ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَمّا إبْرَاهِيمُ فَأُمّهُ مَارِيَةُ الْقِبْطِيّةُ. حَدّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ لَهِيعَةَ قَالَ أُمّ إبْرَاهِيمَ مَارِيَةُ سُرّيّةُ النّبِيّ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) التي أَهْدَاهَا إلَيْهِ الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْنَ مِنْ كُورَةِ أَنْصِنَا"[١].

ويعود ابن هشام لتتابع الأحداث ويذكر خبر "حَدِيثُ خَدِيجَةَ مَعَ وَرَقَةَ وَصِدْقُ نُبُوءَةِ وَرَقَةَ فِيهِ (صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ)، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ قَدْ ذَكَرَتْ لِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى، وَكَانَ ابْنَ عَمّهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيّا قَدْ تَتَبّعَ الْكُتُبَ وَعَلِمَ مِنْ عِلْمِ النّاسِ- مَا ذَكَرَ لَهَا غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ مِنْ قَوْلِ الرّاهِبِ وَمَا كَانَ يَرَى مِنْهُ إذْ كَانَ الْمَلَكَانِ يُظِلّانِهِ فَقَالَ وَرَقَةُ لَئِنْ كَانَ هَذَا حَقّا يَا خَدِيجَةُ، أَنّ مُحَمّداً لَنَبِيّ هَذِهِ الْأُمّةِ وَقَدْ عَرَفْتُ أَنّهُ كَائِنٌ لِهَذِهِ الْأُمّةِ نَبِيّ يُنْتَظَرُ هَذَا زَمَانُهُ أو كَمَا قَالَ: فَجَعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ حَتّى مَتَى؟"[٢].

---

[٣] المصدر نفسه: ١/ ٢٢٧.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٢٧.

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٢٢٧- ٢٢٨.

لقد سعى ابن هشام إلى ترتيب أحداث الخبر ترتيباً واعياً ضمن سياق أدبي متسلسل عرض لنا فيه ما جرى من كيفية بناء الكعبة وما بعده من أحداث لكي ينتقل إلى خبر الحمس والقبائل التي دانت الحمس ويصف الكعبة وارتفاعها وأول من كساها بالدّيباج.

الأمثلة: "حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِبُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، وَكَانُوا يُهِمّونَ بِذَلِكَ لِيُسَقّفُوهَا وَيَهَابُونَ هَدْمَهَا كَانَتْ رَضْمًا فَوْقَ الْقَامَةِ فَأَرَادُوا رَفْعَهَا وَتَسْقِيفَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا سَرَقُوا كَنْزًا لِلْكَعْبَةِ وَإِنّمَا كَانَ يَكُونُ فِي بِئْرٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ الذي وُجِدَ عِنْدَهُ الْكَنْزُ دُوَيْكًا مَوْلًى لِبَنِي مُلَيْحِ بْنِ عَمْرِو مِنْ خُزَاعَةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَقَطَعَتْ قُرَيْشٌ يَدَهُ. وَتَزْعُمُ قُرَيْشٌ أَنَّ الّذِينَ سَرَقُوهُ وَضَعُوهُ عِنْدَ دُوَيْكٍ. وَكَانَ الْبَحْرُ قَدْ رَمَى بِسَفِينَةٍ إلى جُدّةَ لِرَجُلِ مِنْ تُجّارِ الرّومِ، فَتَحَطّمَتْ فَأَخَذُوا خَشَبَهَا، فَأَعَدّوهُ لِتَسْقِيفِهَا، وَكَانَ بِمَكّةَ رَجُلٌ قِبْطِيّ نَجّارٌ فَتَهَيّأَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْضُ مَا يُصْلِحُهَا"[1].

ويبقى في سرد الخبر وما كانت من حية في الكعبة "وَكَانَتْ حَيّةً تَخْرُجُ مِنْ بِئْرِ الْكَعْبَةِ التي كَانَ يُطْرَحُ فِيهَا مَا يُهْدَى لَهَا كُلّ يَوْمٍ فَتَتَشَرّقُ عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ مِمّا يَهَابُونَ وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ لَا يَدْنُو مِنْهَا أَحَدٌ إلّا احْزَالتّ وَكَشّتْ وَفَتَحَتْ فَاهَا، وَكَانُوا يَهَابُونَهَا. فَبَيْنَا هِيَ ذَاتُ يَوْمٍ تَتَشَرّقُ عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ، كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ بَعَثَ الله إلَيْهَا طَائِرًا فَاخْتَطَفَهَا، فَذَهَبَ بِهَا؛ فَقَالتّ قُرَيْشٌ: إنّا لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الله قَدْ رَضِيَ مَا أَرَدْنَا، عِنْدَنَا عَامِلٌ رَفِيقٌ وَعِنْدَنَا خَشَبٌ وَقَدْ كَفَانَا الله الْحَيّةَ"[2].

ويتابع الحدث في خبر "تَجْزِئَةُ الْكَعْبَة بَيْنَ قُرَيْشٍ، وَنَصِيبُ كُلّ فَرِيقٍ مِنْهَا، ثُمّ أَنَّ قُرَيْشًا جَزّأَتْ الْكَعْبَةَ، فَكَانَ شِقّ الْبَابِ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَزُهْرَةَ، وَكَانَ مَا بَيْنَ الرّكْنِ الْأَسْوَدِ وَالرّكْنِ الْيَمَانِي لِبَنِي مَخْزُومٍ وَقَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ انْضَمّوا إلَيْهِمْ وَكَانَ ظَهْرُ الْكَعْبَةِ لِبَنِي جُمَحٍ وَسَهْمٍ ابْنَيْ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ، وَكَانَ شِقّ الْحَجَرِ لِبَنِي عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ، وَلِبَنِي أَسَدِ بْنِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ، وَلِبَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ، وَهُوَ الْحَطِيمُ"[3].

---

[1] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٢٩- ٢٣٠.

[2] المصدر نفسه: ١/ ٢٣٠.

[3] المصدر نفسه: ١/ ٢٣١.

ويستمر ابن هشام في نسق التّتابع ويسرد خبر "هَدْمُ الْكَعْبَةِ وَمَا وَجَدُوهُ تَحْتَ الْهَدْمِ، ثُمّ أنَّ النّاسَ هَابُوا هَدْمَهَا وَفَرِقُوا مِنْهُ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: أَنَا أَبْدَؤُكُمْ فِي هَدْمِهَا، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ ثُمّ قَامَ عَلَيْهَا، وَهُوَ يَقُولُ اللّهُمّ لَمْ تُرَعْ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ لَمْ نَزِغْ- اللّهُمّ إنّا لَا نُرِيدُ إلّا الْخَيْرَ. ثُمّ هَدَمَ مِنْ نَاحِيَةِ الرّكْنَيْنِ فَتَرَبّصَ النّاسُ تِلْكَ اللّيْلَةَ وَقَالُوا: نَنْظُرُ فَإِنْ أُصِيبَ لَمْ نَهْدِمْ مِنْهَا شيئاً وَرَدَدْنَاهَا كَمَا كَانَتْ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ فَقَدْ رَضِيَ الله صُنْعَنَا، فَهَدَمْنَا. فَأَصْبَحَ الْوَلِيدُ مِنْ لَيْلَتِهِ غَادِيًا عَلَى عَمَلِهِ فَهَدَمَ وَهَدَمَ النّاسُ مَعَهُ حَتّى إذَا انْتَهَى الْهَدْمُ بِهِمْ إلى الْأَسَاسِ (أَسَاسِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السّلَامُ)، أَفْضَوْا إلى حِجَارَةٍ خُضْرٍ كَالْأَسْنِمَةِ آخِذٌ بَعْضُهَا بَعْضًا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي بَعْضُ مَنْ يَرْوِي الْحَدِيثَ أنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَ يَهْدِمُهَا، أَدْخَلَ عَتَلَةً بَيْنَ حَجَرَيْنِ مِنْهَا لِيُقْلِعَ بِهَا أَحَدَهُمَا، فَلَمّا تَحَرّكَ الْحَجَرُ تَنَقّضَتْ مَكّةُ بِأَسْرِهَا، فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ الْأَسَاسِ"[٤].

ويستمر في التّتابع ويسرد الأحداث في خبر ابن اسحاق وقوله: "وَحُدّثْت أنَّ قُرَيْشًا وَجَدُوا فِي الرّكْنِ كِتَابًا بِالسّرْيَانِيّةِ فَلَمْ يَدْرُوا مَا هُوَ حَتّى قَرَأَهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ فَإِذَا هُوَ أَنَا الله ذُو بَكّةَ خَلَقْتهَا يَوْمَ خَلَقْتُ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَصَوّرْتُ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ وَحَفَفْتهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاكٍ حُنَفَاءَ لَا تَزُولُ حَتّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا، مُبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللّبَنِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَخْشَبَاهَا: جَبَلَاهَا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحُدّثْت أَنّهُمْ وَجَدُوا فِي الْمَقَامِ كِتَابًا فِيهِ مَكّةُ بَيْتُ الله الْحَرَامِ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلٍ لَا يُحِلّهَا أَوّل مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَزَعَمَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ أَنّهُمْ وَجَدُوا حَجَراً فِي الْكَعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النّبِيّ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِأَرْبَعِينَ سَنَةً إنْ كَانَ مَا ذَكَرَ حَقّا، مَكْتُوباً فِيهِ مَنْ يَزْرَعْ خَيْرًا يَحْصُدْ غِبْطَةً وَمَنْ يَزْرَعْ شَرّا يَحْصُدْ نَدَامَةً. تَعْمَلُونَ السّيّئَاتِ وَتُجْزَوْنَ الْحَسَنَاتِ أَجَلْ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنْ الشّوْكِ الْعِنَبُ"[١].

ويبقى في التّتابع في خبر "اخْتِلَافُ قُرَيْشٍ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ وَلُعْقَةَ الدّمِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ أنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا، كُلّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ثُمّ بَنَوْهَا، حَتّى بَلَغَ الْبُنْيَانِ مَوْضِعَ الرّكْنِ فَاخْتَصَمُوا فِيهِ كُلّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إلى مَوْضِعِهِ دُونَ الْأُخْرَى، حَتّى تَحَاوَزُوا وَتَحَالَفُوا، وَأَعَدّوا لِلْقِتَالِ فَقَرّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا، ثُمّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ عَلَى الْمَوْتِ فَسُمّوا

---

[٤] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٣٢.

[١] المصدر نفسه: ١/ ٢٣٢- ٢٣٣.

لَعَقَةَ الـدّمِ. فَمَكَثَـتْ قُـرَيْشٌ عَلَـى ذَلِـكَ أَرْبَـعَ لَيَـالٍ أو خَمْسًـا، ثُمّ إنّهُـمْ اجْتَمَعُـوا فِي الْمَسْـجِدِ وَتَشَـاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا"[٢].

ويبقى في التّتابع كما في النّص "إشَارَةُ أَبِي أُمَيّةَ بِتَحْكِيمِ أوّل دَاخِلٍ فَكَانَ رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرّوَايَةِ أنَّ أَبَا أُمَيّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَ عَائِذٌ أَسَنّ قُرَيْشٍ كُلّهَا؛ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أوّل مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا. فَكَانَ أوّل دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا، هَذَا مُحَمّدٌ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذْ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا: حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ"[٣].

ويبقى في التّتابع ويسرد "ارْتِفَاعُ الْكَعْبَةِ وَأَوّلُ مَنْ كَسَاهَا الدّيبَاجَ، وَكَانَتْ الْكَعْبَةُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا، وَكَانَتْ تُكْسَى الْقَبَاطِيّ ثُمّ كُسِيت الْبُرُودَ وَأَوّلُ مَنْ كَسَاهَا الدّيبَاجَ الْحَجّاجُ بْنُ يُوسُفَ"[١].

ويبقى في التّتابع في سرد خبر "حَدِيثُ الْحُمْسِ عِنْدَ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ– لَا أَدْرِي أَقَبْلَ الْفِيلِ أَمْ بَعْدَهُ– ابْتَدَعَتْ رَأْيَ الْحُمْسِ رَأْيًا رَأَوْهُ وَأَدَارُوهُ فَقَالُوا: نَحْنُ بَنُو إبْرَاهِيمَ وَأَهْلُ الْحُرْمَةِ وَوُلَاةُ الْبَيْتِ وَقُطّانُ مَكّةَ وَسَاكِنُهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ مِثْلُ حَقّنَا، وَلَا مِثْلُ مَنْزِلَتِنَا، وَلَا تَعْرِفُ لَهُ الْعَرَبُ مِثْلَ مَا تَعْرِفُ لَنَا، فَلَا تُعَظّمُوا شيئاً مِنْ الْحِلّ كَمَا تُعَظّمُونَ الْحَرَمَ، فَإِنّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ اسْتَخَفّتْ الْعَرَبُ بِحُرْمَتِكُمْ وَقَالُوا قَدْ عَظّمُوا مِنْ الْحِلّ مِثْلَ مَا عَظّمُوا مِنْ الْحَرَمِ. فَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى عَرَفَةَ، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا، وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَيُقِرّونَ أَنّهَا مِنْ الْمَشَاعِرِ وَالْحَجّ وَدِينِ إبْرَاهِيمَ(**عليه السّلام**) وَيَرَوْنَ لِسَائِرِ الْعَرَبِ أَنْ يَقِفُوا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُفِيضُوا مِنْهَا، إلّا أَنّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ الْحُرْمَةِ وَلَا نُعَظّمُ غَيْرَهَا كَمَا نُعَظّمُهَا نَحْنُ الْحُمْسُ وَالْحُمْسُ أَهْلُ الْحَرَمِ، ثُمّ جَعَلُوا لِمَنْ وُلِدُوا مِنْ الْعَرَبِ مِنْ سَاكِنِ الْحِلّ وَالْحَرَمِ مِثْلَ الذي لَهُمْ بِوِلَادَتِهِمْ إيّاهُمْ يَحِلّ لَهُمْ مَا يَحِلّ لَهُمْ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ. الْقَبَائِلُ التي دَانَتْ مَعَ

[٢] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٣٣.

[٣] المصدر نفسه: ١/ ٢٣٣- ٢٣٤.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٣٥.

قُـرَيْشٍ بِالْحُمْسِ، وَكَانَـتْ كِنَانَـةُ وَخُزَاعَـةُ قَـدْ دَخَلُـوا مَعَهُـمْ فِي ذَلِـكَ. قَـالَ ابْـنُ هِشَـامٍ: وَحَـدَّثَنِي أَبُـو عُبَيْـدَةَ النَّحْوِيّ: أَنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنِ دَخَلُوا مَعَهُمْ"(٢).

وفي خبر آخر من أخبار السّيرة وهو الإسراء والمعراج إذ إنّه يسرد حدث الإسراء والمعراج متتابعاً من أقوال شخصيات عدة تذكر خبر الإسراء إلى أنْ يصل إلى وصف النّبي 5 لابراهيم وعيسى (**عليهما السّلام**) وصفة خازن ملك النّار وصفة أكل الرّبى والزّناة وصفة النّساء اللّآتي يدخلن على أزواجٍ غير أزواجهن.. إلخ. كما جاء في الاسراء والمعراج(٣).

إنطلاقاً من أنَّ النّص الأدبي كلامٌ ومن طبيعة الكلام وشأنيتهِ أنَّ يتسلسل مثل الزّمن(٤)، فإنّنا نلحظ البناء المتسلسل الذي اعتمده ابن هشام وهو يقص علينا الأخبار المتتابعة والتّي يضّمنها بأحداث أخرى، نجد أنهّ قد ساق خبره وصبّه في قالب أدبي مزجه بالمتعة وإثارة المتلقي في حالة من التّناغم بين القارئ والنّص، وعلى هذه الشّاكلة جاءت كثيرٌ من أخبار السّيرة النّبوية منسوجة ضمن بناء متتابع الأحداث متسلسل الاجزاء(١).

٢- نسق التّضمين:

وهو من الأنساق البنائية التي يعتمدها الكاتب وسيلة لعرض أحداث قصّته للمتلقي، وهذا النّسق "يقوم على أساس نشوء قصص كثيرة في إطار قصة قصيرة واحدة"(٢).

ويوظف الرّاوي هذا اللّون من الأنساق محاولة منه لسد فراغ داخل العمل السّردي من جهة، وبحثاً عن التّنوع في طريقة العرض القصصي، دفعاً للملل والسّأم الذي قد يطال القارئ من جهة أخرى(٣).

وفي نسق التّضمين تتفرع عن القصة الأم قصةً أو قصص أخرى فرعية إلا أنَّ تعدد القصص هذا ليس مشروطاً "بتعدد الرّواة فبإمكان راوٍ واحد أنْ يعقد علاقات بين مقاطع حكائية مختلفة"(٤)، كما

---

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٣٥- ٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٩ و ٢٠.

(٤) ينظر: البنية القصصية في رسالة الغفران: ٢٩.

(١) ينظر على سبيل المثال: السّيرة النّبوية ، ج١: ص١٩٥، ج١: ص٢٣٥، ج٢: ص٩، ج٢: ٤٤، ج٢: ص٩٣، ج٤: ١٩٧.

(٢) البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ١١.

(٣) ينظر: نظرية الأدب: ٢٨٩.

حدث عند ابن هشام، ولاسيّما وإنْ كان الكاتب ممن يمتلك الموهبة القصصية والدّقة في اختيار الموضع الذي يعمد فيه إلى توليد القص، مما يسمح بدوره في نشوء سرد كثير يتفرع من القصة الأوّلى إذ تنمو القصص ويتضخم النّص وتزداد الدّلالة.

وقد تميز تراثنا السّردي القديم بأسلوب التّضمين والتّفرع عن الإطار العام[٤]، وهذا ما يمكن ملاحظته في كثير من أحداث السّيرة كما يذكر ابن هشام في خبر حديث النّبي 5 عن عصمة الله له في طفولته وحرب الفجار ونشوب الحرب وقادة قريش إلى حديث تزويجه من خديجة كله تضمينا للأحداث كما مر سلفا في موضعه.

ومن شواهد ذلك أيضاً، ما يورده ابن هشام في أحداث غزوة بدر وكيفية مقتل أمية ثم يضمّن الحدث بذكر شهود الملائكة ثم يسرد مقتل أبي جهل ثم يضمّن الحدث قصة يسرد فيها شعار المسلمين في بدر ويعود إلى مقتل أبي جهل ثم يذكر خبر سيف عكاشة، لم نورد ما جاء في النّص لأنّه نصٌ طويل ويحتاج مساحة كبيرة لامجال لها هنا[١].

وعند هذه النّقطة السّردية يعمد الرّاوي إلى اختيار الموضع الذي يسوق فيه قصته الثّانية ليُثبت من خلالها صدق الخبر في أحدث بدر وما كان فيها من أحداث كثيرة متتابعة يضمّنها الرّاوي بأحداث تضمينية هكذا تفرعت حكاية مقتل أمية وأبي جهل عن أحداث بدر وضمنها في قصة أخرى، دفعاً لرتابة الحكي وإبعاداً لِمَلَّلٍ قد يطال القارئ وهو يتابع قراءة الخبر.

ومن الأمثلة على نسق التّضمين ما جاء في قول ابن هشام حول "غَزْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ذَاتَ السّلَاسِلِ مِنْ أَرْضِ بَنِي عُذْرَةَ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بَعَثَهُ يَسْتَنْفِرُ الْعَرَبَ إلى الشّامِ. وَذَلِكَ أَنَّ أُمّ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بَلِيّ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلَيْهِمْ يَسْتَأْلِفُهُمْ لِذَلِكَ حَتّى إذَا كَانَ عَلَى مَاءٍ بِأَرْضِ جُذَامَ، يُقَالُ لَهُ السّلْسَلُ، وَبِذَلِكَ سُمّيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزْوَةَ ذَاتِ السّلَاسِلِ؛ فَلَمّا كَانَ عَلَيْهِ خَافَ فَبَعَثَ إلى رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يَسْتَمِدّهُ فَبَعَثَ إلَيْهِ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرّاحِ فِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوّلِينَ وفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَقَالَ لِأَبِي

---

[٤] بنية النّص السّردي: ٤٩.

[٤] ينظر: المتخيل السّردي: ٥٨.

[١] ينظر: السّيرة النّبوية: ٢/ ٢٤٢ـ ٢٤٨.

عُبَيْدَةَ حِينَ وَجّهَهُ لَا تَخْتَلِفَا؛ فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتّى إذَا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ عَمْرٌو: إنّمَا جِئْتَ مَدَدًا لِي؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَا، وَلَكِنّي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَجُلًا لَيّنًا سَهْلًا، هَيّنًا عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: بَلْ أَنْتَ مَدَدٌ لِي؛ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا عَمْرُو، وَإِنّ رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَالَ لِي: لَا تَخْتَلِفَا، وَإِنّك إنْ عَصَيْتَنِي أَطَعْتُك، قَالَ فَإِنّي الْأَمِيرُ عَلَيْك، وَأَنْتَ مَدَدٌ لِي، قَالَ فَدُونَك. فَصَلّى عَمْرٌو بِالنّاسِ"[٢].

ثم يضمّن ابن هشام خبراً عن وصية رافع بن أبي رافع وكيف كان حاله قبل الاسلام وما كان يفعله من الأمور وكيف أسلم وصار مع عمرو بن العاص في غزوة ذات السّلاسل كما جاء في النّص "وَصِيّةُ أَبِي بَكْرٍ رَافِعَ بْنَ أبي رَافِعٍ، قَالَ وَكَانَ مِنْ الْحَدِيثِ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ أَنّ رَافِعَ بْنَ أَبِي رَافِعٍ الطّائِيّ وَهُوَ رَافِعُ بْنُ عَمِيرَةَ كَانَ يُحَدّثُ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ نَفْسِهِ قَالَ كُنْت امْرَأً نَصْرَانِيّا، وَسُمّيت سَرْجِسَ فَكُنْت أَدَلّ النّاسِ وَأَهْدَاهُمْ بِهَذَا الرّمَلِ كُنْت أَدْفِنُ الْمَاءَ فِي بَيْضِ النّعَامِ بِنَوَاحِي الرّمْلِ فِي الْجَاهِلِيّةِ ثُمّ أُغِيرُ عَلَى إبِلِ النّاسِ فَإِذَا أَدْخَلْتهَا الرّمْلَ غَلَبْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَطْلُبُنِي فِيهِ حَتّى أَمُرّ بِذَلِكَ الْمَاءِ الذي خَبّأْت فِي بَيْضِ النّعَامِ فَأَسْتَخْرِجُهُ فَأَشْرَبُ مِنْهُ"[١].

ثم يضمّن خبر اسلام رافع وانضمامه إلى ذات السّلاسل كما جاء في قول رافع: "فَلَمّا أَسْلَمْت خَرَجْت فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ التي بَعَثَ فِيهَا رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إلى ذَاتِ السّلَاسِلِ؛ قَالَ فَقُلْت: وَاللهِ لَأَخْتَارَنّ لِنَفْسِي صَاحِبًا؛ قَالَ فَصَحِبْت أَبَا بَكْرٍ قَالَ فَكُنْت مَعَهُ فِي رَحْلِهِ قَالَ وَكَانَتْ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ لَهُ فَدَكِيّةٌ فَكَانَ إذَا نَزَلْنَا بَسَطَهَا وَإِذَا رَكِبْنَا لَبِسَهَا، ثُمّ شَكّهَا عَلَيْهِ بِخِلَالِ لَهُ قَالَ وَذَلِكَ الذي لَهُ يَقُولُ أَهْلُ نَجْدٍ حِينَ ارْتَدّوا كُفّارًا: نَحْنُ نُبَايِعُ ذَا الْعَبَاءَةِ قَالَ فَلَمّا دَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ قَالَ قُلْت: يَا أَبَا بَكْرٍ إنّمَا صَحِبْتُك لِيَنْفَعَنِي الله بِك، فَانْصَحْنِي وَعَلّمْنِي، قَالَ لَوْ لَمْ تَسْالنّي ذَلِكَ لَفَعَلْت، قَالَ آمُرُك أَنْ تُوَحّدَ الله وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُقِيمَ الصّلَاةَ وَأَنْ تُؤْتِيَ الزّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجّ هَذَا الْبَيْتَ وَتَغْتَسِلَ مِنْ الْجَنَابَةِ وَلَا تَتَأَمّرْ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبَدًا"[٢].

---

[٢] المصدر نفسه: ٢٨٠/٤.

[١] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٨٠.

[٢] المصدر نفسه: ٤/ ٢٨١.

ثم يرجع ويستمر في السّرد "قَالَ قُلْت: يَا أَبَا بَكْرٍ أَمَا أَنَا وَاللهِ فَإِنّي أَرْجُو أَنْ لَا أُشْرِكَ بِاللهِ أَحَدًا أَبَدًا؛ وَأَمّا الصّلَاةُ فَلَنْ أَتْرُكَهَا أَبَدًا إنْ شَاءَ الله وَأَمّا الزّكَاةُ فَإِنْ يَكُ لِي مَالٌ أُؤَدّهَا إنْ شَاءَ الله وَأَمّا رَمَضَانُ فَلَنْ أَتْرُكَهُ أَبَدًا إنْ شَاءَ الله وَأَمّا الْحَجّ فَإِنْ أَسْتَطِعْ أَحُجّ إنْ شَاءَ الله تَعَالَى؛ وَأَمّا الْجَنَابَةُ فَسَأَغْتَسِلُ مِنْهَا إنْ شَاءَ الله وَأَمّا الْإِمَارَةُ فَإِنّي رَأَيْت النّاسَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَشْرُفُونَ عِنْدَ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَعِنْدَ النّاسِ إلّا بِهَا، فَلِمَ تَنْهَانِي عَنْهَا؟

قَالَ إنّك إنّمَا اسْتَجْهَدْتَنِي لِأَجْهَدَ لَك، وَسَأُخْبِرُك عَنْ ذَلِكَ إنْ الله عَزّ وَجَلّ بَعَثَ مُحَمّدًا(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِهَذَا الدّينِ فَجَاهَدَ عَلَيْهِ حَتّى دَخَلَ النّاسُ فِيهِ طَوْعًا وَكَرْهاً، فَلَمّا دَخَلُوا فِيهِ كَانُوا عُوَاذَ الله وَجِيرَانَهُ وَفِي ذِمّتِهِ فَإِيّاكَ لَا تُخْفِرْ الله فِي جِيرَانِهِ فَيُتْبِعَك الله خَفْرَتَهُ فَإِنّ أَحَدَكُمْ يُخْفَرُ فِي جَارِهِ فَيَظِلّ نَاتِئاً عَضَلَهُ غَضَباً لِجَارِهِ أَنْ أُصِيبَتْ لَهُ شَاةٌ أو بَعِيرٌ فَاللهُ أَشَدّ غَضَبًا لِجَارِهِ. قَالَ فَفَارَقْته عَلَى ذَلِكَ"[٣].

ثم يسرد خبراً وهو من التّتابع السّردي كما "قَالَ فَلَمّا قُبِضَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَأُمّرَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النّاسِ قَالَ قَدِمْت عَلَيْهِ فَقُلْت لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَمْ تَكُ نَهَيْتَنِي عَنْ أَنْ أَتَأَمّرَ عَلَى رَجُلَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ بَلَى، وَأَنَا الْآنَ أَنْهَاك عَنْ ذَلِكَ قَالَ فَقُلْت لَهُ فَمَا حَمَلَك عَلَى أَنْ تَلِيَ أَمْرَ النّاسِ ؟ قَالَ لَا أَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بُدّا، خَشِيت عَلَى أُمّةِ مُحَمّدٍ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الْفُرْقَةَ"[١].

بعد عرض هذه الأمثلة نجد أنَّ نسق التّضمين واضحا فيها كما بينا، إذ إنَّ ابن هشام يسرد حدثا ما وإذا به يضمّنه حدثاً آخراً ثم يعود ليتابع الخبر الأوّل.

وعلى هذه الشّاكلة جاءت كثيرٌ من أخبار السّيرة النّبوية منسوجة ضمن بناء متتابع ومتضمن للأحداث متسلسل الأجزاء[٢].

٣- النّسق الدّائري:

ويراد به "أنّ الأحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النّهاية إلى نفس النّقطة التي بدأت منها"[٣]، وهذا النّسق غالباً ما يأتي نسقاً ثانوياً إلى جانب أنساق أخرى كالتّتابع مثلا[٤].

---

[٣] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٨١.

[١] المصدر نفسه: ٤/ ٢٨١.

[٢] ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه : ج٤: ص٢٦٢، ج٢: ص٢١٨، ج٢: ص٢٤٥، ج٤: ص٢٨٠، ج١: ص٢٢١.

[٣] البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: ٤٤.

ومما لاحظته في أخبار السّيرة أنَّ ابن هشام يعمد إلى تسييج أحداثه وفق هذا البناء ذي الشّكل المروحي، ومن ذلك ما نقرأه في خبر الحمس إذ إنّه يبتدأ الخبر عن الحمس وينهيه عن الحمس أيضاً، وهذا هو نسق السّردي الدّائري كما جاء في النّص "الْحُمْسُ عِنْدَ قُرَيْشٍ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ– لَا أَدْرِي أَقَبْلَ الْفِيلِ أَمْ بَعْدَهُ– ابْتَدَعَتْ رَأْيَ الْحُمْسِ رَأْيًا رَأَوْهُ وَأَدَارُوهُ فَقَالُوا: نَحْنُ بَنُو إبْرَاهِيمَ وَأَهْلُ الْحُرْمَةِ وَوُلَاةُ الْبَيْتِ وَقُطّانُ مَكّةَ وَسَاكِنُهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ مِثْلُ حَقّنَا، وَلَا مِثْلُ مَنْزِلَتِنَا، وَلَا تَعْرِفُ لَهُ الْعَرَبُ مِثْلَ مَا تَعْرِفُ لَنَا، فَلَا تُعَظّمُوا شيئاً مِنْ الْحِلّ كَمَا تُعَظّمُونَ الْحَرَمَ، فَإِنّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ اسْتَخَفّتْ الْعَرَبُ بِحُرْمَتِكُمْ وَقَالُوا قَدْ عَظّمُوا مِنْ الْحِلّ مِثْلَ مَا عَظّمُوا مِنْ الْحَرَمِ. فَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى عَرَفَةَ، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا، وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَيُقِرّونَ أَنّهَا مِنْ الْمَشَاعِرِ وَالْحَجّ وَدِينِ إبْرَاهِيمَ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَيَرَوْنَ لِسَائِرِ الْعَرَبِ أَنْ يَقِفُوا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُفِيضُوا مِنْهَا، إلّا أَنّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ الْحُرْمَةِ وَلَا نُعَظّمُ غَيْرَهَا كَمَا نُعَظّمُهَا نَحْنُ الْحُمْسُ وَالْحُمْسُ أَهْلُ الْحَرَمِ، ثُمّ جَعَلُوا لِمَنْ وُلِدُوا مِنْ الْعَرَبِ مِنْ سَاكِنِ الْحِلّ وَالْحَرَمِ مِثْلَ الذي لَهُمْ بِوِلَادَتِهِمْ إيّاهُمْ يَحِلّ لَهُمْ مَا يَحِلّ لَهُمْ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ"[١].

ويبقى ابن هشام في سرد خبر الحمس حتى أنْ ينهيه أيضاً في خبر حكم الحمس في الاسلام كما جاء "حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي الطّوَافِ وَإِبْطَالُ عَادَاتِ الْحُمْسِ فِيهِ فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتّى بَعَثَ الله تَعَالَى مُحَمّدًا(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ حَيْنَ أَحْكَمَ لَهُ دِينَهُ وَشَرَعَ لَهُ سُنَنَ حَجّهِ { ثُمّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا الله أنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ }(سورة البقرة: الآية: ١٩٩) يَعْنِي قُرَيْشًا. وَالنّاسُ الْعَرَبُ. فَرَفَعَهُمْ فِي سُنّةِ الْحَجّ إلى عَرَفَاتٍ وَالْوُقُوفِ عَلَيْهَا وَالْإِفَاضَةِ مِنْهَا. وَأَنْزَلَ الله عَلَيْهِ فِيمَا كَانُوا حَرّمُوا عَلَى النّاسِ مِنْ طَعَامِهِمْ وَلَبُوسِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ، حَيْنَ طَافُوا عُرَاةً وَحَرّمُوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنْ الْحِلّ مِنْ الطّعَامِ { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنّهُ لَا يُحِبّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ الله التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطّيّبَاتِ مِنَ الرّزْقِ قُلْ هِيَ للذّينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا خَالصّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }(سورة الأعراف: الآية: ٣١- ٣٢) فَوَضَعَ الله تَعَالَى أَمْرَ الْحُمْسِ وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ عَلَى النّاسِ بِالْإِسْلَامِ حَيْنَ بَعَثَ الله بِهِ رَسُولَهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ عَمّهِ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ،

---

[٤] ينظر الفضاء الرّوائي عند جبرا ابراهيم جبرا: ٨٠.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٣٥- ٢٤١.

عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ لَقَدْ رَأَيْت رَسُولَ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَإِنّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مَعَ النّاسِ مِنْ بَيْنَ قَوْمِهِ حَتّى يَدْفَعُ مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا مِنْ اللهِ لَهُ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا"(٢).

ففي هذا الخبر نجد أنَّ الحدث يبدأ ويستمر وينتهي حول الحمس وهو بناء دائري النّسق استخدمه ابن هشام في عدة مواضع.

وهذا البناء الدّائري لا ينطوي فقط "على الإبتداء بحدث والإنتهاء به، بل يشتمل أيضاً على الإبتداء بلحظة نفسية معينة والإنتهاء بها"(٣).

ولعل ذلك يتمثل فيما أورده ابن هشام في خبر تهيئة النّبي ص نفسيا عن طريق الحلم الصّادق وتسليم الحجارة والشّجر عليه ومن ثم رؤية جبرائيل ع كما جاء "أَوّلُ مَا بُدِئَ بِهِ الرّسُولُ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) الرّؤْيَا الصّادِقَةُ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَذَكَرَ الزّهْرِيّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنّهَا حَدّثَتْهُ أنَّ أوّل مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْ النّبُوّةِ حِين أَرَادَ اللهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ الرّؤْيَا الصّادِقَةُ لَا يَرَى رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) رُؤْيَا فِي نُوُمِهِ إلّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصّبْحِ قَالتّ وَحَبّبَ اللهُ تَعَالَى إلَيْهِ الْخَلْوَةَ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبّ إلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ"(١).

تَسْلِيمُ الْحِجَارَةِ وَالشّجَرِ عَلَيْهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ الثّقَفِيّ، وَكَانَ وَاعِيَةً عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أنَّ رَسُولَ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حِينَ أَرَادَهُ اللهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنّبُوّةِ كَانَ إذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتّى تَحَسّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إلى شِعَابِ مَكّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلَا يَمُرّ رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إلّا قَالَ السّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) حَوْلَهُ فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ(صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَهُوَ بِحِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ"(٢).

---

(٢) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٤٠.

(٣) البنية السّردية في شعر نزار قباني: رسالة ماجستير انتصار جويد عيدان، كلية التّربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٢: ٥٩.

(١) السّيرة النّبوية: ١/ ٢٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٧١.

نجد ابن هشام قد بدأ هذا النّسق بلحظة نفسية وهي تهيئة النّبي محمد ص للمبعث وينتهي الحدث في نفس المعنى وهو ابتداء نزول الوّحي عليه والاطمئنان عندما رأى جبريل ع ومن ثم بدأ المبعث كما جاء في النّص "ابْتِدَاءُ نُزُولِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السّلَامُ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزّبَيْرِ. قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ الزّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللّيْثِيّ حَدّثْنَا يَا عُبَيْدُ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا أُبْتُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مِنْ النّبُوّةِ حِين جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ ؟ قَالَ فَقَالَ عُبَيْدٌ– وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدّثُ عَبْدَ الله بْنَ الزّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنْ النّاسِ– : كَانَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمّا تَحَنّثَ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيّةِ. وَالتّحَنّثُ التّبَرّرُ"[٣].

ومن البناء الدّائري أيضاً ما جاء في خبر إسلام سلمان وكذلك في ذكر أنَّ علياً أوّل من أسلم من الذّكور، كذلك في اسلام أبي بكر وكذلك في خبر الإسراء والمعراج وعلى هذا الشّكل من البناء الدّائري وجدنا كثيراً من الأمثلة التي وردت في سيرة ابن هشام[١].

أنماط التّواتر السّردي في السّيرة

حين يقوم السّارد برواية أحداثه فإنّه لا يعرضها وفق اسلوب واحد بل ينوّع في ذلك وفق أربعة أنماط أشار إليها جينيت Genette[٢]، وهذه الأنماط تنضوي تحت ما يسمى بمستوى التّواتر النّاتج عن الاختلاف وعدم التّطابق بين زمنَي القصة والسّرد، وهذا المستوى يشكل الثّالثّ بعد مستويي التّرتيب والمدة.

ويُعَرّف التّواتر على أنّه "مجموع علاقات التّكرار بين النّص والحكاية"[٣]، ويعد عنصراً قائماً على الرّبط بين ما يخص مقولة الزّمان والاسلوب[٤].

---

[٣] السّيرة النّبوية: ج١: ص ٢٧١- ٢٧٢.

[١] ينظر: على سبيل المثال، المصدر نفسه: ج١، ص٢٣٥- ٢٤٠، ج١، ص٢٥١- ٢٥٨، ج١، ص٢٨٢- ٢٨٤، ج١، ص٢٨٦- ٢٨٧، ج١، ص٣٢٨- ٣٣٠، ج٢، ص٢٢- ٢٤، ج٢، ص٣٥- ٣٩، ج٢، ص١٢١- ١٢٣، ج٣، ص٥٧- ٦٥، ج٤، ص١٧- ٢٠.

[٢] ينظر: خطاب الحكاية: ١٣٠.

[٣] مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً: ٨٢.

[٤] ينظر: تقنيات السّرد الرّوائي في ضوء المنهج البنيوي: ٨٧.

أنماط التّواتر:

الأوّل: السّرد المفرد: وفيه يقوم الرّاوي بسرد ما وقع مرة واحدة لمرة واحدة ويطلق على هذا اللّون من الحكايات اسم(الحكاية التّفردية)[٥]، ومن أمثلة ذلك ما نلحظه فيما ذكره ابن هشام حول الملكين الذّين شقا بطن النّبي ص كما جاء في النّص "حَدِيثُ الْمَلَكَيْنِ اللذّيْنِ شَقّا بَطْنَهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالتّ حليمة فَرَجَعْنَا بِهِ فَوَاللّهِ إنّهُ بَعْدَ مَقْدِمِنَا بِهِ بِأَشْهُرٍ مَعَ أَخِيهِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا، إذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقّا بَطْنَهُ فَهُمَا يَسُوطَانِهِ. قَالتّ فَخَرَجْت أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَقَعًا وَجْهُهُ. قَالتّ فَالتَزَمْته وَالتَزَمَهُ أَبُوهُ فَقُلْنَا لَهُ مَا لَك يَا بُنَيّ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِي وَشَقّا بَطْنِي، فَالتّمِسَا فِيهِ شيئاً لَا أَدْرِي مَا هُوَ. قَالتّ فَرَجَعْنَا بِهِ إلى خِبَائِنَا"[١]. فهذا الخبر لم يذكرْ إلا مرة واحدة في السّيرة بأجمعها.

وكذلك من السّرد المفرد ما نقرأه في خبر غزوة بني سليم بالكدر كما جاء في النّص "غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ بِالْكَدَرِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) لَمْ يُقِمْ بِهَا إلّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتّى غَزَا بِنَفْسِهِ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيّ أو ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَبَلَغَ مَاءً مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ الْكُدْرُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيّةَ شَوّالٍ وَذَا الْقَعَدَةِ وَأَفْدَى فِي إقَامَتِهِ تِلْكَ جُلّ الْأُسَارَى مِنْ قُرَيْشٍ"[٢].

ونجد السّرد المفرد في خبر حدث آخر من أحداث السّيرة كما جاء في حدث ما أمر به النّبي 5 في البيت من صور بعد فتح مكة كما جاء في النّص "أَمْرُ الرّسُولِ بِطَمْسِ مَا بِالْبَيْتِ مِنْ صُوَرٍ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أنَّ رَسُولَ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) دَخَلَ الْبَيْتَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَرَأَى فِيهِ صُوَرَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ فَرَأَى إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السّلَامُ مُصَوّرًا فِي يَدِهِ الْأَزْلَامُ يَسْتَقْسِمُ بِهَا، فَقَالَ قَاتَلَهُمْ الله جَعَلُوا شَيْخَنَا يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ مَا شَأْنُ إبْرَاهِيمَ وَالْأَزْلَامِ { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَكِنْ كَانَ

---

[٥] ينظر: خطاب الحكاية: ١٣٠.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٠١.

[٢] السّيرة النّبوية: ٣/ ٤٩.

حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }(سورة آل عمران: الآية: ٦٧) ثُمّ أَمَرَ بِتِلْكَ الصّوَرِ كُلّهَا فَطُمِسَتْ"[٣].

وهذا الحدث لم يذكرْ في السّيرةِ إلا مرة واحدة.

ويشكل هذا النّمط من التّواتر أكثر الأنماط شيوعاً، وأبرزها تجسداً في فن القص، وهذا ما لاحظناه بارزاً في أحداث السّيرة النّبوية إذ جاء اكثرها على وفق هذا الشّكل التّفردي[٤].

الثّاني: أنْ يروي السّارد أكثر من مرة ما يحدث أكثر من مرة: وهذا النّمط يبقى في نظر جينيت نمطاً تفردياً كسابقهِ، ذلك بأنَّ تكرارات الحكاية فيه لا تتعدى أنْ تتوافق مع تكرارات القصة[١]، وهذا النّمط لا يعدو إلا أنْ يكون سرداً مفرداً[٢].

ولم نجد إلا خبراً فريداً هو ما ذكره ابن هشام حول خبر ابراهيم ابن النّبي 5 من مارية القبيطة كما جاء في النّص "وَأُمّ إبْرَاهِيمَ مَارِيَةُ سُرّيّةُ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ التي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أَنْصِنا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ الله بْنِ شِهَابِ الزّهْرِيّ أَنَّ عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيّ ثُمّ السّلَمِيّ حَدّثَهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ قَالَ إذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنّ لَهُمْ ذِمّةً وَرَحِمًا فَقُلْت لِمُحَمّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزّهْرِيّ: مَا الرّحِمُ التي ذَكَرَ رَسُولُ الله (صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ) لَهُمْ ؟ فَقَالَ كَانَتْ هَاجَرُ أُمّ إسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ"[٣].

ثم عاد وكرر الخبر نفسه في قول "أُمّ إبْرَاهِيمَ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَمّا إبْرَاهِيمُ فَأُمّهُ مَارِيَةُ الْقِبْطِيّةُ. حَدّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ لَهِيعَةَ قَالَ أُمّ إبْرَاهِيمَ مَارِيَةُ سُرّيّةُ النّبِيّ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) التي أَهْدَاهَا إلَيْهِ الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْنَ مِنْ كُورَةِ أَنْصِنَا"[٤].

---

[٣] المصدر نفسه: ٤/ ٦١.

[٤] ينظر على سبيل المثال، السّيرة النّبوية: ج١: ص٢٠١، ج١: ص٢٨٠، ج٣: ص ٤٨، ج٣: ص٥٢، ج٣: ص٣٦٠، ج٤: ص٤٥، ج٤: ص٦١، ج٤: ص٧٧، ج٤: ص١٨٣، ج٤: ٢٥٥، ج٤: ص٣١٩.

[١] ينظر: خطاب الحكاية: ١٣٠.

[٢] ينظر على سبيل المثال، السّيرة النّبوية: ٣/ ٥٢، ٣/ ٣٦٠، ٤/ ٤٥، ١/ ٢٠١، ٣/ ٤٨، ١/ ٢٨٠.

[٣] السّيرة النّبوية: ١/ ٣٨.

[٤] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٢٧.

الثّالث: السّرد المكرّر: وفيه يقوم السّارد برواية ما وقع مرة واحدة أكثر من مرة ويسمى أيضاً بالحكاية التّكرارية[٥]، ومن ذلك ما ورد في تكرار خبر مبعث النّبي 5 إذ ذكر في السّيرة كثيراً كما جاء في النّص "مَبْعَثُ النّبِيّ صَلّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلّمَ تَسْلِيمًا، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا بَلَغَ مُحَمّدٌ رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ الله تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافّةً للنّاسِ بَشِيرًا، وَكَانَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلّ نَبِيّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَالتّصْدِيقِ لَهُ وَالنّصْر لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدّوا ذَلِكَ إلى كُلّ مَنْ آمَنْ بِهِمْ وَصَدّقَهُمْ فَأَدّوْا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْحَقّ فِيهِ. يَقُولُ الله تَعَالَى لِمُحَمّدٍ صَلّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلّمَ {وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النّبِيّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي }(سورة آل عمران: الآية ٨١) أي ثِقَلَ مَا حَمّلْتُكُمْ مِنْ عَهْدِي { قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ }(سورة آل عمران: الآية ٨١) فَأَخَذَ الله مِيثَاقَ النّبِيّينَ جَمِيعًا بِالتّصْدِيقِ لَهُ وَالنّصْرِ لَهُ مِمّنْ خَالَفَهُ وَأَدّوْا ذَلِكَ إلى مَنْ آمَنْ بِهِمْ وَصَدّقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ"[١].

وحول هذا الخبر والحدث ألا وهو المبعث النّبوي الشّريف نجد أنَّهُ تَرَدَدَ كثيراً في نصوص السّيرة إذ إنَّ ابن هشام يسرد هذا الحدث مكرراً على لسان الكهان واليهود وكيف أنهم أنذروا بمبعث النّبي 5 كما جاء في النّص "حَدِيثُ كَاهِنِ جَنْبٍ عَنْ رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَلِيّ بْنُ نَافِعٍ الْجُرَشِيّ أنَّ جَنْبًا: بَطْنًا مِنْ الْيَمَنِ، كَانَ لَهُمْ كَاهِنٌ فِي الْجَاهِلِيّةِ فَلَمّا ذُكِرَ أَمْرُ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَانْتَشَرَ فِي الْعَرَبِ، قَالتّ لَهُ جَنْبٌ أُنْظُرْ لَنَا فِي أَمْرِ هَذَا الرّجُلِ وَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي أَسْفَلِ جَبَلِهِ فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ حِينَ طَلَعَتْ الشّمْسُ فَوَقَفَ لَهُمْ قَائِمًا مُتّكِئًا عَلَى قَوْسٍ لَهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السّمَاءِ طَوِيلًا، ثُمّ جَعَلَ يَنْزُو، ثُمّ قَالَ أَيّهَا النّاسُ أنَّ الله أَكْرَمَ مُحَمّدًا وَاصْطَفَاهُ وَطَهّرَ قَلْبَهُ وَحَشَاهُ وَمُكْثُهُ فِيكُمْ أَيّهَا النّاسُ قَلِيلٌ ثُمّ أَسْنَدَ فِي جَبَلِهِ رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ"[٢].

وكذلك يذكر ابن هشام الخبر عينه في خبر إنذار اليهود برسول الله 5 كما جاء في النّص "إنْذَارُ الْيَهُودِ بِهِ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) وَلَمّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ،

---

[٥] ينظر: خطاب الحكاية: ١٣١.

[١] السّيرة النّبوية: ١/ ٢٧٠.

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٢٤٦.

عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: أنَّ مِمّا دَعَانَا إلى الْإِسْلَامِ مَعَ رَحْمَةِ الله تَعَالَى وَهَدَاهُ لَنَا، لَمَا كُنّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ وَكُنّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ قَالُوا لَنَا: إنّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ فَكُنّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَلَمّا بَعَثَ الله رَسُولَهُ(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إلى الله تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعّدُونَنَا بِهِ فَبَادَرْنَاهُمْ إلَيْهِ فَآمَنّا بِهِ وَكَفَرُوا بِهِ فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنْ الْبَقَرَةِ { وَلَمّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ} (سورة البقرة: الآية: ٨٩) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَسْتَفْتِحُونَ يَسْتَنْصِرُونَ وَيَسْتَفْتِحُونَ أيضاً: يَتَحَاكَمُونَ وَفِي كِتَابِ الله تَعَالَى: {رَبّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } (سورة البقرة: الآية: ٨٩.)"[١].

نجد في هذه الأمثلة الثّلاث أنَّ ابن هشام يرّكز ويكرّر خبر مبعث النّبي 5 فمرة يذكره على لسان ابن اسحاق وأخرى على لسان رجل من جنب، ومرة أخرى على لسان اليهود وقد ذكره كثيراً في السّيرة إلا أننا اخترنا هذه الأمثلة أنموذجا على سبيل التّمثيل لا الحصر.

ويسوق ابن هشام سرداً مكرراً آخر في خبر الهجرة الأوّلى إلى أرض الحبشة كما جاء في النّص "إشَارَةُ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا رَأَى رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ بِمَكَانِهِ مِنْ الله وَمِنْ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُمْ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ لَوْ خَرَجْتُمْ إلى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتّى يَجْعَلَ الله لَكُمْ فَرَجًا فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) إلى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَفِرَاراً إلى الله بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أوّل هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ"[٢]. وعلى هذا النّسق يبقى ابن هشام يكرر حدث الهجرة في أماكن كثيرة، وهناك الكثير من هذا النّسق المكرّر نجده في سيرة ابن هشام[٣].

---

[١] السّيرة النّبوية: ١: ٢٤٨.

[٢] السّيرة النّبوية: ٢/ ٣٥٨.

[٣] ينظر على سبيل المثال: السّيرة النّبوية: ١/ ٢٧٠و ٢٤٦و ٢١٧و ٢٤١و ٢٤٨، ١/ ٣٨، ٢/ ٣٥٨و ٣٦١و ٣٦٤و ٣٦٨و ٣٧٤، ٢٨٩/١و ٢٩٢و ٢٩٥و ٢٩٨، ٣/ ٢٣٨و ٢٤٧و ٢٥٧.

ويتميز نظام التّكرار بإعادة رواية المتن، ممّا يؤدي بدوره إلى ضمور حركة الزّمن، إذ تعاد الخلفية الزّمانية والمكانية نفسها للأحداث، فتتكرر جميع الوقائع ومكونات المتن سوى رؤية السّارد التي تختلف في كلّ مرة[٤].

ولعلنا نلحظ في هذا التّكرار مزية تتردد في نصوص سردنا القديم حيث يكرر الرّاوي سرد الخبر أو الواقعة أكثر من مرة، ولاسيّما إنْ كانت المدَوَّنَة التي تضم هذه الأخبار والوقائع واسعة من جهة، وكون الخبر الذي أورده الرّاوي يتناول أكثر من شخصية، من جهة أخرى، فيعمد الرّاوي إلى تكرار رواية الخبر مع اختلاف قد يكون يسيراً أو كبيراً– في كل مرة يتعرض فيها بسرد الأحداث.

الرّابع: السّرد الاختزالي: وفيه يقص السّارد مرة واحدة ما وقع لأكثر من مرة[١]، ويسمى هذا اللّون من رواية الأحداث بالسّرد الاختزالي ذلك أنها "يختزل عدد مرات الحدوث بإيرادها مرة واحدة"[٢].

ومن نماذج ذلك خبراً واحداً في السّيرة وهو ما ساقه ابن هشام في ذكره خبر الغزوات واختزاله لها كما جاء في النّص "بِسْمِ الله الرّحْمَنِ الرّحِيمِ قَالَ حَدّثَنَا أَبُو مُحَمّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الله الْبَكّائِيّ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ إسْحَاقَ الْمُطّلِبِيّ وَكَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ الله(صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ) بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً. مِنْهَا غَزْوَةُ وَدّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، ثُمّ غَزْوَةُ بُوَاط، مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمّ غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ، مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، ثُمّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى، يَطْلُبُ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ، ثُمّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، التي قَتَلَ الله فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ، ثُمّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتّى بَلَغَ الْكُدْرَ، ثُمّ غَزْوَةُ السّوِيقِ، يَطْلُبُ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ثُمّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمِرَ ، ثُمّ غَزْوَةُ بَحْرَانَ مَعْدِنٌ بِالْحِجَازِ ثُمّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمّ غَزْوَةُ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ، ثُمّ غَزْوَةُ بَنِي النّضِيرِ، ثُمّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، ثُمّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْآخِرَةِ، ثُمّ غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، ثُمّ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، ثُمّ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمّ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، مِنْ هُذَيْلٍ، ثُمّ غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ، ثُمّ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ، ثُمّ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ، فَصَدّهُ الْمُشْرِكُونَ ثُمّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، ثُمّ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ ثُمّ غَزْوَةُ الْفَتْحِ، ثُمّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ، ثُمّ غَزْوَةُ

---

[٤] ينظر: المتخيل السّردي: ١١٢.

[١] ينظر: خطاب الحكاية: ١٣٢.

[٢] قصص الحيوان جنساً أدبياً: ٤٢٢.

الطّائِفِ، ثُمّ غَزْوَةُ تبُوكَ. قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْخَنْدَقِ، وَقُرَيْظَةَ وَالْمُصْطَلِقِ وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ وَحُنَيْنٍ، وَالطّائِفِ"[٣].

نجد أنَّ ابن هشام قد اختزل غزوات النّبي 5 كلها في سرده هذا.

بهذا بكون قد أنهينا موضوع الحدث في السّيرة وروايته وأنساقه وما جاء من التّواتر الحدثي في السّرد لدى ابن هشام في كتابه السّيرة النّبوية.

---

[٣] السّيرة النّبوية: ٤/ ٢٦٥.

وسنورد جدولاً خاصاً بالأحداث ندرج فيه أبرز أحداث السّيرة النّبوية العطرة من المولد إلى الوفاة:

ت	السّنة	الحدث
١	سنة واحدة من ميلاده	ميلاد النّبي 5
٢	أربع سنوات من ميلاده	حادثة شق الصّدر
٣	ست سنوات من ميلاده	وفاة آمنة أم النّبي 5 وكفالة جده
٤	ثمان سنوات من ميلاده	وفاة جده 5
٥	اثني عشر سنة من ميلاده	كفالة عمه له وتجارته 5 مع عمه
٦	خمسة عشر سنة من ميلاده	حرب الفجار
٧	خمسة وعشرون سنة من ميلاده	تجارته 5 بمال خديجة
٨	خمسة وثلاثون سنة من ميلاده	حلف الفضول وبنيان الكعبة وقضية التّحكيم
٩	أربعون سنة من ميلاده	مبعث النّبي 5
١٠	السّنة الأوّلى للبعثة	بدء الرّؤيا الصّادقة ونزول الوحي واسلام خديجة وعلي بن أبي طالب(عليهما السّلام)
١١	السّنة الثّانية للبعثة	نزول سورة المدثر، دخول الرّعيل الأوّل في الاسلام، تسامع قريش بخبر الاسلام
١٢	السّنة الثّالثة للبعثة	دخول دار الارقم واجتماع المسلمين لصلاة الغداة والعشي
١٣	السّنة الرّابعة للبعثة	إعلان الدّعوة في قريش وبدء الايذاء والاضطهاد وإعلان ابي طالب حمايته للنّبي 5 ومحاولات قريش للتّفاوض مع النّبي
١٤	السّنة الخامسة للبعثة	اشتداد اذى قريش والهجرة الأوّلى للحبشة ومحاولة قريش لرد المهاجرين وبدء الدّعوة في الحبشة
١٥	السّنة السّادسة للبعثة	اسلام حمزة وعمر والجهر بالدّعوة والاستعلان بالقران وعودة بعض المهاجرين من الحبشة
١٦	السّنة السّابعة للبعثة	الهجرة الثّانية للحبشة ومحاولات قريش شراء الدّعوة وتحيّر قريش في أمر المسلمين
١٧	السّنة الثّامنة للبعثة	دخول المسلمين في شعب أبي طالب وإحكام الحصار على المسلمين واستمرار تعليم المسلمين القرآن
١٨	السّنة التّاسعة للبعثة	ستمرار الحصار وحكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين وانتشار خبر المقاطعة في العرب ودخو جماعة من نصارى نجران الاسلام
١٩	السّنة العاشرة للبعثة	نقض الصّحيفة ووفاة خديجة وأبو طالب وايذاء قريش للنّبي بعد وفاة ابي طالب وهجرة النّبي إلى الطّائف وإيمان نفر من الجن ودخول النّبي مكة واسلام جماعة من أهل المدينة في موسم الحج
٢٠	السّنة الحادية عشر للبعثة	الاسراء والمعراج وتشريع الصّلوات الخمس وبيعة العقبة الأوّلى

٢١	السّنة الثّانية عشر للبعثة	بدء دعوة مصعب بن عمير في المدينة وبيعة العقبة الثّانية وبدء الهجرة إلى المدينة
٢٢	السّنة الثّالثة عشر للبعثة السّنة الأوّلى للهجرة	محاولات قريش لمنع الهجرة وهجرة النّبي وبناء مسجد قباء وعقد المؤاخاة واعلان دستور المدينة ومحالفة القبائل والإذن بالقتال
٢٣	السّنة الثّانية للهجرة	تحويل القبلة إلى البيت الحرام ووقعة بدر الكبرى وتشريع الصّيام وغزوة بني القينقاع ودعوة القبائل المجاورة
٢٤	السّنة الثّالثة للهجرة	ظهور النّفاق في المدينة وقتل كعب بن الاشرف وخروج قريش للانتقام لبدر ووقعة أحد واستشهاد حمزة ومصعب وغزوة حمراء الأسد
٢٥	السّنة الرّابعة للهجرة	اجتماع المسلمين بعد أحد وإرسال الدّعاة ومأساة الرّجيع وغزوة ذات الرّقاع
٢٦	السّنة الخامسة للهجرة	اشتداد النّفاق في المدينة ودخول بني المصطلق في الاسلام ونزول سورة المنافقين وفضح النّفاق وحادثة الإفك وغزوة الأحزاب
٢٧	السّنة السّادسة للهجرة	تطهير المدينة وأطرافها من اليهود والخروج للحديبية وفتح خيبر
٢٨	السّنة السّابعة للهجرة	عودة مهاجري الحبشة وإرسال الرّسل إلى الملوك وعمرة القضاء
٢٩	السّنة الثّامنة للهجرة	اسلام خالدّ بن الوليد وعمرو بن العاص وغزوة مؤتة وشهادة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة(رضي الله عنهم) وفتح مكة وعمرة الجعرانة وعودة النّبي 5 إلى المدينة
٣٠	السّنة التّاسعة للهجرة	إرسال السّرايا لهدم الاصنام في الجزيرة وخروج النّبي 5 لملاقاة الرّوم في تبوك وحج أبي بكر وإرسال علي بسورة براءة
٣١	السّنة العاشرة للهجرة	إكتمال دخول الجزيرة في الاسلام وظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وحجة الوداع وإعلان اكتمال الرّسالة الاسلامية
٣٢	السّنة الحادية عشر للهجرة	إعداد جيش اسامة لغزو الرّوم ومرض النّبي ووفاته5 وبيعة أبي بكر

بهذا نكون قد أجملنا الكلام عن الأحداث التي جرت وانساق بنائها وانماط التواتر السردي في السيرة النبوية العطرة، راجيا من الله التوفيق لما يحبه ويرضاه إنه لمن ناجاه قريب يسمع من دعاه ويجيبه.

الخاتمة:

سعت هذه الدّراسة لدراسة كتاب السّيرة النّبوية لابن هشام(ت٢١٨هـ) ورصد أبرز ملامح السّرد الرّوائي في طياته، وقد تمخضت عن جملة من النّتائج التي حاولنا إجمالها في الآتي:

أنَّ الاسترجاعات الواردة في أخبار السّيرة النّبوية شغلت مساحة نصية قليلة، إذا ما قورنت بحجم الاستباقات المعروضة فيه، ولعل ذلك كان ناتجاً عن أنَّ أغلب الأخبار المروية هي أخبار واقعية إستباقية مما سمح لرجحان كفة الاستباق على الاسترجاع.

وقد تجلت الاستباقات التي قدمها ابن هشام في اشكال متعددة، فمنها ما كان على شكل حلم أو رؤيا منامية ومنها ما كان في صورة نبوءة أو فراسة وأخرى جاءت في مظهر أمنية أو دعاء صادر على لسان إحدى الشّخصيات الإخبارية، وقد لاحظت أنَّ هذه الاستباقات عموماً هي استباقات متحققة الوقوع سواءً أكان ذلك المدى القريب أو البعيد.

أما الاماكن الواردة في السّيرة فيمكن القول أنَّ إلفتها كانت متأتية من كونها اماكن لاجتماع الأحبة وما تأتى منها على كونه معادياً هو إما مكان هزيمة أو حرب أو مكاناً لدفن الموتى.

وقد شاع توظيف ابن هشام لتقنية التّتابع السّردي لمدة زمنية قد تطول أو تقصر ذلك أنَّ المؤلف كان محكوماً بهدف سعى من ورائه إلى تأليف كتابه وهو الحديث عن سيرة النّبي محمد 5، أو بالأصح تشذيب ما كتبه ابن اسحق من الحقائق التي قال عنها لا مسوغ لذكرها في موضوعه الأصل الذي سعى إلى توظيفه في رواياته.

الأمر نفسه نلحظه في كثرة إعتماده تقنية التّضمين ولعل ذلك كان ناتجاً عن كثرة الشّخصيات التي يتعرض لها ابن هشام من شخصيات دينية وسياسية وشعراء، فيكون التّضمين وسيلة المؤلف ليشمل كتابه ما أمكن وسعه من هذه الشّخصيات.

شيوع الحوار الخارجي في أخبار ابن هشام وتأسيس معظمها على وفق البنية الحوارية، وكأن ابن هشام يدرك تماماً أنَّ كتاباً بهذه السّعة سيكون مدعاة لملل القارئ مما دفعه إلى توظيف هذه التّقنية دفعاً للتّقريرية والاسلوب المباشر الرّتيب.

وممّا لاحظته أيضاً تعدد السّاردين في كتاب السّيرة النّبوية بين سارد قريب من المحكي وقد تمثل في مجموعة الرّواة الذي ينقل عنهم ابن هشام، وبين سارد متأخر الرّتبة بعيداً عن المحكي، وقد تمثل في ابن

هشام نفسه الذي أخذ عن أولئك الرّواة أخباره، والى جانب تعدد السّاردين كان هناك أيضاً تعدد للمروي لهم الذّين توزعوا بين مروي له عام وهم يسردون سيرة النّبي 5 والأحداث التي مر بها منذ ولادته إلى وفاته.

وقد جاءت أخبار السّيرة النّبوية وفق مستويي السّرد: الموضوعي والذّاتي، وكان نصيب الموضوعي منهما يفوق الذّاتي، إذ وردت كثير من الأخبار على لسان راوٍ عليم بما يقدم من أحداث وشخصيات، إلا أنَّ ذلك لم يمنع من ورود السّرد الذّاتي ليتنحى الرّاوي في هذا الخبر أو ذاك فاسحاً المجال امام إحدى الشّخصيات لتتولى بنفسها مهمة سرد الأحداث.

ومثّل ابن هشام بإعتباره مؤلف الكتاب متلقياً، قبل أنْ يكون راوياً، من خلال تلقيه أخبار السّيرة ونقلها عن غيره من رواة معاصرين أو نسخها من كتب أخرى سبقته ليعمد ببراعة أدبية إلى صياغتها صياغة جيدة تحمل لمساته الخاصة.

وقد اعتمد ابن هشام في سرد أخباره على النّظام الإسنادي متبعاً في ذلك اسلوبي السّند العادي والسّند الممزوج، إذ لا يخلو خبرٌ إلا النّادر منها من دون سلسلة سند تسبقه، سعياً لإضفاء المصداقية على أخباره وعدم التّشكيك في تلفيقها أو زيفها.

وقد تنوعت شخصيات السّيرة بين شخصيات رئيسة شكلّت المحور الذي تدور حوله الأحداث وبين شخصيات ثانوية ذات دور تكميلي مساعد تدور في الإطار الذي تدور فيه الشّخصيات الرّئيسة، وقد وردت هذه الشّخصيات بنوعيها على وفق أنماط متعددة منها ما كانت ذات طابع جدّي سعى ابن هشام إلى تقديمها برزانة واعتدال عُرضت على وفق هذا الجانب فضلاً عن شخصيات أخرى غلب عليها الطّابع الكهنوتي.

وأما على مستوى بناء الأحداث فإنّ أغلبها جاء وفق بناء متتابع ذي نسق متسلسل الوقوع، يليه بناء آخر تضميني عمد فيه الرّاوي إلى تضمين أخباره حكاية اخرى أو اكثر كانت تشترك مع الحكاية الأولى في ذات المضمون أو تفترق عنها، والى جانب تلكما البنائين كان هناك بناء آخر صيغت على وفقه بعض أخبار السّيرة النّبوية وهو البناء الدّائري إذ تبدأ الأحداث بنقطة ما ثم تعود لتنتهي حيث ما ابتدأت، وهذا البناء ورد قليلاً قياساً بالبنائَين الأولين.

وكان مما برز جلياً شيوع السّرد المفرد في أخبار السّيرة النّبوية، فغالباً ما كان ابن هشام يروي مرة واحدة، يليه السّرد الاختزالي الذي يعمد فيه الرّاوي إلى إختزال روايته للأحداث ليقوم مرة واحدة برواية ما وقع اكثر من مرة، ويتبع ذلك السّرد المكرّر، إذ لاحظتُ أنَّ ابن هشام كان يكرر رواية هذا الخبر أو ذاك، ليسرد لنا أكثر من مرة ما وقع لمرة واحدة؛ ولاسيّما إذا كان الخبر المروي يخص بالذّكر أكثر من شخصية وردت في السّيرة، فيكون التّكرار اسلوب ابن هشام وهو يكرر ذلك الخبر الواحد– مع اختلاف بسيط في الصّياغة اللّفظية– مع ترجمته لكل شخصية من هؤلاء.

وقد إنمازت المادة السّردية التي عرضها ابن هشام وصاغها في شكل أخبار، بجملة من الخصائص حاولنا إجمالها في خصائص هي اعتماد ابن هشام على السّرد الطّلبي أولاً والنّظام الإسنادي ثانياً، إلى جانب الاشتغال على آلية التّضمين الحكائي ثالثاً وحضور النّزعة الغرائبية في الأخبار فضلاً عن الاشتغال على آلية المفارقة وأخيراً تنوع المادة السّردية بين القرآن الكريم والحديث الشّريف، والشّعر، وتفسير بعض الكلمات.

وعلى مستوى السّرد فكانت النّتائج التي استخلصها البحث كما يأتي:

١– إنَّ حداثة بعض الأجناس السّردية وخصوصا الرّواية التي ما انفك بعض كتابها يحاكي المنتج الغربي ويقتفي أثر أساليبها الجديدة وتياراتها ومذاهب كتابها الغربيين هو ما حدا بالنّقاد إلى الاقتراض الإصطلاحي في ميدان نقد هذه الأجناس لإثبات مدى فاعليتها وصلاحها.

٢– إنَّ بكارة مصطلحات نظريات السّرد الغربية ودخولها السّريع في ميدان النّقد الأدبي سواء كانت على صعيد النّظرية أم التّطبيق؟ هو ما أغرى بعض النّقاد العرب إلى إحتذائها وعدم تصور نموذج عربي نابع من ثقافتهم وبيئتهم.

٣– وقع نقادنا العرب أثناء عرضهم النّظري والتّطبيقي لعلم السّرد وآلياته في عدة مشاكل هي:

أ. تعدد المفهوم السّردي لمصطلح سردي واحد.

ب. عدم ثباتهم في إنتقاء مصطلح سردي واحد.

ج. عدم تسويغ إنتقاءاتهم للمصطلحات السّردية.

٤– تقدم بعض نقادنا العرب تارة ببدائل اصطلاحية دقيقة واخرى غير دقيقة كما عرض بعضهم مشاريع رؤيوية مقترحة لايجاد مفاهيم نظرية سردية جديدة.

٥- لم يمتلك نقادنا العرب الوعي النّاضج والكافي الذي يكفل لهم فهم التّراث العربي القديم ومحاولة مقاربته ببعض مصطلحاته القديمة لتحل بدائل عن بعض المصطلحات السّردية الحديثية.

بهذا نكون قد إستخلصنا من هذه الدّراسة المضنية، هذه النّتائج ونرجو بها القربى من الحبيب المصطفى 5 ونيل شفاعته والزّلفى إلى الله ربنا، وآخر قولنا أنْ الحمد لله رب العالمين.

المصادِرُ والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم.

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشّوكاني(ت١٢٥٥هـ): تحقيق: أحمد عناية، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠٠٢م.

- الأصنام: هشام بن محمد بن السّائب الكلبي(ت٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٥م.

- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢.

- البداية والنّهاية: ابن كثير(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله التّركي، بالتّعاون مع مؤسسة البحوث والدّراسات العربية والإسلامية بدار هجر القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس: أبو بكر الزّبيدي(ت٣٧٩هـ)، تحقيق، عبد العليم الطّحاوي، مراجعة، محمد بهجت الاثري وعبد السّتار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٨م.

- تاج اللّغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م.

- الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبوية لابن هشام: أبو القاسم السّهيلي(ت٥٨١هـ)، تحقيق: مجدي بن منصور الشّوري، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.

- سبائك الذّهب في معرفة قبائل العرب: محمد أمين البغدادي السّويدي(ت١٢١٣هـ)، بغداد، مكتبة المثنى، دت، دط.

- السّيرة النّبوية: ابن هشام(ت٢١٨هـ): تحقيق: مصطفى السّقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٧م.

- شرح أشعار الهذليين: أبو سعيد السّكري(٢٧٥هـ)، تحقيق: خالدّ عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

- صحيح البخاري الجامع الصّحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محب الدّين الخطيب، المكتبة السّلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، الرّياض، ١٤٢١هـ.

– فن الشّعر: أرسطو طاليس، تحقيق: عبد الرّحمن بدوي، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.

– القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت.

– الكامل في التّاريخ: ابن الأثير(ت٦٣٠هـ): تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

– لسان العرب: ابن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر– بيروت، ٢٠٠٥م.

– معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

– معجم مقاييس اللّغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

– المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ت.

– نهج البلاغة: الإمام علي بن أبي طالب(ت٤١هـ)، جمعه: الشّريف الرّضي، ضبط النّص: صبحي الصّالح، دار الأسوة للطّباعة والنّشر، إيران، ط٥، ١٤٢٥هـ.

– وفيات الأعيان وأنباء الزّمان: أبو العباس شمس الدّين بن خلكان(ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثّقافة، ١٩٦٨م.

المراجع

– الاتجاه الواقعي في الرّواية السّورية: سمر روحي الفيصل، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

– الأدب وفنونه: عزّ الدّين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.

– أركان الرّواية: أ. م. فورستر، ترجمة: موسى عاصي، مطبعة جروس برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

– الأساليب الشّعرية: ابراهيم العريض، دار مجلة الاديب، بيروت، لبنان، ١٩٥٠م.

– أطلس السّيرة النّبوية: شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.

– الالسّنية والنّقد الأدبي في التّنظير والممارسة: موريس أبو ناضر، دار النّهار، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

– ألف ليلة وليلة "دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد": عبد الملك مرتاض، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٩م.

– ألف ليلة وليلة وسحر السّردية العربية: داود سلمان الشّويلي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

– انفتاح النّص الرّوائي: سعيد يقطين، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م.

– بحوث في الرّواية الجديدة: ميشال بوتور، ترجمة: فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط٢، ١٩٨٢م.

– بناء الرّواية: ادوين موير، ترجمة: إبراهيم الصّيرفي، مر: د. عبد القادر القط، دار الجيل للطّباعة، د.ت.

– بناء الرّواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

– بناء الزّمان في الرّواية المعاصرة: د. مراد عبد الرّحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

– البناء الفني في الرّواية العربية في العراق: د. شجاع مسلم العاني، الجزء الأوّل: دار الشّؤون الثّقافية العامة – بغداد، ط١، ١٩٩٤م. الجزء الثّاني "الوصف وبناء المكان ": دار الشّؤون الثّقافية العامة، ط١، ٢٠٠٠م، الجزء الثّالث: مطبوع على الآلة الكاتبة، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٨م.

– بنية الشّكل الرّوائي: حسن بحراوي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

– البنية القصصية في رسالة الغفران: حسين الواد، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ١٩٨٨م.

– البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي حديث عيسى بن هشام للمويلحي: محمد رشيد ثابت، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط٢، ١٩٨٢م.

– بنية النّص السّردي: حميد لحمداني، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

– تحليل الخطاب الرّوائي: سعيد يقطين، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

– التّداخل الثّقافي في سرديات إحسان عبد القدوس: شريف الجيار، الهيأة العامة لقصور الثّقافة شركة الأمل للطّباعة، مصر، د.ت.

– التّراث القصصي في الأدب العربي: محمد النّجار، الكويت دار ذات السّلاسل، ١٩٩٥م.

– تفسير التّحرير والتّنوير: محمد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسية للنّشر، د.ت.

– تقنيات السّرد الرّوائي في ضوء المنهج البنيوي: يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

– التّقنيات السّردية في روايات عبد الرّحمن منيف: عبد الحميد المحادين، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر– بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

– توظيف التّراث في الرّواية العربية المعاصرة: محمد رياض وتار، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠٢م.

– جماليات المكان: غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا, بيروت, المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع, ط٣, ١٩٨٧م.

– الحبكة: اليزابث ديل، ترجمةجمة الدّكتور عبدالواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النّقدي دار الرّشيد للنّشر، ١٩٨١م.

- حركية الابداع (دراسات في الأدب العربي الحديث): خالدّة سعيد، دار العودة، بيروت، ط١، د.ت.

- الحوار القصصي (تقنياته وعلاقاته السّردية): فاتح عبد السّلام، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

- خطاب الحكاية (بحث في المنهج): جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، ط٢، ١٩٩٧م.

- دينامية النّص "تنظير وانجاز": د. محمد مفتاح، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

- ديوان لبيد(ت٤١هـ): اعتنى به حمدو حماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

- رسم الشّخصيات في روايات حنا مينا: فريال كامل سماحة، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

- الرّواية العربية عصر التّجميع: فاروق خورشيد، القاهرة، دار الشّروق، ط٣، ١٩٨٢م.

- الرّواية العربية واقع وآفاق: غالب هلسا ومحمد برادة وآخرون، دار ابن رشد للطّباعة والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

- الرّواية والمكان: ياسين النّصير، دار الحرية للطّباعة، بغداد، الموسوعة الصّغيرة، عدد ٥٧، ط١، ١٩٨٠م.

- الزّمان في الأدب: هانز ميرهوف، ترجمة: أسعد رزوق، مؤسسة سجل العرب بالإشتراك مع مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٧٢م.

- الزّمان في الرّواية العربية: مها القصراوي، دار الفارس، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

- السّرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات): إبراهيم صحراوي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م .

- السّردية العربية: د. عبد الله إبرهيم،، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

- السّيرة النّبوية في ضوء القران والسّنة: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، د.ت.

- السيميائيات السّردية بين النمط السّردي والنّوع الأدبي : جمال كديك، أعمال ملتقى السّيميائية و النّص الأدبي، معهد اللّغة العربية وآدابها جامعة باجي مختار، عنابة، ١٩٩٥.

- سيميائية الشّخصية الرّوائية: شريط أحمد شريط، السّيميائية والنّص الأدبي، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ١٩٩٥.

- شعاع من السّيرة النّبوية في العهد المكي: راجح عبد الحميد كردي، دار المأمون للنّشر والتّوزيع، عمان، الاردن، د.ت.

- صنعة الرّواية: بيرسي لوبوك، ترجمة: عبد السّتار جواد، دار الرّشيد للنّشر، بغداد، ط١، ١٩٨١م.

- الصّوت المنفرد "مقالات في القصة القصيرة": فرانك اوكونور، ترجمة: محمود الرّبيعي، المركز القومي للتّرجمة، ٢٠٠٩م.

- عالم الرّواية: رولان بورونوف و ريال أونيليه، ترجمة: نهاد التّكرلي، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١م.

- الفضاء الرّوائي عند جبرا ابراهيم جبرا: د. إبراهيم جنداري، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.

- فن الرّواية العربية بين خصوصية وتحيز الخطاب: د. يمنى العيد، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- فن السّيرة: احسان عباس، دار الشّروق، عمان، الاردن، ط٥، ١٩٨٨م.

- فن القص في النّظرية والتّطبيق: نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، د ت.

- فن كتابة الرّواية: ديان داوت فاير، ترجمة: عبد السّتار جواد، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد، ١٩٨٨م .

- في أدبنا القصصي المعاصر: د. شجاع مسلم العاني، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.

- في الخطاب السّردي "نظرية غريماس Grimas": محمد النّاصر العجيمي، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط١، ١٩٩٣م.

– في نظرية الرّواية "بحث في تقنيات السّرد": د. عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٢٤٠)، الرّسالة، الكويت، ط١، ١٩٩٨م.

– في النّقد الأدبي الحديث "منطلقات وتطبيقات": فائق مصطفى، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٩م.

– قال الرّاوي: سعيد يقطين، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

– القصة العربية القديمة: محمد مفيد الشّوباشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

– قضايا الرّواية الحديثة: جان ريكاردو، ترجمة: صباح الجهيم، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط١، ١٩٧٧م.

– ما رواه محمد بن إسحاق: مطاع الطّرابيشي، دار المأمون، الأردن، عمان، د.ت.

– المتخيل السّردي: عبد الله إبراهيم، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

– مدارات نقدية في إشكالية النّقد والحداثة والابداع: فاضل ثامر، دار الشّوؤن الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.

– مدخل إلى التّحليل البنيوي للنّصوص: دليلة مرسلي وأخريات، دار الحداثة، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.

– مدخل إلى نظرية القصة: جميل شاكر وسمير المرزوقي، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، د. ط، ١٩٨٦م.

– مستويات دراسة النّص الرّوائي (مقاربة نظرية): د. عبد العالي بوطيب، مكتبة الامنية، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

– معجم المصطلحات الأدبية: ابراهيم فتحي، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

– معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

– معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب: مجدي وهبة ومراد كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.

- معجم المصطلحات اللّغوية والأدبية: د.علية عزت عياد، دار المريخ للنّشر، الرّياض، المملكة السّعودية، ط١، ١٩٨٤م.

- معجم المعالم الجغرافية الواردة في السّيرة النّبوية: عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنّشر والتّوزيع، المملكة السّعودية، ط١، ١٩٨٢م.

- المعجم المفصل في شواهد اللّغة العربية: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

- معجم مصطلحات نقد الرّواية: لطيف زيتوني، دار النّهار للنّشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

- المعجم الوسيط: إبرهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة، اسطنبول، ترجمة كيا، ١٩٨٩م.

- المفارقة: د.سي. ميويك، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للتّرجمة والنّشر، بغداد، ط٢، د. ت.

- مفهوم التّاريخ: د. عبد الله العروي، المركز الثّقافي العربي، ٢٠٠٥م.

- نظرية الأدب: رينيه ويليك، ترجمة: محيي الدّين صبحي، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

- نظرية البنائية في النّقد الأدبي: صلاح فضل، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، د. ط، ١٩٨٧م.

- نظرية الرّواية "دراسة لمناهج النّقد الأدبي في معالجة فن القصة ": د. السّيد إبراهيم، دار قباء للطّباعة والنّشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

- نظرية المنهج الشّكلي "نصوص الشّكلانيين الرّوس ": جمعها، تودروف، ترجمة: ابراهيم الخطيب، مطبعة مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت — لبنان، ط١، ١٩٨٢.

- نظرية المنهج الشّكلي(نصوص الشّكلانيين الرّوس): ترجمة: ابراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية والشّركة المغربية للنّاشرين المتحدين، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م

- النّقد الأدبي: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٧م.

- النّقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، دار العودة، مصر، د.ط، ٢٠٠٥م.

- النّقد البنيوي والنّص الرّوائي: محمد سويرتي، أفريقيا الشّرق، المغرب، ط١، ١٩٩١م.

- النّقد التّطبيقي التّحليلي: د. عدنان خالدّ عبد الله، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، د. ت.

- نقـد النّثـر في القـرنين الرّابـع والخـامس الهجـريين: فاطمـة الـوهيبي، الـرّياض، دار العلـوم، د.ط، ١٩٩١م.

- النّقد والأسلوبية: عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.

- وظيفة الوصف في الرّواية: عبد اللطّيف محفوظ، الدّار العربية للعلوم ناشرون، د.ط، ٢٠٠٩م.

الأطاريح والرّسائل الجامعية

– بناء الرّواية العربية في الكويت: مهدي جبر صبر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩م.

– البناء الفني في الرّواية التّاريخية خالدّ سهر، رسالة ماجستير كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٨٩.

– البنية السّردية في روايات عبد الرّحمن مجيد الرّبيعي: سعد عبد الحسين العتابي، رسالة ماجستير، كلية التّربية – الجامعة المستنصرية، ١٩٩٤م.

– البنية السّردية في شعر نزار قباني: رسالة ماجستير انتصار جويد عيدان، كلية التّربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م.

– تحولات الشّخصية في روايات عبد الرّحمن منيف: محمد عبد الحسين هويدي الخزاعي، رسالة ماجستير، كلية التّربية (ابن رشد) – جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

– الرّواية والزّمان "دراسة في بناء الزّمان في الرّواية العراقية ": يحي عارف الكبيسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩١م.

– السّردية في النّقد الرّوائي العراقي من ١٩٨٥ م –١٩٩٦ م: احمد رشيد الدّرة، رسالة ماجستير، كلية التّربية للبنات– جامعة بغداد، ١٩٩٧م.

– عادل عبد الجبار روائياً: بان كمال، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٤م.

– قصص الحيوان جنساً أدبياً "دراسة اجناسية سردية سيميائية في الأدب المقارن ": خالدّ سهر السّاعدي، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٠م.

– مهدي جبر دراسة في فنّه القصصي: رسالة ماجستير للباحث مشتاق سالم عبد الرّزاق، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠٠٤م.

المقالات المنشورة في المجلات والدّوريات والصّحف

- أبنية المتون في الرّواية العربية: د. عبد الله ابراهيم، مجلة الحياة التّونسية، تونس، عدد ٦٢، ١٩٩١م.

- الأدب القصصي في الرّثاء: طه وادي، مجلة القصة، القاهرة، ع٨١، ١٩٩٥م.

- أضواء على التّجربة النّقدية: د. شجاع العاني: أجرى الحوار، وارد بدر السّالم، مجلة آفاق عربية، بغداد، ع ٩- ١٠، س٢٦، ٢٠٠٢م.

- بناء الحدث في شعر نازك الملائكة، مقاربة نصية: نجوى محمد جمعة، مجلة آداب البصرة، العدد ٤٤، ٢٠٠٧م.

- بنية الرّواية والفيلم: عبد الله ابراهيم، آفاق عربية، بغداد، ع(٤)، ١٩٩٣م.

- بنية السّرد التّراثي "قصة بياض ورياض "لمؤلف مجهول– أنموذجا: محمد الشّوابكة وفائز العتبي، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، العدد٢، ١٩٩٨م.

- تقنيات الزّمان في السّرد القصصي من زمن التّخييل إلى زمن الخطاب: عواد علي، مجلة الاديب المعاصر، بغداد، عدد ٤٤، ١٩٩٢م.

- حول القيمة المهيمنة: انور المرتجي، عالم الفكر، الكويت، مج ١٨، ع (١)، ١٩٨٧م.

- الرّواية الفرنسية وتقنيات التّجديد: د. مصباح أحمد الصّمد، عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٠، عدد٤، ١٩٩٠م.

- الزّمان والمكان في قصة العهد القديم: أحمد عبد اللطّيف حمادة، مجلة عالم الفكر، مج ١٦، عدد ٣، ١٩٨٥م.

- السّرد الرّوائي والسّرد العلمي وضرورات المعالجة العلمية: فراس عبد الجليل، الموقف الثّقافي، بغداد عدد٣٢، س٢٠٠١م.

- فن كتابة الاقصوصة، مجموعة مقالات حول القصة: توماس ي. بيرنز، ترجمة: كاظم سعد الدّين، الموسوعة الصّغيرة، وزارة الثّقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨م.

- قص الحداثة: نبيلة ابراهيم، مجلة فصول، القاهرة، مج ٦، ع (٤)، ج ٢، ١٩٨٦م.

- محمد بن اسحاق الرّائد في كتابة السّيرة النّبوية: د. عبد اللطّيف الطّائي، مجلة سيبل، العراق، بغداد العدد١٧، ٢٠١٠م.

- مسألية القصة من خلال بعض النّظريات الحديثة: الرّشيد الغزي، الحياة الثّقافية، تونس، الجزء الاول، ع (١)، س ٢، ١٩٧٦. الجزء الثّاني، ع (١)، س ٣، ١٩٧٧م.

- النص البنية السياق، الطاهر رونيه، اللغة والأدب، معهد اللغة العربية، جامعة الجزائر، ع (٨) ملتقى علم النص ١٩٩٦.

I never find any narration Arabic is the prophet bibliography, only the study of dr. Ahmed Al-naqeeb. Who I contact him via (face book) web site.
The study includes:
١- presentation, the problem of bibliography phrase.
٢- first Chapter, carries the person in narration and bibliography.
A- the first aspect: the person in narration.
B- the second aspect: the person in bibliography.
٣- second Chapter contains place and time in narration and bibliography.
A- the first aspect: the place and time in narration.
B- the second aspect: the place and time in bibliography.
٤- third Chapter contains the action in both narration and bibliography.
A- the first aspect: the action in narration.
B- the second aspect: the action in bibliography.
٥- the end.
٦- sources & references.
Any study is not free of obstacles, because of the long wings of the book, ibn husham's prophet bibliography and the various sides of its facts, one of these obstacles that faced me was the obliged return to the ancient sources and fundamentals in order to make up a conclusion the narration elements.

Preface:

The movement of modern Arabic Art criticism depends on bases of knowledge that effected it or influenced by it. Thus it is essential to study what Arabic borrowed from others. That is to this borrowed accumulation of update critic phrases is no evidence. which is belonged to knowledge or criticism sectors, but they are settled in the modern Arabic criticism effort.

Because the narration studies are wide and many in number in the Arabic practical criticism, they reflects to us the others language.

The domination of thought and concept of the others not of our language and our concepts to the Arabic heading.

This makes us ignore what we need or what we don't need to narration stop on our elegant work in knowledge and criticism. This again leads us to refuse thinking to use these phrases to our real production and environment of art.

Our understanding to ambiguous phrases makes us choose this corner in particular, so I give the research the title " the prophet bibliography as an narration study, ibn husham bibliography as a model " to the M.A in Arabic dept. college of art. Baghdad university.

I'm not trailing the element of bibliography from the definition aspect only, but I move beyond the heritage to apply the modern studies on it I by the will of gad got some good results, when I melted the old writing with the modern studies practically.

Abbreviation

Republic of Iraq
High Education and scientific Research
Baghdad University
College of Arts
Higher Studies, Arabic Dept.

Prophet Bibliography "Narrative Study"

IBN HUSHAM's BOOK AS A MODEL

An Essay Produced By
Jaafer Jumaa ZIboon Ali

For College of Art Committee Baghdad University
AS a Required M.A Deserving In Arabic Language And
ART SEINCES

OBSERVED BY PROPPESSOR
ABDIL ALLATIF ALTTAEE

٢٠١٢ ١٤٣٣